أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

الإسلام والبيئة

محمد مرسي محمد مرسي

الطبعة الأولى
الريـــاض
١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

المحتويـــات

المقدمـــة ٥

الفصل الأول : البيئة: تعريفها ـ أقسامها ـ مكوناتها ١٧

١ . ١ تعريف البيئة ١٧

١ . ٢ مكونات البيئة في ضوء الإسلام ٢٧

الفصل الثاني : نظرة الإسلام إلى البيئة ٤٣

الفصل الثالث: العلاقة بين الإنسان والبيئة من منظور إسلامي ٦٩

٣ . ١ السمـاء ٧٣

٣ . ٢ المـــاء ٧٥

٣ . ٣ الأرض والتربة ٧٧

٣ . ٤ الجبـال ٧٨

٣ . ٥ الزراعـة ٧٩

٣ . ٦ حماية الحيوانات وحسن معاملتها ٨١

٣ . ٧ الهـواء ٨٣

الفصل الرابع: فساد وتلوث البيئة من منظور إسلامي ١٠١

٤ . ١ تعريف التلوث ١٠١

٤ . ٢ مفهوم التلوث في القرآن الكريم ١٠٢

٤ . ٣ تعريف التلوث اصطلاحاً ١٠٤

٤ . ٤ الفساد والتلوث في الإسلام ١٠٥

الفصل الخامس: حجم مشكلة تلوث البيئة في بعض المجتمعات الإسلامية ١٢٧

٥ . ١ التلوث البيئي في دول الخليج العربي كمجتمعات إسلامية ١٣٨

٥ . ٢ التلوث البيئي في مصر وبعض المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى ١٤٤

الفصل السادس: حماية البيئة والمحافظة عليها
من منظور إسلامي ١٥٧
٦ . ١ تحريم الشرائع للإفساد في الأرض والإسراف ١٥٨
٦ . ٢ مصدر حرمة البيئة ١٦٤
٦ . ٣ حماية البيئة في الإسلام ١٦٥
٦ . ٤ الجزاء على المحافظة وحماية البيئة والإضرار بها في الإسلام ١٧١
الفصل السابع: التربية البيئية في ضوء الإسلام **١٨٣**
٧ . ١ تعريف التربية البيئية ١٨٤
٧ . ٢ الأسس الفلسفية للتربية البيئية ١٨٥
٧ . ٣ أهمية التربية البيئية ١٨٧
٧ . ٤ أهداف ومبادىء التربية البيئية ١٨٩
٧ . ٥ المنتفعون بالتربية البيئية ١٩٦
٧ . ٦ التربية البيئية في المؤسسات التعليمية ١٩٧
٧ . ٧ بناء مناهج ومداخل التربية البيئية ٢٠١
٧ . ٨ التربية البيئية في العالم الإسلامي ٢٠٣
الفصل الثامن: تصور مقترح لحماية البيئة ومواجهة مشكلاتها
من فساد وتلوث من منظور إسلامي **٢٠٩**
٨ . ١ أسس التصور المقترح ٢١١
٨ . ٢ أهداف التصور المقترح ٢١٤
٨ . ٣ أبعاد التصور المقترح ٢١٦
٨ . ٤ دور الوزارات والهيئات التطوعية في المجتمعات الإسلامية
والعربية في ضوء التصور المقترح ٢٢٧
الخاتمـــــة ٢٣٩
المراجـــع ٢٤٧

قال تعالى :

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (سورة البقرة ٢٠٤ ـ ٢٠٥)

وقال ﷺ:

«إذا قامت القيامة وفي يد أحد منكم فسيلة فليغرسها»(رواه البخارى) .

وقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول : لا إله إلا الله» (رواه الترمذى) .

ومن القواعد الشرعية :

«ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب»

«ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح»

المقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فقد خلق الله عز وجل الإنسان وهيأ له أسباب الحياة في الدنيا ومهد له أسباب العيش فيها وجعل له من كل شيء سبباً وقدر له في الأرض ما يقيم حياته ويصونه، ولم يترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولا شاردة ولا وارده إلا كان له فيها تشريع وتقنين، حصن وتحذير، أمر ونهي، أمرت شريعته بكل صلاح ونهت عن كل فساد وأباحت كل طيب وحرمت كل خبيث حيث جاء في بيان مهمة الرسولﷺ «ويحرم عليهم الخبائث»[1].

وإذا تأملنا في البيئة بمدلولها الشامل لوجدنا أنها قد حظيت بقدر عظيم من الاهتمام وقد وردت البيئة بما تحويه من معالم وما تحفل به من أسرار وما تضمنته من مخلوقات، الأرض وما عليها و ما تحويه والسماء وما يزينها والجبال وخيراتها ومكنوناتها وغير ذلك في(٩٩١) آية من كتاب الله عز وجل، ويكفي ذلك دليلاً على مدى اهتمام الإسلام بالبيئة ومقدراتها .

ولقد وضع الإسلام الإطار العام لقانون حماية البيئة . فقال الله تعالى: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾[2] وقال: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[3] وقال: ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف، ١٥٧ . (٢) سورة الأعراف، ٥٨ .
(٣) سورة الأعراف، ٤٧ . (٤) سورة القصص، ٧٧ .

وقال تعالى أيضاً منفراً من الفساد مبشعاً صورة المفسدين : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[1] .

والفساد هو كل ما يخرج الشيء عن طبيعته التي خلق عليها ومن أجلها، أو يتلف مكوناته ويحوله من عنصر، أو مادة، نافعة إلى مادة ضارة أو لا فائدة منها ولا طائل تحتها .

وقد وضع رسولنا الكريم (ﷺ) تصوراً عظيماً لحماية البيئة من العبث والإفساد وذلك في تشبيه رائع حيث يقول في حديثه الذي رواه مجاهد عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال :

« مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا . . ! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[2] .

وإذا أمعنا النظر في هذا الحديث الشريف بأسلوبه الشائق لوجدنا أنه حدد مسئولية حماية البيئة ـ بما أوتيه من جوامع الكلم ـ وألقى بتبعتها على عاتق المجتمع بأسره، دون أن يختص فرداً بذاته أو جماعة بعينها، لأن ما تقترفه جماعة من أعضائها سيعود بنتائجه الوخيمة بالضرورة على المجتمع

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٥ .
(٢) متفق عليه .

بأسره، ومن ثم كانت دعوته الأمة إلى أن تأخذ على أيدي المفسدين لإصلاحهم حيث قال:

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1].

بهذه النظرة الشاملة العامة يحس المجتمع بكليته بأنه كتلة واحدة متماسكة ما يؤثر في إحداها يؤثر بالضرورة في الأخريات، وقد حافظ الإسلام على البيئة ومظاهرها ومقوماتها في منهجية متكاملة الجوانب متناسقة الأركان وذلك من خلال المحاور الآتية:

١ ـ المحافظة على إنسانية الإنسان وسلامته باعتباره محور البيئة ولب قضاياها.

٢ ـ تعمير الأرض وحسن استغلالها وتجريم الإفساد فيها.

٣ ـ المحافظة على سلامة المياه.

٤ ـ حماية الكائنات الحيوية، نباتية وحيوانية وكذا الأحياء النباتية.

٥ ـ المحافظة على جمال الطبيعة وصيانتها.

٦ ـ الاعتدال في استخدام الموارد البيئية واستغلال مقدراتها الاستغلال الأمثل دون جور أو إسراف.

والواقع أن قضية البيئة وما تتضمنه من أبعاد متشعبة ومشكلات متعددة، نجدها قد طرحت نفسها في العقدين الأخيرين كواحدة من أخطر القضايا في العصر الحديث إن لم تكن أخطرها على الاطلاق.

---

(١) متفق عليه.

ويأتي هذا البحث ـ المتواضع ـ كمحاولة من قبل الباحث للتوصل إلى بعض المؤشرات والخطوط العريضة التي يمكن أن تصلح كأساس لرعاية وحماية وصيانة البيئة وتنميتها من منظور إسلامي .

لذا أود أن أنوه إلى عدة اعتبارات يرى الباحث أن من الأهمية الإشارة إليها والتأكيد عليها على النحو التالى :

١ ـ إن البحث الراهن يتبنى مفهوماً شاملاً للبيئة يتسق وأغراض البحث وموضوعه فينظر إلى البيئة على أنها : الوسط الذي يعيش فيه الإنسان بما يتضمنه من إمكانيات، وموارد طبيعية واجتماعية يتفاعل معها الإنسان مؤثراً ومتأثراً، بغرض إشباع احتياجاته، واستمرار حياته، وأداء رسالته في الوجود، وهكذا يمتد هذا المفهوم ليشمل كل الجوانب التي تنظم علاقات الإنسان في شتى مجالاتها سواء ما يتعلق بالعقيدة الدينية، وما يرتبط بها من مبادئ وقيم واتجاهات ومثل عليا .

٢ ـ إن قضية البيئة ومشكلاتها قضية متشعبة الجوانب، متعددة الأبعاد، مترامية الأطراف، كما أنها تعد ميدانا للعديد من التخصصات العلمية والمهنية، ولذلك يود الباحث الإشارة ـ منذ البداية ـ إلى أنه سيتجنب في إطار هذا البحث الإغراق في التفصيلات العلمية والفنية لموضوع البيئة وقضاياها ومشكلاتها وموقف الإنسان منها وعلاقته بها، ولن يتناول من هذه الأبعاد والجوانب سوى ما يخدم أغراض البحث قدر الإمكان .

٣ ـ إن ما يطرحه هذا البحث لا يعدو أن يكون محاولة مبدئية من قبل الباحث في موضوع يحتاج لتضافر جهود الباحثين في العديد من التخصصات العلمية، والمنتمين إلى العديد من مهن المساعدة الإنسانية، وإن ما يطرحه هذا البحث إنما هو محاولة السعي إلى المزيد من التنقيح والتطوير

والإضافة، الأمر الذي لا يتأتى إلا بمزيد من البحوث النظرية والامبيريقية خاصة في ضوء الشريعة الإسلامية .

٤ ـ يأتي هذا البحث كمحاولة لإبراز أهمية المدخل الديني في التعامل مع الأزمة البيئية الراهنة ـ خاصة في المجتمعات الإسلامية .

هذا ويستند البحث إلى عدة اعتبارات ينبغي التأكيد عليها والتي تشكل ـ في اعتقاد الباحث ـ مبررات اختيار هذا الموضوع وتبرز في الوقت ذاته أهمية موضوع البحث على النحو التالي :

١ ـ ما تشهده الآونة الأخيرة من اهتمام متزايد بقضية البيئة، والأزمة البيئية الراهنة، وموقف الإسلام منها، والبحث عن أنسب الوسائل لمواجهتها والتخفيف من آثارها .

٢ ـ إن المشكلة البيئية ـ باعتبارها مشكلة سلوكية في جوهرها – إذا أردنا أن نحقق النجاح المأمول في مواجهتها، فإن الأمر يستلزم بداءة أن يكون الإنسان هو محور أي جهود تبذل في هذا الصدد، تعديلا لسلوكه تجاه البيئة، وسعيا نحو اكتسابه قيماً بيئية إيجابية وسلوكيات تستهدف رعاية البيئة وحمايتها وصيانة نظامها البيئي .

٣ ـ إن جهل الإنسان بنواميس الكون التي سنها الله عز وجل من ناحية، وجهله برسالته في الحياة والتي من أجلها خلقه الله تعالى، ومكنه في الأرض من ناحية أخرى وسعيه الدؤوب ـ في ضوء هذا الجهل ـ وراء المتع الدنيوية التي تتميز بالأنانية والتمركز حول الذات من ناحية ثالثة، كل ذلك أدى إلى ما أصبح العلماء يحذرون منه من مشكلات وأخطار بيئية، ومن هنا كان التأكيد على تبني مداخل جديدة واستراتيجيات بديلة تنطلق من أساس قيمي أو ديني من الأهمية بمكان فيما يتعلق بالجهود المبذولة لحماية البيئة وتنميتها من منظور إسلامي .

٤ ـ إنه ورغم مرور أكثر من عشرين عاما على بداية الاهتمام العالمي المنظم والجدي بقضايا البيئة، فإن الواقع يشهد ونتائج البحوث والدراسات تؤكد أن هناك زيادة في التدهور البيئي عما كان عليه الحال في ذلك الوقت، كما أن مشكلات البيئة لم تحل منها مشكلة واحدة رغم كل الجهود الواضحة التي بذلت في هذا المجال، الأمر الذي يعزز من الاتجاه نحو تبني تصور مقترح لحماية البيئة والمحافظة عليها تختلف عن تلك التي اعتمدت طوال الحقبة الماضية .

٥ ـ ويرتبط بالبند السابق ما أوضحته وأكدت عليه وثائق المؤتمر الدولي للبيئة والتنمية «قمة الأرض» من أهمية وضرورة تطوير وتنمية الاستراتيجيات البديلة للاهتمام بالبيئة، والتي ينبغى أن تنبثق من رؤية قيمية «ويتفق الباحث مع» أجوان عندما قال : «إنه خلال هذه الرؤية القيمية» «المدخل القيمي» فإن التجمعات الدينية في العالم، وبصفة خاصة أمة التوحيد وعقيدة الإسلام في وحدة الحياة سوف تعكس حكمتها في تزويد العالم بنظم الحياة السليمة وتأسيس نظم المساندة الإنسانية في غمرة الأزمة الحالية . ومن هنا يأتي التفكير في محاولة التعرف على ملامح البديل الإسلامي لحماية البيئة والمحافظة عليها ويكون ذلك متفقا مع ما نادى به المؤتمر والعديد من الأوساط المهتمة بالبيئة .

٦ ـ إن قضية البيئة في المجتمعات الإسلامية ذات خصوصية متميزة عن المأزق البيئي في المجتمعات الغربية بسبب انخفاض مستوى الوعي البيئي في مجتمعاتنا من جانب، وضعف الإمكانات المادية والتكنولوجية التي يمكن توجيهها لحماية البيئة ورعايتها من جانب آخر، فضلاً عن تخلى المجتمعات الإسلامية عن أساليبها الحياتية التقليدية والسليمة

بيئيا، واتباع أساليب حياة الغرب المدمرة للبيئة، وإن كانت تلك الأساليب ذات جاذبية مفتعلة . وعلى الرغم من أن مجتمعاتنا الإسلامية بوسعها أن تتعلم الكثير من الحركة البيئية في الغرب والتجارب المتعددة في هذا الصدد، ولا مفر من ذلك، إلا أن من الضرورى التأكيد في الوقت نفسه على أهمية إعادة اكتشاف مؤسساتنا التقليدية وطرق العيش والعمل والمعرفة وهي جماع بيئتنا، وتبني سياسات بيئية تنطلق من عقيدتنا الإسلامية وخصوصيتنا الثقافية والحضارية وفقا لما انتهت إليه العديد من الدراسات في هذا الخصوص .

ولقد أكدت الدراسة التي أصدرها الاتحاد الدولي لصون الطبيعة والموارد الطبيعية على أهمية أن تأتي التشريعات البيئية في المجتمعات الإسلامية نابعة من عقيدة الأمة وممثلة لتراثها الفكري والحضاري، حتى تكون أكثر فعالية وجدوى في الحد من تدهور الأوضاع البيئية في هذه المجتمعات .

٧ـ ولعل من نافلة القول التأكيد على أن الإسلام يعد نظاما شاملا ومتكاملا يتناول حياة الفرد الروحية والعقدية والخلقية والفكرية، بنفس القدر الذي يتناول حياة المجتمع كنظام ذي شبكة علاقات متداخلة ومعقدة بين الفرد والفرد، والفرد والمجتمع، والفرد والسلطة، ولذلك فليس غريبا ـ في ضوء هذا الفهم ـ أن نؤكد أن الإسلام يقدم رؤية خاصة وفذة لتعامل الإنسان مع الكون المحيط به» البيئة» تنطلق من تصور الإسلام الخاص للإنسان والحياة والكون وعلاقة هذه العناصر بعضا بالبعض الآخر .

ولقد برزت الملامح العامة للرؤية الإسلامية المتميزة للبيئة وكيفية التعامل معها في العديد من الدراسات والبحوث[1]، وإن اقتصرت معظم هذه الدراسات على المرحلة الوصفية لهذه الرؤية واستنباط بعض القيم والمبادئ من الكتاب والسنة، دون الاهتمام بترجمة هذا التصور إلى استراتيجيات أو سياسات أو خطط أو نماذج يمكن تطبيقها في الواقع، الأمر

---

(١) من هذه الدراسات التي تناولت البيئة من منظور إسلامي أنظر :

- احمد ربيع خلف الله والسعيد محمود السعيد، التربية البيئية، دراسة لمعالجة بعض قضايا البيئة من منظور إسلامي، مجلة التربية للأبحاث التربوية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ٥٢٠، القاهرة، ١٩٩٠ .
- احمد يوسف محمد بشير، الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامي، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة من ١٠ ـ ١٣ أغسطس ١٩٩١ .
- كارم السيد غنيم، البيئة الطبيعية في المنظور الإسلامي ، مجلة الهداية، البحرين، العدد ٣٤١، أغسطس١٩٨٩ .
- خالد فاروق أكبر، الأزمة البيئية والدين» وجهة نظر إسلامية»، مجلة الفكر الإسلامي والإبداع العلمى، العدد ١ ، مارس ٣٩٩١ .
- أبو بكر احمد باقادر وآخرون، دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام، الاتحاد الدولى لصون الطبيعة والموارد الطبيعية، سلسلة دراسات النظم والقوانين البيئية، رقم ٢ . ، جلاند، سويسرا، ١٩٨٣ .
- احمد يوسف محمد بشير، نحو سياسة اجتماعية لرعاية البيئة من منظور إسلامي، بحث مقدم إلى المؤتمر الثالث للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، الاسكندرية، الفترة من ٥ ـ ٧ أغسطس ١٩٩٥ .
- Agwan , A . R . “ Towards An Ecological Consciousness “ , in the American Journal of Islamic sciences , The international Institute of Islamic thought, U.S.A, Herndon , Volume:10, Summer , 1993 , Number 2 .

الذي يهتم به هذا البحث، والذي يتمثل هدفه العام في محاولة التوصل إلى نظرة الإسلام الى البيئة وكيفية المحافظة عليها وحمايتها وعلاقة الإنسان بها، فضلا عن تلمس بعض الأبعاد والمؤشرات التي يتصور الباحث أنها يمكن أن تصلح كأساس لوضع سياسة جادة بشأن رعاية البيئة والمحافظة عليها وحمايتها من منظور إسلامي .

من أجل تحقيق هذه الأهداف سوف يعالج الباحث موضوع البحث من خلال الفصول التالية :

والله الهادى إلى سواء السبيل، ، ،

الباحث

محمد مرسي محمد مرسي

الفصل الأول

البيئــة : تعريفها ـ أقسامها ـ مكوناتها

١ . ١ تعريف البيئة .

١ . ٢ مكونات البيئة في ضوءالإسلام .

الفصل الأول

البيئــة : تعريفها ـ أقسامها ـ مكوناتها

في السبعينيات من هذا القرن وحتى الآن ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين نجد أنه قد لقيت كلمة» البيئة» بين المتحدثين بالعربية ، وما يقابلها في اللغات الأخرى بين الناطقين بهذه اللغات رواجاً وانتشاراً لم تحظ به أي كلمة في هذه اللغات . وأصبحت ألسنة العامة والخاصة تلهج بها في التعبير عن مفاهيمهم إذا ما تحدثوا عن التلوث والنظافة ، بل إن المولعين بالإثارة اتخذوا من موضوع البيئة ومشكلاتها مجالا للكتابة في الصحف والأحاديث الإذاعية والتليفزيونية ، هذا فضلاً عن عقد الندوات والمؤتمرات الإقليمية والعالمية التي تهتم بموضوع البيئة ومشكلاتها .

وكأنما اقتصر موضوع البيئة على ما يتحدثون عنه من مخاطر وأمراض ووبال يحيق بالإنسان . ولعل التعرف على مفهوم البيئة مما يوضح الرؤية ، وينمى الوعي دون إثارة . والرجوع إلى الأصل العربي لكلمة البيئة وهذا ما نعرفه في سياق تعريفنا لمفهوم البيئة .

١ . ١ تعريف البيئـــة

قال تعالى : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٧٤ .

وقال تعالى : ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم . . . .﴾[1] .

أي الذين أقاموا أو استوطنوا المدينة المنورة قبل هجرة الرسول الكريم ﷺ اليها .

وبيئة الإنسان الطبيعية هي الأرض . إذ أنها بهيئتها وموقعها وعناصرها ودورانها المائل حول نفسها وحول الشمس هي الوسط أو المحيط المهيأ والمناسب لحياة الإنسان الدنيا وسبحان الخالق الحكيم الذي » خلق كل شيء فقدره تقديراً«[2] .

١ . ١ . ١ ويقصد بالبيئة في اللغة

المكان والمنزل، يقال : أباءه منزلا أى هيأه له، وأنزله، ومكن له فيه . والاسم البيئة والباءة والمباءة، وتطلق على منزل القوم حيث يتبوأون من قبل واد أو سند جبل، ومنه المباءة معطن الإبل حيث تناخ في الموارد أو المراح الذي تبيت فيه [3] ويتضح من هذه المعاني أن البيئة هي منزل الإنسان والحيوان .

١ . ١ . ٢ وفي الاصطلاح

هي : الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من مظاهر طبيعية خلقها الله تعالى، يتأثر بها ويؤثر فيها . وقد أوجز مؤتمر البيئة البشرية في

---

(١) سورة الحشر، الآية ٩ .
(٢) سورة الفرقان، الآية ٢ .
(٣) أنظر لسان العرب لابن منظور، الجزء الأول، ص ٣٨٢ .

استوكهولم ١٩٧٢» يبليس١٩٧٨» التعريف التالي «إن البيئة هي مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، والتي يستمدون منها زادهم، ويؤدون فيها نشاطهم»[١].

وهذا التعريف كما هو واضح يشمل : الموارد والمنتجات الطبيعية والاصطناعية التي تؤمن إشباع حاجات الإنسان .

١ . ١ . ٣ التعريف الإجرائي

يمكن تعريف البيئة بأنها المحيط المادي الذي يعيش فيه الإنسان بما يشمل من ماء وهواء وفضاء وتربة وكائنات حيه، ومنشآت أقامها لإشباع حاجاته .

ومن خلال هذه التعاريف للبيئة نستطيع أن نقسم البيئة إلى قسمين مميزين هما[٢] :

١ ـ البيئة الطبيعية .

٢ ـ البيئة البشرية» الحضارية» .

١ . ١ . ٣ . ١ البيئة الطبيعية

يقصد بها كل ما يحيط بالإنسان من ظاهرات حية وغير حية وليس للإنسان أي دخل في وجودها . وتتمثل هذه الظاهرات أو المعطيات البيئية في البيئة والتضاريس والمناخ والنبات الطبيعي والحيوانات البرية والتربة . وهي معطيات وإن كانت تبدو مستقلة عن بعضها إلا أنها ليست كذلك قطعا

(١) ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، دار المطبوعات الجامعية، ط ١، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص ٣١.

(٢) زين الدين عبد المقصود، البيئة والإنسان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩١، ص ٧ـ٨ .

في واقعها الوظيفي . فهي أولا في حركة ذاتية دائبة من ناحية، وحركة توافقية مع بعضها البعض ضمن نظام معين من ناحية أخرى فيما يسمى بالنظام البيئي .

وبطبيعة الحال تختلف البيئة الطبيعية من منطقة لأخرى تبعا لطبيعة المعطيات المكونة لها . إذ نستطيع من خلال كل عنصر من العناصر السابقة أن نقسم البيئة الطبيعية إلى عدد من البيئات المتباينة . فإذا أخذنا التضاريس مثلا كمعيار للتصنيف البيئي نستطيع أن نميز بين البيئات المرتفعة» الجبلية والهضبية» وبين البيئات المنخفضة» السهلية والحوضية» وليس ثمة شك أن أثر كل نوع من هذه البيئات على الإنسان يختلف من بيئة لأخرى .

وبنفس الأسلوب نستطيع من خلال عنصر المناخ أن نميز بين البيئات الحارة، والمعتدلة، والبـــاردة» من الوجهة الحرارية»، أو البيئات الرطبة والبيئات شبه الرطبة والبيئات الجافة وشبه الجافة» من الوجهة التساقطيه» وبطبيعة الحال يختلف تأثير كل نوع من هذه البيئات في علاقة الإنسان مع بيئته .

١ . ١ . ٣ . ٢ البيئـــة البشرية

يقصد بالبيئة البشرية أو الحضارية، الإنسان وإنجازاته التي أوجدها داخل بيئته الطبيعية بحيث أصبحت هذه المعطيات البشرية المتباينة مجالا لتقسيم البيئة البشرية إلى أنماط وأنواع مختلفة . فالإنسان كظاهرة بشرية يتفاوت من بيئة لأخرى من حيث عدده وكثافته وسلالاته ودرجة تحضره وتفوقه العلمى مما يؤدي إلى تباين البيئات البشرية .

فإذا أخذنا الكثافة السكانية كمعيار نستطيع أن نميز بين البيئات المكتظة بالسكان، والبيئات المخلخلة سكانيا وهكذا .

وإذا أخذنا المستوى الحضارى والعلمي نستطيع أن نميز بين بيئات متحضرة متقدمة، وبيئات نامية متخلفة وأحيانا بدائية .

وإذا ما أخذنا النشاط البشرى كمعيار نستطيع أن نميز به بين بيئة الجمع والصيد، وبيئة الرعي سواء كان بدائيا أم متطورا، وبيئة الزراعة بدرجاتها المتباينة بين البيئة الزراعية البدائية والبيئة الزراعية المتطورة أو الراقية، بين البيئة الزراعية الكثيفة والبيئة الزراعية الواسعة .

ولما كانت البيئة البشرية ترجمة لطبيعة التفاعل بين الإنسان وبيئته، وتعكس درجات الاستجابة البشرية المختلفة لمعطيات البيئة الطبيعية، فإن الأمر يقتضى تحقيق نوعٍ من التوازن والتوازي بين الإنسان وبيئته حفاظا للبيئة الطبيعية وضمانا لاستمرار دورها في خدمة الإنسان .

١ . ١ . ٤ النظام البيئي

يتكون النظام البيئي من أربعة عناصر رئيسية هي :

١ . ١ . ٤ . ١ عناصر الإنتاج

وتتمثل عناصر الإنتاج في النباتات الخضراء بكل أنواعها من الطحالب الخضراء إلى الأشجار الضخمة المختلفة .

ونجد أن هذه النباتات لديها القدرة على إنتاج غذائها بنفسها، فهي تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون من الهواء، وتمتص الماء من التربة عن طريق جذورها وتصنع منهما معاً في وجود مادة الكلوروفيل وتحت تأثير أشعة الشمس، جميع أنواع المركبات العضوية التي تحتاجها، والتي تبني منها أجسامها مثل[1]:

(١) احمد مدحت سلام، التلوث مشكلة العصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٥٢، ص ١١ .

المواد الكربوهيدراتية، والدهون ، والبروتينات وما إليها .

وبناء عليه تعطى خاصية القدرة على إنتاج الغذاء لهذه النباتات لنفسها نوعاً من الاستقلال عن كل ما حولها من كائنات، إلا أنها لا تستطيع الاستغناء عن اعتمادها على العناصر الطبيعية غير الحية .

١ . ١ . ٤ . ٢ عناصر الاستهلاك

وتتكون من الحيوانات بأنواعها المختلفة التي لا تستطيع أن تعد غذاءها بنفسها إلا أنها تعتمد على غيرها في إعداد هذا الغذاء، فبينما يتغذى بعضها بالنباتات والأعشاب غير أن البعض الآخر يتغذى من آكلات اللحوم بغيره من الحيوانات، وفي كلتا الحالتين تقوم هذه الحيوانات باستهلاك ما تنتجه عناصر الإنتاج .

١ . ١ . ٤ . ٣ عناصر التحلل

وتشتمل كل ما يتسبب في تحلل أو تلف مكونات البيئة الطبيعية المحيطة بها مثل البكتيريا والفطريات، وبعض أنواع الحشرات التي تشترك في تحليل أجسام النباتات والحيوانات الميتة [١] .

وتساعد عناصر التحلل على إعادة جزء من المادة إلى التربة لتستفيد منها عناصر الإنتاج وتستخدمها مرة أخرى في تكوين الغذاء، وبذلك تتكرر هذه الدورة مرة أخرى .

---

(١) يسرى دعبس، تلوث الهواء وكيف نواجهه، دار الندوة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٤، ص ١٨ .

١ . ١ . ٤ . ٤ العناصر الطبيعية غير الحية

وتشمل الماء والهواء بما فيها من غازات الأكسجين والنيتروجين وثاني أكسيد الكربون، وعلى ضوء الشمس بإشعاعاتها المختلفة الحرارية وفوق البنفسجية، وبعض المواد المعدنية الموجودة في التربة، وبعض الأجزاء المتحللة من أجساد النباتات والحيوانات التي تدخل بصورة أو بأخرى في عمليات التوازن البيئي المختلفة وتشكل عاملاً هاماً بالنسبة لعناصر الإنتاج.

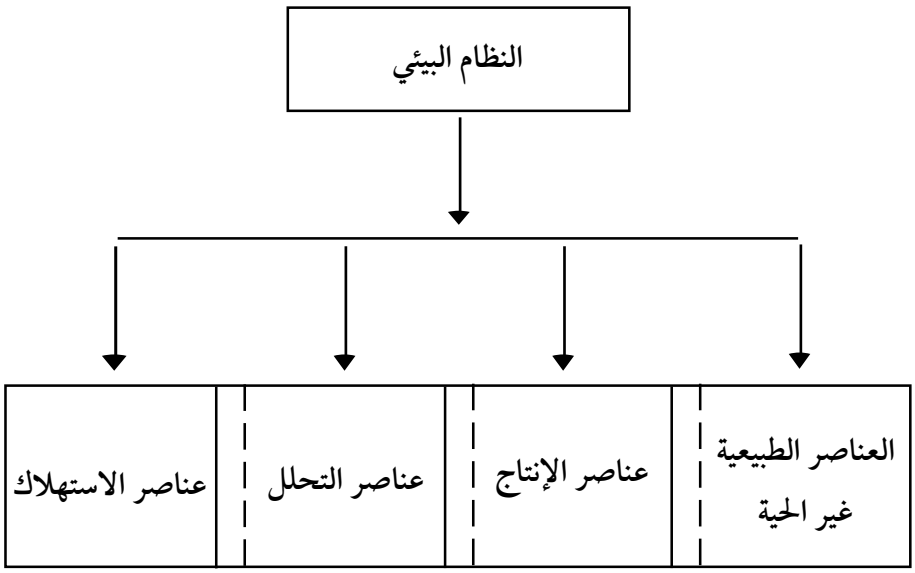

الشكل رقم (١)

يوضح مكونات النظام البيئي

١ . ١ . ٥ أبعاد البيئة

يمكننا تحديد أبعاد البيئة فيما يلي :

١ . ١ . ٥ . ١ البعد الأول

ويتمثل في سكان البيئة باعتبارها وسطا مأهولا بالسكان، ويقصد هنا بالسكان الكائنات الحية من المملكة الحيوانية والمملكة النباتية، فمثلا في المملكة الحيوانية تبتدئ في وحيدة الخلية مثل «الأميبيا» أو الهائمات المائية حتى تصل إلى الإنسان . أما المملكة النباتية فتبدأ بالبكتريا، حتى تصل النباتات الخضراء. ولدراسة هذا البعد فلابد من تعريف بعض المصطلحات الهامة، فمثلا مجموعة الأفراد التي تنتمى إلى نوع واحد من الكائنات الحية تسمى جماعة، ومجموعة الجماعات التي تعيش في مساحة معينة تكون ما يسمى بالمجتمع والمجتمع يكون مع البيئة غير الحية التي يتعامل معها ما يسمى بالنظام البيئي.

فالأنظمة البيئية كما سبق أن بينا هي الإطار الذي يسهل دراسته وتحليل عناصره، وبالتالي معرفة الأسباب التي أدت أو تؤدي إلى تدهور أو نمو هذا النظام . والأنظمة البيئية متعددة، منها النظام المائي والصحراوي أو نظام مائي بحري أو نظام مائي نهري، وعند دراسة أي نظام يجب أن ندقق في البعد السكانى، من حيث الأنواع، طريقة المعيشة، الانتقال، الانتشار، التكاثر، التأقلم، العلاقات المختلفة فيما بينها، وخاصة العلاقات الغذائية، العلاقة بين النظام البيئي من حيث السعة وتزايد السكان والغذاء.

١ . ١ . ٥ . ٢ البعد الثاني

يتمثل في الأنشطة التي يمارسها السكان، وعلاقتهم بالوسط المحيط

بهم، والذي يحتوى أوجه حياتهم ومعيشتهم كاملة، بكل ما فيها من نظم وتنظيمات للعلاقات، وإشباع الاحتياجات، وتحقيق الذات، ومعايشة المشكلات، ولقد تدرجت مراحل التسلسل التاريخي لعلاقة الإنسان وبيئته منذ ظهوره على سطح الأرض في عدة مراحل هي:

المرحلة الأولـــى

وهي مرحلة الجمع والالتقاط، حيث كان الإنسان يجمع طعامه مما تجود به النباتات البرية من ثمار وأوراق وألياف، وفي هذه المرحلة تظهر سلبية الإنسان وإيجابية البيئة.

المرحلة الثانيـــة

مرحلة الصيد والقنص وفيها بدأ الإنسان يتمايز عن غيره من الأحياء، بما وهبه الله من قدرات خلقية وإمكانات عقلية، وهنا خرج من السلبية المطلقة إلى التجاوب، واستغلال عناصر البيئة.

المرحلة الثالثـــة

مرحلة استئناس الحيوان والرعي، وقد صحب ذلك تطور بالغ في إطار العلاقات البيئية للإنسان. ذلك لأنه أحدث تحولات وراثية وبيئية في حياة أنواع من الحيوانات، استأنسها وتم تكاثرها بالتربية، وفي هذه المرحلة بدأ الإنسان يتأقلم، ولذلك يسمي المؤرخ الإنجليزى «أرنولد توشي» هذه المرحلة بمرحلة «التأقلم»[1].

---

(١) عبد الله الهاشم، البيئة والإنسان، مجلة الكويت، العدد ٧٥، ربيع الأول ١٤٠٩هـ، نوفمبر ١٩٨٨، ص ١٤ـ ١٥.

المرحلة الرابعــة

مرحلة الزراعة والاستقرار «مرحلة بناء البيئة المشيدة»، وهنا استكمل الإنسان سيادته على الأحوال البيئية، فقد بدل بالكساء النباتي البري أنماطا من الكساء الحيواني والنباتي.

وفي هذه المرحلة بدأ الإنسان يشق الطرق ويقيم السدود، وظهرت الأمراض والأوبئة وغيرها، وفي هذه المرحلة تجد أن إيجابية البيئة ابتدأت تختفي، لتظهر سلبياتها على شكل ظواهر لمشاكل البيئة .

المرحلة الخامسة

مرحلة التصنيع ويسميها البيئيون «مرحلة الإبداع» وكذلك تسمى بمرحلة سلبية البيئة المطلقة، وإيجابية الإنسان المطلقة، إذ بدأت البيئة تصغر أمام الإنسان . وهكذا تبدل الحال . فبعد أن كانت البيئة بما فيها من توازن طبيعي . هي مسيطرة على سلوك الإنسان، أصبح الإنسان هو مالك الزمام، حيث سمحت له إمكاناته بالتحرك من منطقة لأخرى، طلباً لموارد جديدة تفي باحتياجاته المختلفة، وما صحب ذلك من تقدم علمي أدى إلى اكتشاف الكثير من طرق المقاومة لعلاج الأمراض الفتاكة، فقل معدل الوفيات، وازداد عدد سكان الكرة الأرضية بزيادات مضاعفة .

فقد قدر عدد سكان العالم منذ بداية التاريخ حتى منتصف القرن السابع عشر بنحو ٥٠٠ مليون نسمة وزادوا بنسبة ٥ر٤ بليون نسمة من ١٦٥٠ وحتى ١٩٨٥م . أي أن عدد السكان تضاعف تسع مرات خلال ٣٥٠ سنة .

وفي مرحلة الإبداع ظهرت المشاكل البيئية واتصفت بالعالمية .

١ . ١ . ٥ . ٣ البعد الثالــث

هو المكونات غير الحية للبيئة وهذه تتمثل في أغلفة ثلاثة هي الغلاف المائي والجوي والصخري . ولدراسة هذه الأبعاد بشكل منفصل أو عندما تتداخل تتطلب الوقت الطويل، تحتاج إلى عمر نوح ومال قارون وصبر أيوب .

١ . ١ . ٦ خلاصة القول

إن الآية الكريمة التالية فيها الأبعاد المذكورة وتداخلها مع بعض . إذ قال تعالى : ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾[١] .

١ . ٢ مكونات البيئة في ضوء الإسلام

ويمكننا توضيح مكونات البيئة من خلال ما يلي :

١ . ٢ . ١ إن المكونات البيئية لها حياة وتمتلك اللغة والحس والشعور

مما يزيد قوة العلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة عمقا وتأثيراً وحسا وشعوراً بعد معرفته بأنه مكون من مكوناتها – معرفته أن كل ما في الكون فيه حياة وحركة وله مهمة وغاية، كما أن له لغة خاصة به والأهم من هذا كله أن كل عنصر منها يمتلك الحس والشعور .

ومما يدل على حياة المكونات البيئية، قوله تعالى : ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾[٢] .

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٥ .
(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٢ .

وهذه الآية الكريمة تدل على أن الهلاك مقابل للحياة، أو ضد الحياة وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[1].

يدل على أن كل شيء فيه حياة طالما أنه سيصبح في يوم ما هالكا. ومما يدل على ذلك أيضا قوله سبحانه: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾[2].

أما الدليل القرآني على أن مكونات البيئة الطبيعية لها لغتها الخاصة، التي لا نملك نحن البشر القدرة على فهمها، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾[4].

يقول القرطبي في تفسيره: أعاد على السماوات والأرض ضمير من يعقل، لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح.. وقوله تعالى ﴿ومن فيهن﴾ يريد الملائكة والإنس والجن، ثم عم بعد ذلك الأشياء كلها في قوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾.

واختلف في هذا العموم، هل هو مخصص أم لا؟ فقالت فرقة: فخصوص والمراد تسبيح الدلالة، وكل محدث يشهد علة نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر، وقالت طائفة هذا التسبيح حقيقة، وكل شيء

(١) سورة القصص، الآية ٨٨.
(٢) سورة الحج، الآية ٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.
(٤) سورة الإسراء، الآية ٤٤.

على العموم يسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر ولا يفهمه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة، لكان أمراً مفهوماً، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه. وأجيب عليهم بأن المراد بقوله تعالى ﴿لا يفقهون﴾ أي الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار، معناه بخصوص في كل حي ونام وليس ذلك في الجمادات.

يقول القرطبي: قال رسول الله ﷺ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولاشيء إلا شهد له يوم القيامة»[1].

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: «لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل».

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[2] والأخبار في هذا المعنى كثيرة... وإذا أثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات ولا استحالة في شيء من ذلك، فكل شيء يسبح للعموم. وكذا قال النخعي وغيره: هو عام فيما فيه روح، وفيما لا روح فيه، حتى صرير الباب. وأضاف القرطبي: فالصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك.. وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شيء، فالقول به أولى والله أعلم[3].

يقول الشيخ الشعراوي في ذلك: وقول بعض العلماء إن معنى التسبيح

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ٢/ ١٠٤.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٧٨٢ رقم ٢٢٧٧.
(٣) أبو عبد الله محمد القرطبي، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، كتاب الشعب، د.ت، سورة الإسراء، المجلد الخامس، ص٣٨٨٢-٣٨٨٤.

دلالة على الخالق سبحانه، يرد عليه بأنه لو كان الأمر كذلك لفهمناه، ولكن الآية تنفي قدراتنا على فهم هذا التسبيح . . إذاً كل مولود حي وله حياة، وهذه الحياة تناسب مهمته في هذه الحياة ولكننا لا نسمع لغته، لأن ذلك فوق طاقة قدراتنا . فوجود الشيء مختلف تماماً عن إدراك وجوده[1] . ولغة الطير والحشرات ثابتة بنصوص قرآنية في سورة النمل الآيات ١٨ ـ ٢٢ .

أما كون مكونات البيئة الطبيعية تمتلك الحس والشعور، فيعبر عن ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[2] .

وقول رسول الله ﷺ : «إذا مات العبد الصالح بكى عليه موضعان : موضع سجوده وموضع صعود صلاته ودعواته»[3] .

ويقول القرطبى في تفسير ذلك : المعنى أنهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم، ولم يوجد لهم فقد . وقيل في الكلام إضمار، أي ما بكت عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة، كقوله تعالى ﴿واسأل القرية﴾ وروى يزيد الرفاعي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان، باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فبكيا عليه ـ ثم تلا ـ ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾[4] . وقال مجاهد : إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً . قال أبو يحيى : فعجبت من قوله، فقال : أتعجب!! وما

(١) محمد متولى الشعراوى ، معجزة القرآن، مشاهد يوم القيامة، الجزء العاشر، كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد ٢٨١، إبريل ١٩٨٨، ص ٣٦ـ ٦٤ .
(٢) سورة الدخان، الآية ٢٩ .
(٣) رواه احمد .
(٤) سورة الدخان، الآية ٢٩ .

للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل! وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما : «إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض، ومصعد عمله من السماء»[1].

يقول الشيخ الشعراوي في ذلك : ومادام هناك بكاء فلابد أن يسبقه حس وعاطفة[2] وشعور بالألم والحزن . . . الخ والفهم الصحيح لهذا المعنى، وإدراكه يجعل الإنسان يفكر ألف مرة قبل أن يسلك سلوكا يؤذي البيئة أو يسيء إلى أي مكون من مكوناتها، فيتعامل معها برفق وحب ورحمة، وينزع دائماً إلى الإشفاق عليها وعدم إهدار شيء من خيراتها، ويحسن استغلالها بقدر الحاجة، دون إسراف أو تبذير ليظل العطاء مستمرا له وللأجيال القادمة .

بينما لو ظل سادراً في ممارساته الخاطئة تجاه البيئة، فإن النتيجة الحتمية هي تعارض هذا السلوك مع الفطرة التي فطر عليها منذ أصل نشأته وتكوينه. وتناقض بسلوكه مع قوانين الحياة ونواميس الطبيعة التي تحكمها منذ الوجود الأول، ولا تزال ـ لأنه ـ أحد مكونات هذه الطبيعة وجزء من أجزائها .

وفضلا عن ذلك يكون الإنسان متعارضا مع إنسانيته، معطلاً لحسه وعاطفته وشعوره تجاه الموجودات والأشياء . . ومن هذه السلوكيات

---

(١) عبد الرحيم الرفاعي بكرة، أسس التربية البيئية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٢ .

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي لأحكام القرآن، المجلد الثامن، مرجع سابق، ص ٥٩٥٩ ـ ٥٩٦٢ .

(٣) محمد متولي الشعراوي ، معجزة القرآن، مرجع سابق، ص ٦٤ .

تولدت مشكلات البيئة من تلوث واستنزاف، وانحسار، وجفاف وتصحر، وقلة في الغطاء .

١ . ٢ .٢ الاتزان والتوازن بين مكونات البيئة

تؤكد الدراسات العملية أن البيئة تنتظم في أنظمة معقدة تتفاعل مع بعضها، وعناصر البيئة المشتركة في التفاعل على نسب وأشكال مناسبة، وتعمل على حفظ التوازن البيئي بين هذه الأنظمة .

إلا أن هذا التوازن والانتظام والاعتدال قد يتعرض للاختلال نتيجة تغير طبيعي أو حيوي، وهنا يتطلب عودة الاتزان البيئي فترة زمنية تطول أو تقصر، حسب الأثر الذي أحدثه الخلل الحادث، نتيجة التغير في الظروف الطبيعية، أو في بعض الظروف الحيوية المؤسسة على علاقات الكائنات الحية في البيئة، أو كنتيجة لتدخل الإنسان المباشر[١] .

ولقد بلغ النظام البيئي من الحساسية ما يجعله كميزان يختل لأقل تأثير خارجي وخاصة إذا امتدت اليه يد الإنسان بممارساته غير الواعية أو المسؤولة . . . وقد حدث هذا الاختلال بالفعل في أنحاء متفرقة من البيئة .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾[٢] .

---

(١) عدلي كامل فرج، النظام البيئي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٦، ص ٥١ .

(٢) سورة الحجر، الآيات ١٩ ـ ٢٢ .

وقوله سبحانه : ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[1] . وقوله ﴿إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾[2] . وقوله ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾[3] . وقوله ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾[4] .

ومما يجدر ذكره : أن اختلال التوازن الطبيعى للنظم البيئية ليس بمعزل عن المشكلات البيئية الأخرى كالتلوث، والاستنزاف، والسكان . . بل إنه في الواقع نتيجة يقينية لهذه المشكلات . . معنى هذا أن كل شيء، وكل موجود في هذا الكون، خلق بحكمة بالغة، وتقدير دقيق، لمقدار وجوده أو عدده، ولحكمة وغاية من وراء خلقه ووجوده، وإن كنا في بعض الأحيان ـ وما أكثرها ـ لانفهم أو ندرك العلة في وجود بعض الموجودات، أو السبب في بقائها فنتصرف حيالها بجهل وسوء تقدير، فتحدث الكوارث الرهيبة وتتواجد المشكلات البيئية الشديدة التي يصعب تفادي آثارها، أو التخفيف من حدة نتائجها إلا بعد أن يدرك الإنسان خطأ سلوكه، وحماقة تصرفاته وممارساته، ومن ثم يعدل عنها ويغيرها، ولكن الاختلال في التوازن البيئي، سيظل موجوداً وواقعا، لمدد قد تطول أو تقصر بحسب مقدار التعسف والخطأ والممارسات التي وقعت .

والمشكلات البيئية الناجمة عن هذه الممارسات كثيرة ومتنوعة، دولية، ومحلية تناولتها الدراسات والأبحاث البيئية المختلفة، عالمياً ومحلياً . . ومن أهمها على المستوى المحلي في بعض المجتمعات : مشكلة الزيادة السكانية التي أصبحت تشكل عبئاً رهيباً على اقتصاد هذه المجتمعات،

(١) سورة القمر، الآية ٤٩ .
(٢) سورة الطلاق، الآية ٤ .
(٣) سورة الفرقان، الآية ٢ .
(٤) سورة الرعد، الآية ٨ .

وتبتلع كل جهد مبذول للتنمية، وتزيد من أعباء الديون الخارجية، وتقف عثرة أمام أي جهود إصلاحية في التعليم وفي الصحة . . الخ .

ومنها أيضاً مشكلة التلوث بكل أشكاله وصوره المادي والمعنوي، وسوف نتناول مشكلة التلوث في فصل قادم مستقل بذاته .

١ . ٢ . ٣ الاستثمار الأمثل لمكونات البيئة ومصادرها الطبيعية

من المصادر البيئية الطبيعية ما هو متجدد، ومنها ما هو غير متجدد، وفي كلتا الحالتين، فإن الإنسان مطالب بالمحافظة على هذه المصادر ليضمن استمرار عطائها أطول فترة ممكنة للحياة على الأرض، وعدم استنزافها أو إهدارها لأن في هذا السلوك حرمان لأجيال مقبلة من هذا المورد، مما يؤثر على حياتهم ومستوى معيشتهم وقد يؤدي الى موت الكثيرين منهم .

والواقع إن تطور علوم البيئة له العديد من العوامل التي يمكننى أن أوجزها فيما يلي :

١ ـ مشكلة التزايد السكاني في العالم، وبخاصة في دول العالم الثالث التي تعاني من المشكلات الاقتصادية والصحية والغذائية والاجتماعية وما بها من موارد غير قادرة على العطاء، ولكن الواقع غير ذلك إذا أن الموارد الأرضية تكفي لأضعاف السكان الحاليين (على سبيل المثال نجد أن دولة السودان تكفي لتأمين الأمن الغذائي لسكان العالم الإسلامي أجمع لكن المشكلة هنا في كيفية تنمية الموارد وأسلوب توزيعها وإمكانية السيطرة عليها من قبل البعض خاصة أنه ومن المتوقع أن يصل التعداد إلى ما يقرب من ٥ر٦ بليون نسمة في سنة ٢٠٠٠م[١] .

(١) عز الدين الدنشاوي وصادق أحمد طه، سموم البيئة، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م، ص ١٩ ـ ٢٠ .

٢ ـ انتشار الفقر والمجاعات والأمراض وتفاقم المشكلات الاجتماعية في العديد من دول العالم، وبخاصة دول العالم الثالث، مع تخلف هذه الدول عن مواكبة التقدم العلمي والتقني.

٣ ـ تناقص الغابات بسبب اقتلاع الأشجار واستخدام أخشابها كمصدر للطاقة وفي عمليات البناء وأغراض أخرى، وتقلص مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، وتعرض الكثير من الأراضي الزراعية لظاهرة التصحر التي تهدد الثروة الزراعية. بالإضافة إلى ذلك فإن هناك مشكلة زيادة مساحة الرقعة الصحراوية مع تناقص عدد الحيوانات وانقراض بعضها.

٤ ـ التقدم المذهل في الصناعات وما نجم عنه من أضرار للإنسان بسبب تلوث الهواء ومياه الأنهار والبحار والنباتات وغذاء الإنسان والحيوان، بالإضافة إلى التلوث الناجم عن عمليات أخرى مثل مكافحة الآفات الزراعية بالمبيدات الحشرية التي أدت إلى تلوث المحاصيل الزراعية والمياه والتربة وإصابة الإنسان والحيوان بالأمراض، وهناك تلوث للبيئة ناجم عن استخدام المواد الكيميائية والأسلحة النووية في الحروب وأسلحة الدمار الشامل، يضاف إليه تلوث الهواء والماء الناتج عن عمليات التخريب في الحروب. ولقد أدى سوء التخطيط لبرامج التصنيع، وبخاصة فيما يتعلق بمواقع إنشاء المصانع، إلى تلوث مياه البحار والأنهار والبحيرات، ولقد ترتب على ذلك التلوث نقصان في إنتاجية الأحياء المائية وقلة المواد التي يحصل عليها الإنسان من جوف البحار، ولقد أدى تلوث المياه بمخلفات المصانع من مواد كيميائية سامة إلى إصابة الإنسان والحيوان والنبات بأمراض وتشوهات مثلت خطورة على حياة الفرد وكيان المجتمع.

٥ ـ أدى التقدم الكبير في وسائل النقل والاتصالات على الصعيدين المحلي والدولي إلى تفاقم مشكلات تلوث البيئة وإصابة الإنسان بالأمراض، بالرغم من أن هذا التقدم قد حقق إنجازات هائلة فيما يتعلق بتبادل الفكر والمعرفة والعلوم والأبحاث والخبرات والثقافات بين مختلف الدول.

٦ ـ زيادة احتياجات الإنسان الأساسية والضرورية في ظل التقدم العلمي والتقني، مما أدى إلى نشوء مشكلات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية خطيرة.

٧ ـ اهتمام برامج التعليم في العديد من دول العالم بالنواحى المادية والحسية مع تقلص الاهتمام بالعلوم الإنسانية والمواد الدينية والتربوية، ويعتبر هذا التقلص من أبرز الدوافع التي أدت إلى تضخم مشكلة الإدمان على المخدرات، والتي أصبحت من أخطر المشكلات التي يواجهها العالم اليوم.

٨ ـ ظهور مشكلات جديدة أضافت أحمالا أخرى على بيئة الإنسان، مثل مشكلة نقصان طبقة الأزون وما يترتب عليها من أضرار على حياة الكائنات التي تعيش على سطح الأرض، بالإضافة إلى الأمراض الخطيرة التي شكلت خطراً داهماً على حياة الإنسان وعلاقاته الاجتماعية مثل مرض الإيدز.

تعتبر هذه العوامل التي أوجزناها في النقاط السابقة هي أبرز العوامل التي أدت إلى تطور علوم البيئة واستحداث التخصصات والدراسات التي تبحث في سبل النهوض بالبيئة وحمايتها والمحافظة على ثرواتها من نباتات وحيوانات برية وبحرية، وأشياء أخرى تمثل جانبا كبيرا من راحة الإنسان ورفاهيته والنهوض بمستواه الفكري والعلمي والثقافي.

وإذا كنا نلاحظ في الوقت الحالى اهتمام دول العالم أجمع بالبيئة وبخاصة دول الغرب، فنجد أن العلماء المسلمين قد سبقوا دول العالم في الاهتمام بالبيئة .

فإذا كان الاهتمام الدولى بالبيئة وحمايتها والمحافظة عليها من التلوث أخذ الكثير من المؤتمرات والمؤلفات العالمية فعلى سبيل المثال انعقدأكبر مؤتمر قمة عالمية في تاريخ البشرية في مدينة «ريودي جانيرو» البرازيلية عام ١٩٩٢[١] للنظر في المشكلات البيئية التي تهدد سلامة الإنسان واستمرار الحياة على كوكب الأرض، والاتفاق على معاهدات تنظيم واجبات الدول في مواجهة مختلف أشكال الخلل البيئي، لكن الضوابط والمعاهدات الدولية التي توصل إليها المجتمعون لم تحقق حتى الآن التوازن المطلوب بين طموح الإنسان علمياً وتقنياً واقتصادياً من جهة، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من جهة أخرى .

رغم هذا الاهتمام نجد أن الدين الإسلامي الحنيف كان سباقاً دائماً إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامي حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسؤولية الإنسان حيال البيئة التي يعيش فيها :

١ . ٢ .٣ . ١ المبدأ الأول

فهو «درء المفاسد» حتى لا تقع بالبلاد والعباد وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة، حيث لا ضرر بالنفس، ولا ضرر بالغير .

---

(١) احمد فؤاد باشا، علوم منسية في تراث المسلمين، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، العدد ٨١، السنة ٢١ ، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م، ص ٩٥ـ٩٦ .

١ . ٢ . ٣ . ٢ المبدأ الثاني

هو «جلب المصالح» وبذل كل الجهود التي من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية، وأهم ما يميز هذا المنهج الإسلامي الرشيد هو الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب والقلق في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للحياة والأحياء في هذا الكون، كذلك يتميز المنهج الإسلامي بأن جعل النظافة والطهارة مقترنين بالإيمان، واعتبر التلوث نجاسة كريهة، ونهى الرسول ﷺ عن البول في الماء، فقال: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ فيه منه»[١].

كما جاء في الحديث الشريف: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل»[٢].

وقد ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تسبب الأمراض الوبائية المتوطنة وتساعد على انتشارها، ولاشك أن النهي عنها ينسحب على جميع الملوثات الأخرى التي تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات.

ويزخر التراث الإسلامي بمؤلفات عديدة حول البيئة وسلامتها من جوانب مختلفة فنجد على سبيل المثال: «رسالة الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء» للكندي، وكتاباً في» التحرز من ضرر الأوباء «لمحمد بن احمد التميمي، وكتاباً حول» فنون المنون في الوباء والطاعون» لابن المبرد، أما الرازي الطبيب فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضو الدولة في اختيار

---

(١) سنن الترمذي ١/ ١٠٠ رقم ٦٨.
(٢) سنن أبي داود ١/ ٧ رقم ٢٦.

موقع لمستشفى ببغداد، فاختار الناحية التي لم يفسد فيها اللحم بسرعة، وكانت المستشفيات بصورة عامة تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال، فعندما أراد السلطان صلاح الدين أن ينشيء مستشفي في القاهرة اختار له أحد قصوره الفخمة البعيدة عن الضوضاء، وقد ألف الرازي رسالة في تأثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعاً لذلك، بينما تحدث أبو مروان الأندلسى في كتابه» التيسير في المداواة والتدريب» عن فساد الهواء الذي يهب من البرك والمستنقعات ذات الماء الراكد، وجاء في كتاب» بستان الأطباء وروضة الألباء» لابن المطران الدمشقى ما يؤكد ضرورة مراعاة تأثير البيئة عند تشخيص المرض، وخصص ابن القيم في كتابه «الطب النبوى» فصلاً عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهوائى، والاحتراز منها، وقد لخص الفصل بقوله :

«والمقصود : أن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون، وأن فساد جوهر الهواء هو الموجب لحدوث الوباء، وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة، لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليها، كالعفونة والنتن والسمية، في أي وقت كان من أوقات السنة، وإن كان أكثر حدوثه في أواخر فصل الصيف وفي الخريف غالباً . . . »[1].

هكذا نرى أن الشريعة الإسلامية والتراث الإسلامي كانا سباقينً للمؤتمرات الدولية والمؤلفات العلمية والتعاريف والمفاهيم والمصطلحات التي تناولت مفهوم البيئة ومكوناتها وأقسامها وعناصرها ومشكلاتها قبل النداءات الحديثة التي تطالب العالم باستراتيجية لحماية البيئة من الفساد والتلوث.

---

(١) ابن القيم الجوزية، الطب النبوى، دار مكتبة الهلال، بيروت، بدون تاريخ للنشر، ص ١٠٨.

ملخص ذلك قوله تعالى : ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[1] .

(١) سورة الروم، الآية٤١ .

الفصل الثاني
نظرة الإسلام إلى البيئة

الفصل الثاني

نظرة الإسلام إلى البيئــة

الإسلام دين سماوى منزل يتمثل في منظومة للحياة الكاملة تعتمد على أسس مرجعية محددة في كتاب الله المقروء ـ القـرآن الكـريم .

وفي كتاب الله المنظور المتمثل في إبداع الخالق والتفكير في قدرته ، والإسلام عبادة أساسها الفكر والتأمل والتعمق في الوصول إلى الله وفي جنباته :

١ ـ أسلوب حياة يهدي به الله إلى حياة مستقرة ومنتجة بإذنه .

٢ ـ وسبيل للوصول إلى الكمال الإنساني الذي يتأتى بمعرفة الله .

٣ ـ واستخلاف في ملك الله محافظ على ما ائتمن عليه لنفسه ولمن يأتي بعده والاقتراب من العلاقة بين الإسلام والبيئة والإنسان يقتضى الرد على سؤالين :

أ ـ هل في الإسلام قيم تؤدي الى حماية المصادر والبيئة والحفاظ عليها لمصلحة الإنسان؟

ب ـ هل يمكن أن نستفيد من التشريعات الإسلامية بما يساعد على التخطيط للتنمية السليمة لخير البشر على الدوام؟[1]

والإجابة نعم إن الإسلام منظومة متكاملة نزلت نعمة للبشر مرجعيتها متاحة في القرآن الكريم والحديث الشريف وإجماع الأئمة واجتهاد العلماء

---

(١) صفي الدين حامد ، المجلة الأمريكية للزراعة وسلوكيات البيئة ، واشنطن ، ١٩٩٦ ، ص ١٢ .

إلى يوم الدين وفي مضمونها ما يحدد أسلوب التعامل بين البشر وبين الإنسان ـ المستخلف على الأرض وما فيها من مصادر وقدرات «الأرض والماء والهواء والكائنات وما فيها من كوامن» ـ وهو يبين دور الإنسان في الدنيا وعلاقته بها مالكاً ومسيطراً ومديراً ومستهلكاً لها ومحافظاً على البيئة في نفس الوقت وعلى جمال الطبيعة ومانعاً لتلوث كل ما كلف بإدارته .

يخبرنا القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة أن البيئة «بجميع مكوناتها» أرضاً وسماء وما فيهما وما بينهما ملك لله تعالى وأنها أعطيت للإنسان على سبيل «الأمانة» ليس إلا ، فهو يتحمل مسؤولية حمايتها ورعايتها ، وهي تشكل ميدان اختبار لأخلاق الإنسان ومدى التزامه بالمنهج الإلهى فى أداء الرسالة التي من أجلها خلق ، ولهذا فالبيئة والطبيعة والكون وفق المعطيات القرآنية «قد سخرت للإنسان تسخيراً وأن الله سبحانه حدد أبعادها وقوانينها ونظمها وأحجامها بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخدمة الإنسان في العالم ، وقدرته على التعامل مع البيئة تعاملاً إيجابياً وفعالاً ، والآيات الخاصة بمسألة التسخير «المتوازن» المناسب في مواضع كثيرة من القرآن الكريم يصعب حصرها .

والواقع إن الإسلام ينظر الى البيئة على أنها حق للإنسان لأن من الخصائص الرئيسية لشريعة الإسلام ، الإنسانية[1] ، أنها دين الإنسان ، الإنسان الذي هو مخلوق لله ذو مكانه خاصة ، فهو أكرم المخلوقات على الله تعالى ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾[2] .

(١) يوسف القرضاوى ، الخصائص العامة للإسلام ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٥١ ـ ٥٢ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

ومن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان وتحقيق الخير له، أن سخر الله ما في الكون من مخلوقات وآيات : فقد جعل له السماء سقفاً محفوظاً، وجعل له الأرض بساطاً وفراشاً، وسخر الشمس تمده بالدفء والضياء، وسخر القمر له نوراً وحسباناً، وجعل الليل سكناً وراحة ، وسخر الله له النهار للسعي والعمل ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات والزروع مختلفة الطعوم والأشكال والألوان ، وسخر له البحر يحمل سفنه التي تنقله من مكان إلى آخر ويستخرج منه الطعام والحلي، وأجرى له الأنهار ليشرب منها والحيوان والزروع .

والآيات القرآنية في هذا المعنى عديدة . فقال سبحانه وتعالى : ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾[2] .

ويدل العديد من الآيات القرآنية على اهتمام الإسلام بالبيئة للإنسان[3]، فمن تلك الآيات الكريمات، يبدو أن الله تعالى إذا كان قد بسط وهيأ موارد الكون لمنفعة الإنسان ، فلا يستعصي أي شيء منها عليه، إذا تيسرت سبله وروعيت سنن الله فيه، فإن هذا يعني أن للإنسان «حقا» على تلك الموارد وهو حق بالمعنى الواسع للفظ ، يشمل سلطة الانتفاع بها، بل وسلطة المطالبة بالحفاظ على السنن ، أي النظم والقوانين الطبيعية التي أوجدتها الحكمة الإلهية لتسير عليها ، وعدم تبديلها أو الاخلال بها ، لما

(١) سورة لقمان، الاية ٢٠ .
(٢) سورة الحج ، الآية ٦٥ .
(٣) أنظر الآيات والسور الآتية : سورة إبراهيم الآيات ٣٢ـ٣٤ ، سورة الجاثية الآيتين ١٢ـ١٣ ، سورة الملك الآية ١٥ ، سورة لقمان الآية ٢٠ ، سورة النمل الآية ٦٤ ، سورة ص الآية ٣٦ .

في ذلك من مساس بحقه ، قال تعالى : ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾[2] .

هذا فضلاً عن النهي القاطع عن الإفساد في الأرض ، بما يدعم الحفاظ على الحق الإنساني في البيئة ومواردها .

وهكذا قرر الإسلام ، وقبل أن تسمع الدنيا عما يسمى بحقوق الإنسان بألف وأربعمائة عام ، حق الإنسان في البيئة ومواردها سليمة ومتوازنة كما خلقها الله تعالى ، وهذا الحق ليس منحة من قانون وضعي لدولة محددة ، أو منّةً يقررها ميثاق دولي أو معاهدة جماعية . إنما هو حق مثل باقي حقوق الإنسان في الإسلام[3] . فهو حق ثابت دائم بحكم الطبيعة والشريعة معاً .

ولا أدل وأعمق في الاعتراف بمثل هذا الحق «البيئي» من أن الله سبحانه وتعالى قد جعل «صاحب» هذا الحق وهو الإنسان خليفته في رعاية وصيانة «محل»ذلك الحق وهو الأرض أو البيئة[4] .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٦٢ .

(٢) سورة فاطر ، الآية ٤٣ .

(٣) حول حقوق الإنسان في الإسلام أنظر : عبد الوهاب عبد العزيز الشيشانى ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة ، الطبعة الأولى ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٠م .

(٤) احمد عبد الكريم سلامة ، الإسلام وفكرة حق الإنسان في البيئة ، مجلة منار الإسلام ، دبي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة والعشرون ، ربيع الثاني ١٤١٨هـ ـ أغسطس ١٩٩٧ ، ص ٥٠ ـ ٥٢ .

ولقد نظر الدين الإسلامي إلى البيئة من خلال استخلاف الإنسان في عمارة البيئة والكون ، لأنه اعتراف «بحق الإنسان» في البيئة ومواردها ، فقد استخلفه الله تعالى في إدارتها ووصاه على أمانتها ، فإذا كان المولى جلت قدرته قد خلق الكون وبيئته ، فهو لم يخلقه باطلاً أو عبثاً ، بل لحكمة ولغاية قدرها . قال تعالى : ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾[1] وقال سبحانه : ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾[2] وقال عز وجل : ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾[3] وقال تعالى : ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾[4] . ثم بعد ذلك خلق الإنسان ، فذلك لغاية قضت بها حكمته الإلهية . والغايتان تلتقيان : تحقيق خلافة الإنسان في البيئة والكون .

إن الإنسان هو خليفة الله في الأرض ، يعمرها ويعمل على إصلاحها ، واتساع عمرانها ، وإظهار أسرار الله فيها ، وإقرار الخير والسعادة في مناحيها[5] .

ومهمة الخلافة وتعمير الأرض والحفاظ على بيئتها منزلة لا يستهان بها فقد كانت الملائكة ترغب في النهوض بها ، بدلاً من الإنسان ، غير أن الله

---

(١) سورة ص ، الآية ٢٧ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٦ .
(٣) سورة الحجر ، الآية ٨٥ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٩١ .
(٥) محمود شلتوت ، من توجيهات الإسلام ، الطبعة السابعة ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٣م ، ص ١٢٧ .

تعالى منعهم منها، وأولاها الإنسان[1] وتلك الخلافة تكرس مبدأ حق الإنسان في البيئة وموارد الكون .

استخلاف الإنسان في البيئة الكونية ليستفيد منها ويدير مواردها فيما ينفعه وينفع غيره، وسائر مخلوقات الله ، أشارت إليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

ففي شأن استخلاف آدم، أول الخلق الإنساني، يقول الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون﴾[2] .

وفي معنى إني جاعل في الأرض خليفة ، يتفق المفسرون على أن المراد إظهار تكريم الله للإنسان وتفضيله على الملائكة في الخلافة في الأرض ، وهي خلافة تعني أن الله « أمكنه منها وجعله صاحب سلطان فيها»[3] .

أليس في هذا التمكين والإقرار بهذا السلطان التأكيد والاعتراف بفكرة حق الإنسان في بيئة الأرض والكون جميعاً .

وفي خصوص استخلاف قوم نوح بعد حادث الطوفان قال تعالى : ﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾[4] .

---

(١) يوسف القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام ، دار الفكر للنشر ، ١٩٨٥م، ص ٦٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد الأول ، الطبعة التاسعة ، بيروت : دار الشروق ، ص ٩ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ٦٤ .

وفي شأن استخلاف عاد قوم هود بعد نوح وقومه ، قال تعالى : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾[1] .

وفي شأن استخلاف ثمود قوم صالح ، من بعد عاد قوم هود قال تعالى : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[2] . وقال تعالى : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[3] .

وفي خصوص استخلاف داود وقومه قال تعالى : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾[4] .

وفي شأن استخلاف بني آدم جميعاً ، وأمة آخر الرسل محمد ﷺ يقول الله تعالى : ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾[5] .

وفي السنة النبوية المطهرة روي ابن عساكر بسنده عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «إن الملائكة قالوا : ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم فجعلتهم

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٦٩ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٧٤ .
(٣) سورة هود، الاية٦١ .
(٤) سورة ص، الآية ٢٦ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية ٦١ . وانظر سورة الحديد، الآية ٧ . سورة النور، الآية ٥٥ . سورة فاطر ، الآية ٣٩ . سورة النمل، الآية ٦٢ . سورة يونس ، الآية ١٤ .

يأكلون الطعام ويشربون الشراب ويلبسون الثياب ويأتون النساء ويركبون الدواب وينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شيئاً ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال عز وجل في حديث قدسي : «لا أجعل من خلقت بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان»[1] .

وفي هذا الحديث دلالة على أن الله تعالى لم يكرم بني آدم فقط بخلقه بيديه ، ونفخه فيه من روحه القدسية ، بل كذلك بما تحدثت به الملائكة ، من التمتع بما بث الله في الكون والبيئة من منافع ونعم ، وكلها تقطع بما للإنسان من حقوق ومصالح في البيئة السليمة المتوازنة والتي هيأها الله الخالق وزودها بكل ما هو ضروري لحياة وسعادة خليفته في الأرض ، الإنسان .

بيد أن استخلاف الإنسان في الأرض لا يعني تقرير «حقه» تجاهها ، وهو أمر لم تصل إليه الأنظمة والقوانين الوضعية إلا حديثاً .

والحقيقة أن الإسلام قد اعتبر موارد البيئة تراثاً مشتركاً يتقاسم الجميع الانتفاع به ، فلا يستأثر به شعب دون شعب ، أو فرد دون فرد ، ولا يختص به جيل دون جيل ، وبالنظر إلى الوظائف التي تقوم الموارد البيئية على أدائها ، فقد حرّم الإسلام العدوان عليها سواء باستنزافها أم بتلويثها ، لما في ذلك من تعطيل لها عن الوفاء بما خلقت له ومن ثم تعطيل للحياة ذاتها على الأرض . بل لقد حثت التعاليم الإسلامية على تنمية تلك الموارد وتطويرها . وهذا هو جوهر فكرة «واجب» الإنسان تجاه البيئة ، المقابلة لفكرة «حق» الإنسان في البيئة .

---

(١) رواه ابن عساكر ، وسكت عنه السيوطي ، جامع الأحاديث للأمام السيوطي ، الجزء الثانى ، ص ٦٨٩ .

وهذه المقابلة بين «الواجب» و «الحق» في البيئة تعكس أحد جوانب الوسطية الواقعية في دين الإسلام . فإذا كان هذا الدين الحنيف يعترف للإنسان بحقوق ينبغي حمايتها فهو يقرر عليه واجبات يلتزم بأدائها ، فكل حق يقابله واجب ، كما أن كل واجب يقابله حق .

فإذا عدنا إلى فكرة استخلاف الإنسان في الأرض والتي عرضناها من قبل ، فنجد تأكيداً للتلازم بين الواجب والحق في البيئة .

فتدبر حكمة الاستخلاف يبصر بأنه استخلاف ليس فقط بالانتفاع بما بث الله في الكون من موارد وخيرات بل إنه استخلاف مسؤول ، حيث إن على المستخلف أن يعمل :

١ ـ على تنمية ما هو مستخلف فيه ، كى يتحقق المعنى الحقيقى للخلافة . فالموارد والثروات التي أودعها الله تعالى في البيئة إن لم يتم تنميتها ستفنى باستهلاك الجيل الحاضر دون الأجيال المقبلة .

ومن هنا كانت الدعوة إلى إثراء الأرض والعمل على عمارتها ، قال تعالى : ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[1] .

والاستخلاف والاستعمار في هذه الآية الكريمة متلازمان . فالدعوة صريحة إلى عمارة الأرض . ومعلوم أن الألف والسين والتاء إذا دخلت على الفعل فهي تعني الطلب . وإن كان الطلب من قبل رب العالمين ، فهو طلب جازم يرقى إلى مصاف الأمر . وقد طلب الله تعالى من الإنسان عمارة الأرض وهكذا يقتضي بذل الجهد ليس فقط في الحفاظ على ما خلق الله وبث في الأرض من ثروات ، بل أيضا في تنمية تلك الثروات والبحث في أسبابها وأسباب ازدهارها .

(١) سورة هود، الآية ٦١ .

والربط بين الخلافة في الأرض والطلب اللازم بعمارتها في الآية السابقة لا يعني فقط مجرد الدعوة، بل يوحي بأن الأمر يتعلق «بواجب» و «التزام بعمل» وهذا الواجب أو الالتزام يستوجب المسؤولية عند التقاعس عن أدائه أو الوفاء به . فالإنسان في موضع «الملتزم بعمل » يتعين أن يقوم به ، والله يرقبه : أدى أم أهمل . والآيات القرآنية دالة بوضوح على ذلك . قال تعالى : ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾[1] .

فالخلافة من أجل العمل وليس أي عمل ، بل العمل الذي يثري الحياة، ويصلح منها ويبقيها .

وفي معنى قول الله تعالى : ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾[2] .

يقول الفقهاء أنه مما لاشك فيه أن الإبقاء على الحياة يتطلب عملاً دائباً لتحقيق أمن الحياة وصيانتها من الاعتداء كما يتطلب توفير وسائل العيش من غذاء وكساء ومأوى ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ بتوفير أسباب البقاء والتناسل، وتوفير أسباب البقاء والتناسل لا يتحقق إلا بالعمل .

والعمل فيما سخر للإنسان في كون الله ، بالبحث والكشف والتجريب والملاحظة . وهكذا نجد الدعوة إلى ممارسة أسباب إحياء الناس بالبحث والعمل منذ بداية الحياة البشرية»[3] .

(١) سورة يونس، الآية ١٤ .
(٢) سورة المائدة، الآية ٣٢ .
(٣) عمارة نجيب ، قصص القرآن ومصالح الناس ، مجلة منبر الإسلام، القاهرة ، العدد الثاني ، السنة ١١ , ١٤٠٦هـ ، ص ٢٤ .

٢ ـ على الإنسان أن يمتنع عن الإفساد في الأرض والبيئة . وهذا «التزام بامتناع» عن إتيان الأعمال الضارة . فالخلافة في الأرض وتبوؤها والعيش في مناكبها يلازمها الامتناع عن إفسادها والإضرار بمواردها قال تعالى : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[1] .

وهذه الآية جلية في أن الخلافة في الأرض والتمكن منها واستعمارها، ينافيها السعي فيها بالفساد ، ولذلك نهى رب العزَّة عن هذا الأخير ، وأمر بإصلاحها ودفع عوامل الفساد عنها .

أرأيت أقطع من ذلك بياناً في إقرار فكرة «الواجب» البيئي ، المقابلة لفكرة «حق» الإنسان البيئي من منظور إسلامي . أضف إلى ذلك البيان أنه من المعروف أن الفقه الإسلامي يقسم الأشياء من حيث إمكانية حيازتها إلى ثلاثة أقسام ذكرناها من قبل ، وقد يمكن القول لدى أنصار الفكر الوضعي حول حق الإنسان في البيئة أن للإنسان «حق ملكية» على القسمين الأول والثالث من موارد البيئة الطبيعية ، وبالتالي يكون له السلطات المتفرعة عن ذلك الحق وهي : سلطات الاستعمال والاستغلال والتصرف .

وهو حق ملكية يجب حمايته ، كما يقرر ذلك الفكر الرأسمالى الليبرالي .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٧٤ .

غير أن هذا التكييف لا يبدو مستقيماً من منظور الإسلام . وبيان ذلك نعرضه من زاويتين

الزاوية الأولـى : فكرة الحقوق العينية وموارد البيئة

لا خلاف في أن حق الملكية مقرر ومنظم في الفقه الإسلامي غير أنه في شأن الموارد البيئية التي تندرج في القسمين الأول والثانى ، أي الموارد التي يمكن حيازتها والموارد المباحة التي ليست في حيازة أحد لكن يمكن حيازتها ومع التسليم في ورود حق الملكية عليها ، فإنه يتعين على المالك التقيد بالقواعد الشرعية في استعمالها واستغلالها والتصرف فيها .

ومن تلك القواعد قاعدة «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» فإذا كان للمالك استعمال واستغلال الموارد البيئية التي تدخل في ملكه ، لتحقيق مصلحته ومنفعته فيجب ألا يـؤدي ذلك إلى الإضرار بالغير وبتلك الموارد ذاتها . فمن يستخدم المبيدات الكيميائية لحماية محصولاته ومزروعاته ، أو من يشغل مصنعاً تصدر عنه أصوات مزعجة أو من يستخدم سيارة ينبعث عنها غازات وأدخنة سامة ، يجب منعه من ذلك ، أو إلزامه باتخاذ التدابير التي تكفل عدم الإضرار بالغير . فجلبه مصلحة لنفسه لا ينبغي أن يكون على حساب المضار التي تلحق بغيره .

ومن القواعد الشرعية كذلك قاعدة «الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأخف» وفي الأمثلة السابقة ، إذا كان يترتب على حظر استخدام المبيدات الكيميائية نقص في المحصول أو الالتزام بالحد من نشاط المصنع ضرر لشخص في نفسه أو في ماله ، فذلك ضرر أخف ينبغى تحمله في سبيل منع الأضرار الصحية وغيرها التي تلحق بمجموع الناس .

ولا ريب في أن هاتين القاعدتين وغيرهما تهذب من سلطات الإنسان على موارد الطبيعة وتحمله على الحفاظ عليها وتوضح لنا نظرة الإسلام للبيئة، حتى وإن كان له عليها حق ملكية بالمعنى المعروف.

ولا ينافي الحقيقة القول إن مبادئ الإسلام تقرر أن الإنسان ليس مطلق الحرية في التصرف في المال الذي تحت يده. فلا يسوغ له باسم تلك الحرية، أن يضر نفسه أو يضر الصالح العام، بل عليه التزام حدود الشرع الخاصة بتحصيل المال وإنمائه والانتفاع به.

فحق الملكية له وظيفة اجتماعية، وليس حقاً فردياً، يعطي لصاحبه سلطة الانتفاع أو التصرف دون حسيب. ومقتضى الوظيفة الاجتماعية لحق الملكية، من ناحية أنه إذا تعارض ذلك الحق مع مصلحة عامة فإن هذه المصلحة هي التي تقدم. فالحق الفردي لا يجب أن يكون حجر عثرة في سبيل تحقيق المصلحة العامة، بل لولي الأمر أن ينزع المال ممن لا يلتزم في تصرفاته التوجيهات الشرعية، احتفاظاً بحق المصلحة العامة فيه، ورعاية لحق الله في ملكه إياه، وهو حق ينبغي صيانته من العبث به. ومن ناحية أخرى أنه إذا تعارض حق المالك مع مصلحة خاصة هي أولى بالرعاية من حق المالك فإن هذه المصلحة الخاصة هي التي تقدم بعد أن يعوض المالك تعويضاً عادلاً. وكما يقرر جمهور الفقهاء «فإن ملكية الفرد للمال ليست مطلقة كما ينادي أنصار المذهب الحر، بل هي مقيدة بحدود الله وحقوق المجتمع حتى إن انتزاع هذا الملك من صاحبه يجوز للمصلحة العامة على أن يعوض عنه ثمن المثل»[1].

---

(١) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ص ١٣٨.

هذا عن حق الملكية . بيد أنه لا يتجاوز روح التشريع الإسلامي الانتهاء إلى أن القواعد والمبادئ الإسلامية المنظمة لاستخلاف الإنسان في الأرض، تنزل بحق الإنسان على موارد البيئة من «حق الملكية»إلى مرتبة «حق انتفاع» فقط ، والذي تقل فيه سلطات صاحبه عن سلطات المالك .

ولا يبدو هذا التحليل غريباً ، إذا عرفنا أن بعض فقهاء المذهب المالكى يرون أن الملكية ، بوجه عام، لا ترد إلا على المنافع فقط . أما الأعيان ، أي موارد وثروات البيئة ذاتها ، كأعيان ، فملكيتها لله سبحانه وتعالى ، ولا ملك للإنسان فيها في الحقيقة والواقع فهم يقولون إن سلطان الإنسان لا يكون على المادة ، وإنما محله منافعها فقط[1] .

ولعل مما يؤكد ذلك أن الله تعالى أضاف المال إلى نفسه ، وجعل الحائزين له مستخلفين في إدارته . فقد قال تعالى : ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾[3] .

والقرآن الكريم فيه العديد من الآيات القرآنية الدالة على ذلك[4] .

---

(١) محمد سلام مدكور ، المدخل للفقه الإسلامي ، دار النهضة العربية، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ٤٧٣ .

(٢) سورة الحديد، الآية ٧ .

(٣) سورة النور، الآية ٣٣ .

(٤) أنظر السور الآتية : سورة طه ،الآية ٦ . سورة المائدة، الآية ١٢ . سورة الحج ، الآية ٦٤ . سورة آل عمران، الآية ١٠٩ . سورة النور، الآية ٤٢ . سورة الفرقان، الاية ٢ . سورة النساء، الآية ١٧٠ . سورة المائدة، الآية ٤٠ . ، سورة آل عمران، الآية ٢٦ . سورة آل عمران، الآية ١٨٠ . سورة البقرة، الآية ٢٩ . سورة فاطر، الآية ١٥ . سورة سبأ، الآية ٢٤ . سورة الشعراء، الآيات ١٣٢ ـ ١٣٤ .

وتدل تلك الآيات الكريمات على أن جميع ما في الكون ملك لله جل وعلا، خلقاً وملكاً وتصرفاً . وإذا كان كل شيء على الأرض ملك لله تعالى، فهذا لا يدل فقط على أن الإنسان ليس بمالك لما في هذا الكون من ثروات وخيرات ، بل كذلك على أن مآل هذا المال راجع إلى الله تعالى ، فهو صاحبه ووارثه بعد زوال الحياة على الأرض ، وفناء أصحاب حق الانتفاع، وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾[1] . ﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾[2] .

وليس من المتعذر القول بأن فكرة «حق الانتفاع» تبدو أكثر قبولاً من ناحيتين :

أولا : أنها تؤكد أن موارد البيئة وثرواتها هي عطاء الله للبشر ، وفضل منه . ومن ثم لن يكون الانتفاع بها قاصراً على شخص دون آخر . كما أن المنتفع لا يسوغ له إهدار أو تدمير أصل أو عين المال الذي ينتفع به ، لأن سلطة التصرف الشرعي والمادي لا تكون للمنتفع بل لمالك العين أو الرقبة .

ثانيا : أنها تفيد الطابع المؤقت لاستخلاف الإنسان في الكون . فهذا التأقيت من خصائص حق الانتفاع ، دون حق الملكية وبالتالي تتأكد فكرة حق الانتفاع بالموارد البيئية . وتلك المحدودية الزمنية دل عليها القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[3] .

---

(١) سورة مريم، الاية ٤٠ .
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٠ .
(٣) سورة البقرة، الآية ٣٦ .

ويفيد الطابع المؤقت لحق الانتفاع في ضبط سلوك الإنسان في تعامله مع موارد الطبيعة وثرواتها . ذلك أن تلك الموارد والثروات ليست ملكاً لجيل دون جيل ، بل هي ملك للأجيال التالية[1] . وهذا يقتضي الحفاظ عليها وصيانتها من الأنشطة الملوثة التي تضر بها ، وعدم الإسراف والجور في استغلالها ، حتى نورثها سليمة قادرة على الإنتاج والتكاثر للأجيال القادمة . فمن واجب الإنسان تجاه نعم الله تبارك وتعالى ، التي بثها في الطبيعة ، الشكر والثناء بطريقة تتناسب مع طبيعة تلك النعم ، وهو ما يكون بالمحافظة عليها ، والترشيد في استهلاكها ، حتى تعمّر للأجيال والأمم اللاحقة .

الزاوية الثانية : فكرة الوكالة والأمانة في إدارة البيئة

إذا لم يكن الإنسان مالكاً لموارد وثروات البيئة على النحو السالف ، وإنما منتفع فقط بها ، فلا غرو أن ننتهي من المنظور الإسلامي إلى أن الإنسان «وكيل» عن الجماعة في رعاية وتثمير المال الذي بين يديه[2] . فالحفاظ على استمرارية أداء وإنتاجية الموارد البيئية ، يوجب تكييف سلطة الإنسان في تعامله مع تلك الموارد بأنها سلطة «إدارة» من جانبه لصالح الأفراد الآخرين .

نستخلص مما سبق إلى نظرة الشريعة الإسلامية للبيئة من خلال :

١ ـ القــرآن الكريم .

---

(1) BA-Kader & Others : Islamic Principals For The Conservation Of The Natural Environment , IUCN - Meba , gland , Switzerland , 1983 , P.P. 13 - 14 .

(٢) محمد البهي ، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ، مكتبة وهبة ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

٢ ـ السنة النبوية المطهرة .

٣ ـ إجماع فقهاء الإسلام .

١ ـ القـــرآن الكريم

إن بيئتنا التي أنعم الله علينا بها ومنحنا إياها ، يتعين علينا أن نسعى لحمايتها والمحافظة عليها لتؤدي دورها كما أراد الله تعالى ، وقد حذر جل شأنه كل من يسيء إليها أو يفسد فيها أو يبدلها . . . بالعقاب الشديد . قال تعالى : ﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب﴾[١] . ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[٢] . ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾[٣] . ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[٤] .

فالإسلام خاتم الرسالات الربانية إلى البشر تضمن قواعد وضوابط لسلوكيات البشر تجاه بيئتهم التي يعيشون فيها كي تتحقق العلاقة المتوازنة والسوية بين الإنسان وبيئته لتستمر الحياة كما قدر الله وحتى يرث الله الأرض وما عليها .

قال تعالى : ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[٥] .

فالإنسان مستخلف وليس مالكاً للبيئة ومواردها حتى يتصرف فيها على هواه دون ضوابط ، فالإنسان وصي على هذه الموارد البيئية لا مالك

---

(١) سورة البقرة / ١١٢ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٦٠ .
(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٦ .
(٤) سورة الروم، الآية ٤١ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٣٦.

لها ، مثلما هو مستخلف على نفسه وليس مالكاً لها فالإنسان ملك لخالقه .

وكون الإنسان مستخلفاً على إدارة واستثمار محيطه الذي يعيش فيه فعليه صيانته والحفاظ عليه من أي تدمير أو تخريب ، فأي شكل من أشكال الضرر سواء للبشر أو لغيرهم من المخلوقات قد نهى عنه الإسلام .

فالبيئة بمواردها الطبيعية لا تعتبر ملكاً خالصاً لجيل من الأجيال يتصرف بها كيفما يريد ، إنما هي ملك وميراث دائم للبشرية لا يستطيع أي جيل أن يدعي لنفسه ملك هذا الحق .

قال تعالى : ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[1] .

وفكرة العمل على ضمان وصيانة وبقاء استمرار البيئة بالعطاء على مدى الزمن قد طرحت حديثاً من خلال مفهوم «التنمية القابلة للاستمرار أو التنمية المستديمة» ومفهوم «تقييم الأثر البيئي للمشاريع» الذي يعني ضرورة إجراء تقييم لما قد تحدثه المشاريع للبيئة المحيطة بمنطقة المشروع بما في ذلك الإنسان ذاته ، فإذا تبين أن لهذا المشروع ضرراً لعناصر البيئة المحيطة يتم تعديله لتجنب إحداث الضرر ، وحتى إلغاء المشروع ، إن لم تتمكن الدراسات والتقنية المتوفرة حتى وقت إعداد المشرع ، من تجنب ومنع إحداث إضرار للبيئة ، على اعتبار أن الحفاظ على موارد البيئة مقدم على المنفعة الاقتصادية ، التي كثيراً ما قد تكون غير قابلة للاستمرار لإهمالها الاعتبارات البيئية ، فالمشاريع التنموية غير القابلة للاستمرار تكون ذات آثار بيئية سلبية والأضرار التي ستحدثها سيكون كلفة إصلاحها مرتفعة ، وقد تكون أضراراً غير قابلة للإصلاح وبالتالى تكون خطط التنمية فاشلة وذات أثر اقتصادي

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٦ .

سلبي على المواطنين المستهدفين بخطط التنمية وعلى اقتصاد الدولة ومواردها .

وصدق الله تعالى في قوله : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[1] .

٢ ـ السنة النبوية المطهرة

لقد اهتمت السنة النبوية المطهرة بالبيئة وعناصرها وقد وردت في هذا الصدد أحاديث كثيرة .

قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»[2] .

وقال رسول الله ﷺ : «ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عز وجل عنها يوم القيامة ، قيل : يا رسول الله وما حقها؟ قال : حقها أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمي به»[3] .

وقال رسول الله ﷺ : «من قتل عصفورا عبثاً عج إلى الله عز وجل يوم القيامة يقول : يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ، ولم يقتلني لمنفعة»[4] .

وقال رسول الله ﷺ : «إن قامت الساعة وفي يد أحد منكم فسيلة فليغرسها فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها»[5] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٥ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/ ٤٧٢ باب فضل الغرس والزرع .
(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٦١ رقم ٧٥٧٤ .
(٤) مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٨٩ رقم ١٩٤٨ .
(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ١٦٨ رقم ٤٧٩ .

وقال رسول الله ﷺ: «الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلأ والنار»[1]

وقد وبخ رسول الله ﷺ : «جماعة اتخذوا طائراً هدفاً لهم يصوبون إليه ضرباتهم»[2].

٣ ـ إجماع فقهاء الإسلام

لقد اهتم فقهاء المسلمين بالبيئة وسلامتها ، لأن العبادة ليست مقصورة على أداء الشعائر الدينية فقط بل تضم الأخلاق والصدق والأمانة وعدم الأنانية وحب الخير لكافة عباد الله إنها تضم العمل بكافة مبادئ الإسلام وتعليماته وتشريعاته في شتى شؤون الحياة . فإماطة الأذى عن الطريق صدقة وعبادة ، وحب الخير لأخيك كما تحبه لنفسك عبادة ، وعدم تلويث الهواء والتربة عبادة .

إن استغلال موارد البيئة بهدف مصلحة ذاتية بحته وإحداث ضرر بهذه الموارد وتغيرها وتشويهها وإيقافها عن العطاء واختفائها يعتبر أمراً منهياً عنه في الإسلام .

ومن القواعد الفقهية : «مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[3]، «وما أدى إلى حرام فهو حرام» ، «الضرر لا يزال بمثله أو بضرر أكبر منه » ، «ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح» .

أي أن منع الضرر والإفساد والأذى مقدم على أي منفعة عند استغلال موارد البيئة .

(١) سنن ابن ماجة ٢/ ٨٢٦ رقم ٢٤٧٢ .
(٢) رواه البخاري .
(٣) محمد غياث الأشرف ، حماية البيئة في الإسلام ، مجلة الأمن ، وزارة الداخلية ، المملكة العربية السعودية ، العدد ٤٢ ، ذو الحجة ١٤١٥هـ

وقد اعتبر فقهاء المسلمين الدخان بكل أنوعه مضراً فلقد جاء وصفة في القرآن الكريم بأنه عذاب أليم :

﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾[1] .

وقد احتكم أحد الأفراد إلى القاضي ابن القاسم المتوفي ١٩١هـ ضد صائغ أراد أن يبني مصهراً مجاوراً لحائط جيرانه ، فحكم رحمه الله بأن حق جيرانه منعه لما قد يسبب لهم من أذي وضرر بفعل الضجيج والدخان وخطر حدوث الحريق .

وقد سأل عدد من القضاة والفقهاء عن حالة أحد الأفراد والذي أقام مدبغة في بيته تنبعث منها الروائح الكريهة فتؤذى جيرانه وتسبب لهم الضرر ، فحكم بحق الجيران في إيقافه عن العمل وإزالة المدبغة لما تسببه من ضرر وأذى للجوار .

وورد في كتاب «الإعلان بأحكام البيان» لابن الرامي ، أن رجلا لديه فاخورة ـ مكان صنع الأوانى الفخارية والخزفية ـ أراد أن يضيف فرنا آخر لشي الفخار ، لتوسع الأعمال لديه فاعترض جيرانه على عملية التوسيع هذه لأنها ستزيد من كمية الدخان الصادر عن هذه الفاخورة وبالتالي زيادة حجم الضرر الذي يعانون منه أصلاً فحكم القضاء للجيران بمنعه من التوسع بفاخورته ، ومنع أي استحداث أو زيادة بمصادر التلوث القائمة حالياً .

وهناك مثل قديم دارج في بلاد الشام مفاده : «لا تؤذي جارك بكثرة نارك» .

---

(١) سورة الدخان ، الآيتان ١٠ ـ ١١ .

وقد وردت في العديد من كتب الفقه والقضاء حالات تقاض كان موضوعها التلوث البيئي فمثلا في حالة الأضرار التي تنتج عن مصادر سبق إنشاؤها أو يراد إقامتها ولم يتم الاعتراض عليها آنذاك فقد قضي القاضي ابن عبد الرافع المتوفى في ٧٣٣هـ بضرورة إيقافها درءاً لخطرها عن الأفراد سواءً كانت قديمة أو جديدة ، لأنه لا يمكن تبرير استمرار الضرر لقدمه .

وقد تفاوتت أحكام القضاة على مصادر التلوث بالإزالة أو عدم استحداث أية زيادة عليها ، حسب تقييم وتقدير القضاء للوضع الراهن من حيث الموقع وحجم الضرر القائم .

وقديماً أوكلت إلى المحتسب مهمة مراقبة تلوث بيئة المدينة والأسواق إضافة إلى مهامه التقليدية من مراقبة للوزن والكيل والقياس ونوعية البضائع ومنع الغش ، فالمحتسب قديماً يشبه اليوم موظف البلدية والصحة المكلف بمراقبة ومراعاة الشروط الصحية في الأسواق وما تضمه من مطاعم ومتاجر .

خلاصة القول

من المستحسن هنا أن نذكر بعض الحقائق الهامة حول نظرة الإسلام إلى البيئة ، ومنها :

١ ـ أن الشريعة الإسلامية ومن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع من فقهاء الإسلام وضعت تصوراً شاملاً للبيئة شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد والماء والهواء . وجعل الإنسان مكرماً على سائر المخلوقات وسخرت له ، انطلاقا من قاعدة الاستخلاف .

٢ ـ لقد أرست الشريعة الإسلامية مبدأ سد الذرائع إلى الفساد أيا كان نوعه تقييداً للتعامل مع البيئة بما يدرأ عنها المفسدة إبان التصرف السيء في

المباحات أو الحقوق ، فضلاً عن المجاوزة والعدوان ، وهو مبدأ عظيم الأثر في توثيق مصالح الأمة مادياً ومعنوياً بما يشمل موارد البيئة الطبيعية ، فيندرج تحت مضمون هذا المفهوم الحفاظ على البيئة .

٣ ـ إن الفقه الإسلامي ، تناول بالتنظيم والتأصيل ، عقوداً مهمة ، تتصل باستثمار الأرض مثل : عقد السلم والمزارعة والمساقاة وإحياء الأرض الموات . . مما يعتبر دليلاً بيناً على إن الإسلام قد أولى عنايته لهذه الموارد الطبيعية ليجعل من الأرض جنة الدنيا زراعة وغرساً وعمارة .

٤ ـ إن مفهوم الحماية في أصول الفقه واسع جداً ، يشمل : الإقامة والإيجاد للموارد ، إن لم يكن قائماً ، وتثبت قواعده ، أو استثماره بأنجع السبل ليؤتي منافعه ، كما يشمل التنمية ، والتي من مفهومها التطوير إلى أفضل ، فضلاً عن شمولها للحفظ الذي يعني الإمداد بما يضمن استمرار القيام ، ويدرأ أسباب النقص في الإنتاج ، نتيجة لفساد الموارد .

٥ ـ الالتزام بنظافة البيئة من الأمور الأساسية التي حرص عليها الرسول ﷺ وأوصى بها إلى المسلمين ، إذ نص أكثر من حديث على أن النظافة من الإيمان . والحق إن إفساد البيئة وتلويثها المضني لها ، إنما يبدأ بتلويثها اليسير أو عدم التزام النظافة وإماطة الأذى عن البيئة .

٦ ـ أكدت الشريعة الإسلامية في حديثها عن البيئة ، حقيقة الترابط القوي والفعال بين مكوناتها ، فالهواء يحمل الماء ، والماء ينزل على الأرض فيخرج النبات الذي يتغذى عليه الإنسان والحيوان .

وهذه الحقيقة تحتم عند اتخاذ إجراءات معينة لحماية البيئة ، مراعاة أن تنصب هذه الحماية على جميع مكوناتها .

٧ ـ حماية البيئة في الشريعة الإسلامية ، أمانة ومسؤولية يتطلبها الإيمان ، وتقتضيها عقيدة الاستخلاف في الأرض ، وإذا كان من ثمرات الإيمان الصادق وآثاره ، الإخبات لله تعالى وإخلاص العبادة إليه ، فإن من ثمراته أيضا القيام بالتكاليف الشرعية كما أمر الله تعالى ورعاية البيئة والمحافظة عليها كما خلقها الله رحمة بالمخلوقات .

الفصل الثالث

العلاقة بين الإنسان والبيئة من منظور إسلامي

٣ . ١ السماء .
٣ . ٢ المـــاء .
٣ . ٣ الأرض والتربة .
٣ . ٤ الجبـال .
٣ . ٥ الزراعـة .
٣ . ٦ حماية الحيوانات وحسن معاملتها .
٣ . ٧ الهـــواء .

الفصل الثالث

العلاقة بين الإنسان والبيئة من منظور إسلامي

تفيد النصوص الشرعية أن الله خلق الكون في ستة أيام وليست هذه الأيام مثل أيامنا، حيث لم يكن في ذلك الوقت شمس أو قمر أو ليل أو نهار، بل هي ست مراحل، ربما زادت عن بلايين السنين، وفي القرآن الكريم: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾[1].

ويقول الله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[2].

وتفيد نظرية السديم أن هذا الكون كان كرة ملتهبة، مرت عليها بلايين السنين حتى هدأ ظاهر الأرض، وهدأت السماء، وتكون عالم وسيط بين الأرض والسماء هي طبقات الهواء، وأصبحت السماء كالسقف المرفوع، ووجد الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض، ليحفظها من ملايين الشهب والنيازك، ثم صارت السماء صالحة لأن تمطر وصارت الأرض صالحة لأن تنبت، وتكامل الكون بعد ذلك[3].

وتفيد آيات القرآن الكريم: أن هذا الكون خلقه الله سبحانه وتعالى «بقدرته ويسَّر تكامله وتعاونه، ليكون دارا واسعة للإنسان، واستخلف الله الإنسان في عمارة الأرض، والمحافظة عليها، وإثراء الحياة وتحسنها،

---

(١) سورة الحج، الآية ٤٧.
(٢) سورة المعارج، الآية ٤.
(٣) عبد الله شحاتة، الدين والحياة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١١-١٢.

ومساعدة الآخرين ومعاونتهم»، قال تعالى : ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدرفيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين، فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾[1].

فالأرض خلقت في يومين، والجبال والبحار والأنهار والأرزاق والأقوات في يومين، فيصبح المجموع أربعة أيام، والسماء خلقت في يومين، فيصبح المجموع ستة أيام[2].

وقد دَّعى البعض أن الله تعب في اليوم السابع واستلقى على العرش، فبين القرآن أن الإله «سبحانه» منزه عن التعب والكلل، لأنها صفات المخلوق محدود القدرة، أما الله فهو على كل شيء قدير. قال تعالى : ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾[3].

وتفيد آيات أخرى أن الأرض خلقت غير مدحوة، أي غير صالحة للإقامة عليها، ثم خلقت السماء بعد الأرض، ثم دحيت الأرض وصارت مكورة تكويراً غير كامل، لأنها منبعجة عند خط الاستواء، مفرطحة عند القطبين، قال تعالى : ﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾[4].

---

(١) سورة فصلت، الآيات ٩ ـ ١٢.
(٢) عبد الله شحاتة، الدين والحياة، مرجع سابق ص ١٢.
(٣) سورة ق ، الآية ٣٨
(٤) سورة الرعد ، الآية ٤١.

والحقيقة أن المتأمل في العديد من آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن خلق السماوات والأرض، وعن خلق الكون يخلص إلى النقاط الآتية :

١ ـ وجود مراحل ستة للخلق عموماً.

٢ ـ تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض.

٣ ـ خلق الكون ابتداء من كومة أولية فريدة، وكانت كتلة متماسكة انفصلت أجزاؤها بعد ذلك.

٤ ـ تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.

٥ ـ وجود خلق وسيط بين السماوات والأرض.

٦ ـ إن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأول في العلم الحديث، والدخان على حساب آيات القرآن الكريم، للدلالة على الحالة الغازية للمادة التي كونت الكون في هذه المرحلة الأولى، وفي سورة طه يقول تعالى : ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾[1].

والواقع أن الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة، لعمارة الأرض، وإثرائها بالزراعة والصناعة والتجارة والعلم والاختراع والابتكار قال تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[2].

وقال تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾[3].

---

(١) سورة طه، الآية ٦.
(٢) سورة البقرة ، الآية ٣١.
(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٠.

كانت الملائكة ترى أنها أصلح من الإنسان في عمارة الأرض، فهم في طاعة مستمرة، ولكن الحق سبحانه وتعالى أعلم بما يصلح الأرض، فالأرض لو ملئت بالملائكة وانصرفت للعبادة، لتركوا وجه الأرض خرابا.

والإنسان هو أحد المخلوقات وهو يملك الإرادة والاختيار، وقد منح العقل الكسب، والتمييز والقدرة على الخير والشر والتنافس في عمارة الأرض بالزراعة والصناعة والعلم والاختراع والابتكار، مع ذلك فهو ظلوم جهول، في بعض أفراده، فنجد اللصوص وقطاع الطرق، والظلمة والزناة والكفار بالله، ونجد لذلك الشرطة والقضاة، والمحاكم والسجون والقوانين، وإقامة الأحكام وتنفيذ الحدود، أي أنه حتى وجود الظلمة ومحاكمتهم في الدنيا، مقصود لله تعالى، حتى تعمر الأرض قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم. . .﴾[1] إذاً الإنسان مستخلف عن الله في عمارة الأرض قال تعالى ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[2].

فالإنسان مستخلف على إدارة الأرض وفقا لمقاصد خلقها، لاستثمارها لنفعه، ولنفع غيره من الخلق ولتحقيق مصالحه ومصالحهم جميعا، وهو لذلك أمين عليها، فيجب أن يتصرف الأمين في حدود أمانته، والإنسان جزء متميز في الكون وصلته بالكون هي:

١ ـ صلة التأمل والتفكير والاعتبار في الكون وما فيه.

٢ ـ صلة الاستثمار المتوازن الحافظ والانتفاع والتعمير، والتسخير لمنافعه ومصالحه.

---

(١) سورة هود، الآيتان ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) سورة هود، الآية ٦١.

٣ـ صلة العناية والرعاية، لأن أعمال الإنسان الصالحة، غير محدودة بمصلحة الإنسان وحده، بل تمتد إلى مصالح خلق الله أجمعين، فخير الناس أنفعهم للناس.

روى البهيقي في شعب الإيمان أن رسول الله ﷺ قال: «الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله»[١] وروى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون»[٢].

وقبل أن نتناول علاقة الإنسان بالبيئة في ضوء الشريعة الإسلامية يجدر بنا ضرورة أن نتناول بإيجاز العناصر الطبيعية الأساسية في هذا الكون هي:

٣ . ١ السمـــاء

رفع الله السماء وزينها بالنجوم، وجعلها سقفا مرفوعا، وهي من آيات الإبداع والقدرة الإلهية، وقد مرت بلايين السنين على خلق السماء، ولم يحدث بها تصدع أو خلل، أو عيب من العيوب، فلا تشقق فيها ولا اضطراب قال تعالى: ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾[٣].

والنجوم في السماء لها ثلاث فوائد.

١ ـ هداية السائرين في البر والبحر والجو.

٢ ـ زينة للسماء ـ كما تزين البيوت ـ بالثريات.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٨٦ رقم ١٠٣٣.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٩٨ رقم ٢٧٤٢.
(٣)سورة تبارك، الآية ٣.

٣ـ هي شهب تقتل بعض الجن أو تخبلهم لتمنعم من استراق السمع قال تعالى : ﴿وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾[1] .

وقد تحدثت الجن بذلك فقالت : ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾[2] .

ومن هنا يمكننا أن نستخلص آثار القدرة الإلهية على أن :

١ ـ الغلاف الغازي المحيط بالأرض يحميها من ملايين الشهب، التي تهبط عليها من الفضاء الخارجي وهذا الغلاف الغازى يحفظ الأرض في درجة مناسبة من الحرارة، وهو الوسيط الذي يحمل بخار الماء المتصاعد من البحار والمحيطات ليتكثف منه مطراً، ويسقي الأرض ويروي النبات والإنسان والحيوان .

٢ ـ لو كان الأكسجين بنسبة ٥٠٪ أو أكثر من الهواء، بدلا من ٢١٪ ، لكثرت الحرائق، لدرجة أن أول شرارة في البرق تصيب شجرة لابد أن تلهب الغابة كلها .

٣ـ ولو كان الأكسجين بنسبة ١٠٪ من الهواء لتعذر أن يكون التمدن الإنساني على ما هو عليه الآن .

٤ ـ يستنشق الإنسان الأكسجين ويستنشق النبات ثاني أكسيد الكربون، ولو وجد الإنسان وحده لمات ولو وجد النبات وحده لذبل وذوي .

---

(١) سورة الصافات ، الآيات ٦ ـ ١٠ .
(٢) سورة الجن ، الآية ٩ .

فالكون كله متكامل ترعاه يد الله : ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾[1].

٣ . ٢ المـــاء

الماء نعمة كبرى، فقد جعله الله سببا في حياة الأرض والإنسان والحيوان والكائنات، قال تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[2].

ومعروف أن الماء وسيلة من وسائل الطهارة والنظافة، والسعادة النفسية، وله أثره في إحياء الأرض بعد موتها، وتأهيلها للزراعة والإنتاج، وقد حث الإسلام على تأهيل البيئة وإحياء الأرض الموات، ومن الحديث الشريف : «من أحيا أرضا ميتة فهي له»[3]، ومن الآثار : «لو علم عباد الله، أن رضا الله في إصلاح أرضه ما تركوا شبرا في الأرض خرابا»[4].

ومن واجبنا العناية بمياه البحار والأنهار والمحيطات وحمايتها من التلوث، وإعادة تأهيلها، فقد قضت حكمة الله أن جعل ٧٠٪ من الكرة الأرضية مغطاة بالمياه، في صورة محيطات وبحار وأنهار وبحيرات، وهذه البحار والمحيطات هي المسئولة عن تقديم ٧٠٪ من الأكسجين، اللازم للكائنات الحية، الموجودة على الكرة الأرضية، بينما تقدم النباتات المنزرعة فقط . ٣٪ من الأكسجين، اللازم لهذه الكائنات .

وإذا تساءلنا عن سر ذلك ؟

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٨ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٣٠ .
(٣) سنن أبي داود ٣/ ١٧٨ رقم ٣٠٧٣ .
(٤) عبد الله شحاتة، الدين والحياة، مرجع سابق، ص ٢٠ .

فالإجابة : أن هذه المصادر المائية تحتوي على مجموعة رئيسية من الهائمات النباتية، وهي تقوم بأخذ الأملاح المعدنية، مثل النترات والفوسفات وتستخدم ضوء الشمس في عملية التمثيل الضوئي، حيث تستهلك ثانى أكسيد الكربون، وتنتج الأكسجين، وتقوم بإنتاج المواد العضوية، وتقوم الأسماك والقشريات، بالتغذية على كثير من هذه الكائنات، وتعتمد الثروة السمكية في هذه المياه على غنى المياه بالهائمات النباتية والحيوانية.

ويعتبر البحر الأبيض المتوسط نموذجا لمياه البحر الشديدة التلوث، حيث نجد أن ٨٠٪ من مياه الصرف الناتجة عن الزراعة تصب في هذا البحر، ولقد قرر العلماء أننا نحتاج إلى ٥٠ عاماً من اليوم وبشرط عدم إلقاء أية مواد عضوية أخرى في البحر لكى يعود البحر مرة ثانية سالماً معافي.

إن تأهيل البيئة واجب إنساني ووطني وديني، إن معدل الصيد في البحر الأبيض المتوسط انخفض إلى ٧٠٪، والأسماك التي تخرج منه تحتوى على كميات كبيرة من الملوثات، في صورة مواد سامة، بسبب أن ٨٥٪ من مياه المجارى، لما يقرب من ١٢٠ مدينة ساحلية تتبع ١٨ دولة تصب في هذا البحر، دون معالجة كافية بالإضافة إلى نفايات ١٠٠ مليون سائح.

إن المحافظة على مياه البحار والأنهار والمحيطات، محافظة على حياة الإنسان والحيوان والنباتات قال تعالى : ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة﴾[1].

ولأهمية الماء في استمرار الحياة كلها، جعله الله حقا شائعا بين بني آدم

---

(١) سورة المائدة، الآية ٩٦.

وكل المخلوقات، قال رسول الله ﷺ: «الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار»[1].

كنا نشاهد في أعقاب الغزو العراقى للكويت في أغسطس ١٩٩٠، نشاهد آثار الحريق لآبار البترول في إفساد البيئة وإفساد المياه والتربة والهواء والفضاء، وهذا عدوان صارخ وظلم من الإنسان لأخيه الإنسان وظلم للحيوان وللمياه والنبات وظلم للأجيال كلها.

٣ . ٣ الأرض والتربة

بين الإنسان والأرض حنين وولاء، فهذه الأرض أم رؤوم خلقنا منها ونأكل من خيراتها وندفن بين أحضانها، وقد ورد في الأثر «إنها أمكم الأرض» وقال تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[2].

ومن معادن الأرض، خلقت العناصر الصلبة التي تحتوى عليها أجسامنا وأجسام الأحياء من حيوان ونبات، ومعروف أن الأرض وعاء لنعم الله المتعددة على الإنسان، بل هي مائدة الله في هذه الدنيا، يأكل منها الإنسان والحيوان والطير، وفيها صنوف الأرزاق، ومن واجبنا المحافظة عليها سليمة نافعة مفيدة، علينا أن نتبع أساليب مفيدة، لا تؤدي إلى تدهور الأرض، عند البناء والحرث والرعي والاحتطاب والتعدين، علينا أن نتبع من الأساليب، ما يساعد على خصوبة التربة وتحسينها.

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٢.
(٢) سورة طه، الآية ٥٥.

إن إتلاف التربة يؤدي إلى إتلاف الحياة وتدهورها، فيجب المحافظة على تنمية الزراعة والثروة، واحترام الأرض كمادة لنفع الإنسان والحيوان والطير، قال صلى الله عليه وسلم: «جعلت لي الأرض كلها مسجدا وطهورا»[1].

ومن ثم علينا أن نعامل الأرض والتربة والزراعة بالاحترام الذي تستحقه المساجد وأن نحافظ على بقائها طاهرة غير مدنسة، نافعة سليمة مفيدة.

٣. ٤ الجبـــــال

الجبال لها منافع متعددة، فهي أوتاد تمسك بالأرض، وتحفظها من الزلازل والبراكين، وهي في نفس الوقت مستودع لمياه الأمطار ومخزن للماء الفرات.

وقد ربط القرآن بين رسو الجبال وكونها أوتادا، وبين الأبخرة والسحب ومجاري الأنهار، وانبثاق الينابيع وإدرار القوت والرزق وضمان المنافع، ومن عجيب الإعجاز أن هذه الحقائق قد ذكرت على لسان نبي أمي، وقد قرن القرآن بين الجبال والمياه، فإذا لم تذكر الأنهار مع الجبال، ذكر ما يكون من آثارها، من الخصب والنماء والقوت والزرع والمتاع، قال تعالى: ﴿والجبال أرساها، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[2].

وقال تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾[3].

---

(١) رواه الشيخان.
(٢) سورة النازعات، الآيتان ٣٢-٣٣.
(٣) سورة الحجر، الآية ١٩.

وقد هبط الوحي على النبي ﷺ في غار حراء على ربوة جبل مرتفع، وتمت الهجرة من غار ثور، والطور وجبل الجليل وأبو قبيس، هتفت على روابيها أصوات الرسالات، وقد أرسيت سفينة نوح على الجودي، ونتق الجبل لموسى، وعرفات والصفا والمروة، جبال تتم عندها مناسك الحج، ولعل الجبال أبعد عن صخب الحياة، وأدعى إلى التأمل والهدوء والتفكر فهي محضن من محاضن طهارة الأرواح ودور للعبادة والصفاء.

٣ . ٥ الزراعـــــة

الزراعة نعمة ملموسة من نعم الله سبحانه وتعالى فهو سبحانه يسوق المطر ويحيي به الأرض، وينبت النبات وتتحول الأرض الهامدة إلى جنات وبساتين وزروع نضرة، تنبت كما ينبت الأطفال، وتحيا وتترعرع، ويستفيد منه الإنسان والحيوان والطير، وكل كائن حي قال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا، فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلبا وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[1].

ولقد لفت القرآن أنظارنا إلى بدائع الله في هذا الكون ومن ذلك إحياء الأرض بعد موتها وإنبات الجنات من العنب والذرة والقمح والقطن والتفاح والبرتقال وسائر الفواكه والثمار، وأنواع النخيل والنباتات، فمنها الحلو والحامض والمز، قال تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[2].

---

(١) سورة عبس، الآيات ٢٤ ـ ٣٢.
(٢) سورة الرعد، الآية ٤.

وللزراعة أثرها النافع في تجميل الكون وزيادة الرقعة الخضراء، وإطعام الإنسان والحيوان، ولها أهمية قصوى في تخليص البيئة من ثاني أكسيد الكربون وفي إنتاج الأكسجين أثناء عملية التمثيل الكلورفيلى.

إن الزراعة نعمة تستحق الشكر بالمحافظة على التربة وإدامة تأهيلها، وتحسينها ومساعدتها على أداء وظيفتها على أحسن وجه، قال الإمام الشاطبي: «شكر النعمة هو استخدامها فيما خلقت له» لقد قص القرآن علينا قصة يوسف الصديق، حين فسر رؤيا الملك وبين له أن النيل سيفيض سبع سنين، ثم يجف سبع سنين، ومن الواجب ادخار القمح في سنابله، والذرة في كيزانه، وبناء الصوامع والمخازن والاقتصاد والتوسط في الإنفاق، بدون إسراف أو تبذير، واستطاع يوسف أن يجنب مصر المجاعة، وأن يبسط المعونة للبلاد المجاورة وفي هذا درس علمي عملي مفيد.

والواقع انه يمكن حصر الأحاديث النبوية التي تعرضت لقضايا البيئة في أربع مجموعات:

١ ـ الأحاديث التي تحث على غرس الأشجار والمحافظة عليها.
٢ ـ الأحاديث التي تحث على رحمة الحيوانات وحسن معاملتها والتي تنهي عن قتلها بغير منفعة مرجوة.
٣ ـ الأحاديث التي تحث على الحفاظ على صحة البيئة.
٤ ـ الأحاديث التي تحث على عدم الإسراف.

والواقع أن للأشجار فوائد عديدة منها ما يأتى:

١ ـ توفير المواد الغذائية للإنسان والحيوان.
٢ ـ إنتاج كمية كبيرة من الأكسجين اللازم لحياة الإنسان والحيوان.
٣ ـ ظل الأشجار يحمي من حرارة الشمس.

٤ ـ تعمل كمصاد للرياح وللوقاية من التيارات الهوائية في الأرض الصحراوية.

٥ ـ تعمل كمصفاه للأتربة والمواد الملوثة وكحزام أخضر حول المدن.

٦ ـ تقوم بعض الأشجار بخفض درجة الحرارة وبامتصاص بعض المركبات السامة من الهواء.

ولقد حث الرسول ﷺ على غرس النخيل والأشجار ورعايتها وحمايتها وجعل ذلك صدقة جارية وله ثواب عظيم، قال ﷺ: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[١].

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال «لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «سبع يجري للعبد أجرهن ـ وهو في قبره بعد موته ـ من علم علما أو كرا نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس شجرة، أو بنى مسجدا، أو ورَّث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»[٣].

٣ . ٦ حماية الحيوانات وحسن معاملتها

خلق الله الحيوانات لخدمة الإنسان، والاستفادة بركوبها، والانتفاع بلحومها وجلودها، قال تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾[٤].

---

(١) سبق تخريجه، ص ٦١.

(٢) سبق تخريجه ص ٦١.

(٣) المنذرى، الترغيب والترهيب، دار الحديث، الجزء الخامس، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٩٨.

(٤) سورة النحل، الآية ٨.

وفي القرآن الكريم سورة تسمى سورة النمل وفيها حديث عن النمل والهدهد وهذه الحيوانات لها ممالك ونظام ودور مهم في الحياة، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1].

والمراد بالكتاب هنا كتاب الكون، فهو غاية في الدقة والنظام والتكامل لأنه في يد القدرة الإلهية التي نحيا في ظل رعايتها وعنايتها وفي سورة النحل حديث عن عسل النحل، وبيان أن فيه شفاء للناس وفيها حديث عن اللبن الذي يستخرج من بين فرث ودم، وقد سبق القرآن «هارفي» في اكتشاف الدورة الدموية بعشرة قرون تقريبا.

ولقد دعى الإسلام إلى حماية الحيوانات وحسن معاملتها، ومساعدتها عند المرض وإطعامها إذا مرضت أو زمنت وكبرت في السن.

وينبغي ألا نحمّل الحيوانات ما لا تطيق وأن نحسن ذبحها وألا نذبح أولادها على مرأى منها، فهذه الحيوانات مسخرة لخدمة الإنسان تؤدي دورها في إعمار هذا الكون.

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلا سقى كلبا، فأنقذه من الموت عطشا فغفر الله له» وقال: «في كل كبد رطبة أجر»[2].

وقال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٨.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.

٣ . ٧ الهـــــواء

الهواء نعمة كبيرة لاغنى للإنسان عنه وقد جعله الله مشاعا بين الناس .

والواقع إن تلويث الهواء يرجع إلى اليوم الذي استخدم فيه الإنسان الوقود، للأغراض المختلفة، وقد وجد أن وسائل النقل هي المسئولة عن ٦٠٪ من تلوث الهواء، حيث تجوب شوارع العالم، عدة بلايين من السيارات، تستخدم كميات هائلة من الوقود ويتكون الهواء الجاف المحيط بنا من النتروجين بنسبة ٧٨٪، والأكسجين بنسبة ٢١٪ ومن كميات ضئيلة من غازات أخرى .

لذا فالواجب الحفاظ على الهواء ليكون نقياً، وهنا ندعو إلى ضرورة إعادة تأهيل البيئة وتجريم العدوان والفساد، فهو خروج عن سنن الله الكونية وإفساد في الأرض بعد إصلاحها .

وبعد أن تناولنا عناصر البيئة من منظور إسلامي يجدر بنا أن نوضح العلاقة بين الإنسان والبيئة من منظور إسلامي .

فالحقيقة أن علاقة الإنسان بالبيئة تقوم على أساس أنه جزء منها، ومكون رئيسي من مكوناتها فهو مخلوق من عناصرها، كما أنه حفنة من ترابها، وكلاهما ـ الإنسان والبيئة ـ مخلوق بقدرة الخالق ـ سبحانه ـ من مادة واحدة : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[1] .

لغاية محدودة، ومصير محتوم، وعليه، فلا تباين بينهما ولا نشاز في علاقتهما، ونواميس الحياة، وقوانين الوجود، تنطبق على كليهما ودورة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٠ .

العناصر في الطبيعة، قدر مشترك بينهما، والعطاء المتبادل، شيء أساسي في وجودهما وبقائهما . . . ولكي يستمر الوجود والبقاء، كان لابد من سيادة لأحدهما وتسخير للآخر ليكون في خدمة الأول . . . وشاءت قدرة الله سبحانه ـ أن يكون الإنسان هو السيد المسيطر ـ بما يملك من حرية العمل والإنشاء والابتكار في إطار من الضوابط والالتزامات التي حددها الخالق سبحانه . . . ولكي تتحقق هذه السيادة وتلك السيطرة، كان لابد من توافر أمرين أساسيين[1]:

الأول: أن يتميز الإنسان على سائر الموجودات، ببعض الاستعدادات والقدرات التي تمكنه من حسن القيادة، والقيام بمهام الخلافة، وضبط السيطرة، وإحكام التوجيه، وأهم هذه القدرات جميعاً، القدرة على التفكير والتدبير، والفهم والمعرفة والقدرة على التعلم، وقد ميزه الخالق جلت قدرته بميزة العقل، أداة التفكير والفهم والتدبير، وعلمه منذ خلقه أساسيات المعرفة كلها ومبادئها الأولية، ليحقق بالعلم أهداف الحياة، ويفتح به مغاليق الأسرار «البيئية» ويعرف به قوانين الوجود وضرورات البقاء . . . قال تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[2].

الثاني: هو تسخير البيئة بكل ما فيها من مكونات وعناصر مهما ضخم أو عظم أو ثقل ـ للإنسان يستثمرها، ويطورها، ويملأ أرجاءها نوراً وعلماً وجمالاً ورخاء لصالح الجميع، ولينعم كل مخلوق، بهذه الثمار الطيبة، وقد سخر الله سبحانه وتعالى الكون بسمائه وأرضه،

---

(١) عبد الرحيم الرفاعي بكرة، أسس التربية البيئية في الإسلام، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ، ص ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣١.

وجباله ومحيطاته وحيواناته، وكل مكوناته، لخدمة الإنسان وتحقيق رسالته في الوجود، قال تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[1] وحتى نتعرف على مدى علاقة الإنسان بالبيئة فيمكننا معرفة أهمية هذه العلاقة من خلال المحاور الآتية:

١ ـ علاقة الإنسان بالأرض.

٢ ـ علاقة الإنسان بالثروة المائية.

٣ ـ علاقة الإنسان بالثروة الحيوانية.

٤ ـ علاقة الإنسان بالوقت.

٣ . ٧ . ١ علاقة الإنسان بالأرض

تقوم علاقة الإنسان بالأرض أساساً على كونها المسرح الطبيعى لحياته ووجوده، وموضع سعيه وعمله ونشاطه وكان اجتماعه بغيره، وعقد رابطته بهم، منها خلق، وإليها يعود، ومنها يبعث مرة أخرى . . . تجري في عروقه عناصرها وذراتها، وتتحرك في جميع خلاياه الطاقة المستمدة من خيراتها . . . ولقد خلقها الله سبحانه وتعالى ـ لتكون له مهداً، وسلك له فيها سبلاً، قال تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[2].

---

(١) سورة الملك، الآية ١٥.

(٢) سورة طه، الآيات ٥٣ ـ ٥٥.

وقال تعالى : ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿إنا مكنا له في الأرض وءاتيناه من كل شيء سبباً﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[3] .

والتمكين من الأرض نعمة من الخالق سبحانه، تستدعى القيام بموجباتها، وما تستلزم من نشاط وفكر وعمل في حدود الاعتدال، ليوفر الإنسان لنفسه ولبني جنسه وللأحياء جميعاً ما يحتاجون اليه من غذاء ضروري لبقائهم : ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾[5] .

ولقد ورد لفظ الأرض في القرآن الكريم ٤٦٥ مرة وهذا يدل على أهميتها لجميع الموجودات ولجميع الأحياء ومن ثم ضرورة الاهتمام بها، واستثمار مواردها بالطرق المثلى، بالفكر والتقنية، وكل معطيات العلم الحديث مع ضرورة تواجد شرط أساسي هو عدم الإسراف والاستنزاف الذي يقتلها .

وزراعة الأرض بما يحتاجه الإنسان والحيوان من الغذاء ومأكولات

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٠ .
(٢) سورة الكهف، الآية ٨٤ .
(٣) سورة هود، الآية ٦١ .
(٤) سورة الملك ، الآية ١٥ .
(٥) سورة الجمعة، الآية ١٠ .

أحد جوانب استثمارها، واستعمارها والاستفادة من عطائها الوافر الغزير . . . ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾[1].

وعن فضل الزرع والغرس وأهميته للأحياء جميعا. . قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»[2].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[3].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له فضول أرض فليزرعها أو ليزرعها أخاه»[4].

وعن الزرع للأجيال القادمة بغض النظر عن الفائدة العاجلة أو المنفعة الذاتية يقول ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»[5].

---

(١) سورة ق، الآيات ٧-١١.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى، ١٠/ ٤٧١، ٤٧٢، باب فضل الغرس والزرع.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/ ٤٧٤ باب فضل الغرس والزرع.
(٤) سنن ابن ماجة ٢/ ٦٥ رقم الحديث ٢٤٧٦.
(٥) رواه احمد في مسنده، والبخارى في الأدب المفرد عن أنس.

ولقد فهم الصحابة الكرام هذا المغزى التربوي، وطبقوه في حياتهم العملية، فقد غرس أبو الدرداء صاحب رسول الله ﷺ شجرة جوز وهو شيخ طاعن في السن، فسأله أحدهم: أتغرس هذه الجوزة وأنت شيخ كبير وهي لا تثمر إلا بعد كذا وكذا من السنين؟ فأجابه أبو الدرداء: «وماذا علي أن يكون لي ثوابها ولغيري ثمرتها»[1].

وغرس صحابي آخر شجر الزيتون وقال: «غرس لنا من قبلنا فأكلنا، ونغرس ليأكل من بعدنا»[2]، وعن استصلاح الأرض البور وجعلها صالحة للزراعة لزيادة الثروة النباتية وتوفير الخيرات ليعم الرخاء ورد عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أحيا أرضا ميتة فهي لـه»[3].

ولأهمية القشرة الأرضية لتجويد الزراعة ووفرة المحصول وحمايتها من التصحر.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تهتكوا وجه الأرض فإن شحمتها في وجهها»[4].

٣ . ٧ . ٢علاقة الإنسان بالثروة المائية

الماء ضروري لكل الموجودات، وهو حياة لكل ما في الكون حتى الأرض لا حياة لها إلا بالماء وهذا بديهي معروف . . . ولم تذكر الأرض

---

(١) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مكتبه وهبة، ط ٧، ١٩٨٠، ص ٢٦١.
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٢.
(٣) محمد الشوكاني، نيل الاوطار، دار الحديث، القاهرة، د٠ت، جـ٥، ص ٣٠٢.
(٤) محمد أحمد عاشور، خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه، دار الاعتصام، د٠ت، ص ١٢٨.

في آية أو ما ينبت منها من نبات أو شجر إلا وذكر الماء كسبب وعلة لهذا الإنبات : ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾[3] .

ولهذه الأهمية القصوى للماء ورد ذكره في القرآن الكريم«٣٦ مرة » وورد لفظ البحر «١٤ مرة» وورد لفظ النهر وأنهار «٤٥ مرة » .

ولا فرق في الأهمية بين ماء البحر وماء النهر والمطر . . فلكل منها فوائده الجمة وضرورته الحيوية لجميع المكونات البيئية وإن كانت استفادة الإنسان من كل ذلك تأتي في الدرجة الأولى : ﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[4] .

---

(١) سورة النحل ، الآيتان ١٠ ـ ١١ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٢ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ٩٩ .
(٤) سورة فاطر ، الآية ١٢ .

ولأن الماء ضرورة حتمية لكل الموجودات منع الإسلام احتكاره، ومنعه من طالبه، وجعل الناس جميعا فيه شركاء قال تعالى : ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾[1].

وعن أبي خراش عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء والكلأ والنار»[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ » وفي رواية «لا يباع فضل الماء ليباع به الكلأ »[3] وهذه الأهمية والضرورة تقتضي من الإنسان حسن التعامل معه، وتوظيفه فيما خلق له، وعدم تلويثه أو استنزافه لتظل الحياة والأحياء. والاستفادة منه بحكمة وتعقل، والحرص على طهارته ونقائه، حتى لا يكون بيئة صالحة للأمراض وتعايش الميكروبات والفيروسات، ومن ثم يصبح مصدرا للهلاك والإهلاك. ولذا نرى السنة المطهرة تحذر من ذلك وتنفر منه فقد ورد في الأثر، عن أبي الزبير، عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه نهي أن يبال في الماء الراكد، وورد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل منه»[4] وعنه، أن رسول الله ﷺ قال : «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب» فقال أبو السائب راوي الحديث، كيف يفعل يا أبا هريرة قال يتناوله تناولا[5].

---

(١) سورة القمر، الآية ٢٨.
(٢) سنن ابن ماجة ٢/ ٨٢٦ رقم ٢٤٧٢..
(٣) متفق عليه.
(٤)صحيح البخاري مع فتح الباري ١/ ٤١٢.
(٥) المرجع السابق.

وبلغ من عناية الإسلام بالنظافة وحرصه على عدم تلوث الماء ولو بطريق غير مباشر، أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدرى أين باتت يده»[1].

ولأهمية النظافة للماء ولغيره ـ جعلها الإسلام شعاراً من شعاراته العبادية، وفضيلة من فضائل الإسلام، يتحلى بها المسلم، ويحرص عليها، وسواء في ذلك الطهارة الحسية أو المعنوية، كل ذلك ليبعد بنا عن التلوث، أيا كان ـ فضلاً عن أن تكون سبباً في حدوثه ولذلك ورد لفظ الطهر والطهارة في القرآن الكريم «١٣ مرة» في مواضع عديدة للماء أو للإنسان، للطهارة الحسية أو المعنوية.

قال تعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وثيابك فطهر والرجز فاهجر﴾[3]. ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾[4]. ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[5].

وورد عن النبى ﷺ قال: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان .... الخ»[6].

ومن الأهمية أن يعرف الإنسان أن الاء ـ شأنه شأن جميع الموجودات ـ قد خلقه الله سبحانه بقدر، وأن أي إسراف فيه أو تبذير أو تلوث يخل بهذا

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٣٣ رقم ٢٧٨.
(٢) سورة الأنفال، الآية ١١.
(٣) سورة المدثر، الآيتان ٤ ـ ٥.
(٤) سورة التوبة، الآية ١٠٨.
(٥) سورة التوبة، الآية ١٠٣.
(٦) صحيح مسلم ١/ ٢٠٣ رقم ٢٢٣.

القدر الصالح للاستعمال، ويعرض الحياة لخطر داهم، حيث لا غنى لمخلوق عنه، قال تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾[1].

٣ . ٧ . ٣ علاقة الإنسان بالثروة الحيوانية

الثروة الحيوانية من المكونات الرئيسية في البيئة، ومن ضرورات بقاء الإنسان، قد خلقها الله وسخرها لمنفعته، وقضاء مصالحه، سواء بالغذاء عليها أو المتاجرة فيها، والانتفاع بأثمانها أو التمتع بجمالها واقتنائها . . . الخ. ولكن الحكمة الإلهية اقتضت أن تتواجد الحيوانات ـ كغيرها من الموجودات بقدر، وتوازن بين أنواعها، وأجناسها أو بينها وبين غيرها من الموجودات وإن كنا لم نفهم سر العلاقة الكونية بينها، من هنا اقتضت الضرورة أن نحرص عليها وألا نستنزفها سعياً وراء متعة مؤقتة أو إسراف، أو إثراء زائف . . . بل نتدبر الحكمة من خلقها، ونعي التوازن الدقيق بينها، ونتعامل معها بتعقل وروية في حدود الحاجة، ونحافظ عليها وننميها، لفائدة جيلنا، والأجيال التي تأتي من بعدنا.

قال تعالى: ﴿والأنعام خلقها فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾[2].

وقوله: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٨.
(٢) سورة النحل، الآيات ٥ ـ ٨.

الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنا يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾[2].

حتى الدواب التي لا نقف بعقلنا المحدود، على أهميتها للتوازن البيئي، لم تخلق عبثا، بل لحكمة وغاية اقتضت وجودها، ولا يعلم ذلك إلا خالقها سبحانه، ولكن عندما يرتكب الإنسان حماقة ضد هذه الموجودات في منطقة ما، فإن الإنسانية تدفع ثمن هذه الحماقة غالياً...

فالحرب التي أعلنت على الثعابين والحيات في الهند «في فترة سابقة» بغرض الاتجار والارتزاق من ورائها أدت إلى كثرة الفئران، والقضاء على عدة محاصيل، هددت حياة الإنسان وغذاءه وعرضته إلى مخاطر كبيرة...

من هنا ينبغي أن نعلم أن لكل موجود غاية ولكل مخلوق حكمة ووظيفة ومهمة في الوجود، علينا أن نحسن الوفاق معها، وأن ندرك أهميتها في الحفاظ والتوازن البيئي، وأن نتعامل من هذا المنطوق.. قال تعالى: ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾[4].

(١) سورة النحل الآية ٨٠.
(٢) سورة يس و الآيات ٧١-٧٣.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

وقوله : «ما من دابة إلا هو ءاخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾[1] .

وقوله : ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾[2] .

٣ . ٧ . ٤ علاقة الإنسان بالوقت

الزمان والمكان وجهان لعملة واحدة، والإنسان يعيش في كليهما، وكل عمل أو نشاط يزاوله لابد له من مكان وزمان معينين، ولقد قرر لكل موجود في الوجود فترة زمنية محددة ثم تنتهي، وتبدأ دورة أخرى، وهكذا إلى أن تقوم الساعة . . . وحياة الإنسان على الأرض محدودة سلفاً، ومقدرة بحساب دقيق لا يختل، ولا يتأخر، من هنا كان عليه أن يتدبر أمره ويستفيد من كل لحظة من عمره بالعمل الصالح المفيد، سواء لذاته أو لبني الإنسان أو للموجودات جميعاً حيث سيسأل عن ذلك وسيحاسب عليه، وسوف يجني ثمرة كل ذلك سواء في هذه الحياة، أو حتى بعد الرحيل عنها الى دار البقاء . . ولأهمية ذلك ورد لفظ العمل ومشتقاته في القرآن «٣٥٩ مرة» وقرنه المولى سبحانه بالإيمان ليتحقق مضمون الفكر والاعتقاد في ثمرة عمل صالح، يعمر الأرض ويثري الحياة ويحقق الرخاء لكل الموجودات، قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[3] .

---

(١) سورة هود ، الآية ٥٦ .
(٢) سورة النحل، الآية ٤٩ .
(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٥ .

وقال تعالى : ﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾[1] .

وفي السنة المطهرة والآثار وردت تفاصيل عن هذه العلاقة، نذكر منها قوله ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، . . الحديث»[2] وقوله «كل يوم تبزغ شمسه أو ينشق فجره، ينادي بصوت جهير أيا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني واغتنمني بعمل الصالحات، فإني إذا مضيت لا أعود أبداً »[3] .

وقوله ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[4] .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما»[5] .

وفي ختام علاقة الإنسان بالبيئة يهمنا أن نذكر الآية الجامعة لكل مكونات العلاقة والتي بينت أن هذه العلاقة تثمر في قلوب العلماء، خشية الله سبحانه وتعالى لما يتبين لهم من خلال تلك العلاقة بعض أوجه الحكمة من خلقها، والفائدة من وجودها والذي قد يقودهم إلى حسن التصرف حيالها :

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها

---

(١) سورة الكهف، الآية ٣٠.
(٢)سنن الترمذي ٤/ ٦١٢ رقم ٢٤١٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٠ .
(٤)صحيح مسلم ٣/ ١٥٥ رقم ١٦٣١ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٦٠ .

ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾[1].

وفي ضوء ما سبق يمكننا تلخيص صورة العلاقة بين الإنسان والبيئة طبقا للتصور الإسلامي فيما يلي :

١ ـ إنها علاقة مخلوق بمخلوق، مخلوق مكرم بمخلوق مسخر، وبالتالي فهي ليست علاقة صراع وقهر واستعلاء أو تخريب، وإنما هي علاقة انتفاع وارتفاق وتكامل وانسجام.

٢ ـ إن هذا الانتفاع هو حق للجميع في الحاضر، وللأجيال القادمة في المستقبل، فكل جيل ينتفع بها حسب حاجته دون الإخلال بمصالح وحقوق الأجيال التالية، فلا إهدار ولا تشويه ولا إفساد ولا تدمير لأن كل جيل لا يملك منها سوى حق الانتفاع.

٣ ـ إن هذه العلاقة تقوم على العيش بمسؤولية وتعاون مع بقية المخلوقات التي تشارك الإنسان في هذا الكون، فلا افتئات على حقوق المخلوقات الأخرى ولا عبث بها، ولا إفناء لبعض أنواعها.

٤ ـ يمثل النهي عن الفساد الضابط العام لهذه العلاقة، فالإسلام يندد بكل نشاط أو تصرف أو سلوك خاطئ من شأنه أن يؤول إلى الفساد في الأرض.

٥ ـ إنها تقوم على التوسط والاعتدال في التعامل مع موارد البيئة، فلا إسراف ولا تبذير في الاستهلاك، ولا شك إن هناك علاقة واضحة بين زيادة

---

(١) سورة فاطر، الآيتان ٢٧ ـ ٢٨.

معدلات الاستهلاك والرفاهية التي تميز إنسان الحضارة المعاصرة، وبين ما نعاني منه من مشكلات بيئية وبخاصة استنزاف الموارد والتلوث البيئي.

٦ ـ لا تقف هذه العلاقة عند مجرد حماية البيئة والحفاظ عليها ومنع الفساد والإسراف، وإنما تطالبنا تعاليم الإسلام بموقف أكثر إيجابية حين يدعو الى رعاية البيئة المتمثلة في البناء والتعمير والتنمية والاستثمار، ولعل فكرة «إحياء الموات» وعمارة الأرض بناءً وزراعة وغرساً، تعد مثالاً لما ينبغي أن يكون عليه الموقف الإيجابي للإنسان من البيئة في الرؤية الإسلامية.

وهكذا فإن علاقة الإنسان بالبيئة ـ إذا كانت إسلامية ـ فإن لها ضوابط تميزها عن حالها اذا ما تحررت من ضوابط الإسلام، وبهذه العلاقة الإسلامية ـ كما يؤكد «عمارة» ـ يحفظ الإنسان لا «سلامه» و «سلامته فقط» وإنما يحفظ أيضاً سلام وسلامة « صفحات كتاب الكون عندما يحافظ على «توازن واتزان وميزان» هذه «الصفحات» في هذا «الكتاب» والقرآن يدعو إلى إسلامية العلاقة بين الإنسان والبيئة[1].

(١) محمد عمارة، إسلامية المعرفة، البديل الفكرى للمعرفة المادية، مجلة المسلم المعاصر، السنة السادسة عشرة، العدد ٦٣، القاهرة فبراير ـ أبريل، ١٩٩٢، ص ٢٢.

الفصل الرابع

فساد وتلوث البيئة من منظور إسلامي

٤ . ١ تعريف التلوث.

٤ . ٢ مفهوم التلوث في القرآن الكريم.

٤ . ٣ تعريف التلوث اصطلاحاً.

٤ . ٤ الفساد والتلوث في الإسلام.

الفصل الرابع

فساد وتلوث البيئة من منظور إسلامي

ترتفع في الوقت الحالي أصوات في الشرق والغرب تندد بالاعتداء على البيئة وتحذر من مغبة التمادي في إهمال الموارد الطبيعية أو التفريط فيها كالذي حدث ويحدث في اقتلاع الغابات وإطلاق الغازات السامة والإيغال في «الترفيه القاتل» الذي يكون على حساب مخلوقات الله مع اختلاف أنواعها من حيوان أو نبات.

وفي هذا الفصل سوف أتناول تلوث البيئة من منظور إسلامي لتوضيح النظرة الإسلامية لهذه المشكلة.

٤ . ١ تعريف التلوث

في اللغة العربية ، جاء في معجم لسان العرب ، تحت كلمة «لوث» أن التلوث يعني التلطخ ، يقال تلوث الطين بالتبن ، والجص بالرمل ، ولوث ثيابه بالطين ، أي لطخها ، ولوث الماء كدره[١].

وتشير المعاجم اللغوية العربية الأخرى الى أن التلوث ، يعني خلط الشيء بما هو خارج عنه ، فنقول لوث الشيء بالشيء : خلطه به ومرسه ، ولوث الماء : كدره ، وتلوث الماء أو الهواء ونحوه : خالطته مواد غريبة ضارة[٢]. وجاء في مختار الصحاح للإمام الرازي: «لوث»ثيابه بالطين «تلويثاً» لطخها ، و «لوث» الماء أيضاً كدره[٣].

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص ٤٠٨ـ٤٠٩ .
(٢) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٥٦٧٢ .
(٣) مختار الصحاح ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٦٠٧ .

وهكذا نلحظ أن معنى كلمة «تلوث» اسم الهواء ، أي عيبه وجعله معيباً ، ويلوث عكس ينقي أو يصفي[1] .

والتلوث كتعبير شائع يعني تدهور الحال أو الوسط بإدخال مادة ملوثة أو مكدرة[2] .

٤ . ٢ مفهوم التلوث في القرآن الكريم

لم ترد ـ على حد علمنا ـ في القرآن الكريم كلمة «تلوث» بلفظها ولكن بمفهومها اللغوى الذي عرضناه يمكن القول بأن كتاب الله الحكيم قد عبر عن مضمون لفظة «التلوث» بلفظة «الفساد» .

وقد وردت تلك اللفظة في العديد من الآيات الكريمة[3] ، نكتفي بقوله تعالى : ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[4] .

وتدبر كلمة «فساد» يقود إلى القول باطمئنان أنها أوسع ، وفي الوقت ذاته ، أدق من كلمة «تلوث» .

فمعاجم اللغة توضح أن الفساد نقيض الصلاح ، فَسَدَ تَفْسُد ويفسد وفَسْد فسادا وفسوداً، فهو فاسد ، ولا يقال انفسد ـ وأفسدته أنا ، والمفسدة خلاف المصلحة ، والاستفساد خلاف الاستصلاح وفسد الشيء إذا أباره[5] .

---

(1) Petit Robert , Paris , 1973 , P.1342 .

(2) ibid . P. 1344 .

(٣) انظر قوله تعالى في سورة الشعراء، الآيتان ١٥١ ـ ١٥٢ . وسورة البقرة ، الآيتان ١١ ـ ١٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٠٥ .

(٥) راجع لسان العرب ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٠٥٩ .

الفساد التلف والعطب والخلل ، والمفسدة الضرر . يقال : هذا الأمر مفسدة لكذا ، منه فساده ، وفسدت الأمور : اضطربت وأدركها الخلل . وأفسد الشيء جعله فاسداً[1] .

وإذا كان معنى «الفساد «على هذا النحو ، الاضطراب والخلل الذي يدخل على الشيء بفعل أو بإدخال شيء غريب أو أجنبي عنه على نحو يفسده ، أي يضيره ويجعله غير صالح لأداء وظيفته التي خلق لها ، فإن استخدام القرآن الكريم لتلك اللفظة يبدو أكثر دقة وإحكاماً ، ودلالة على المقصود من لفظة «التلوث» وإذا كان هذا هو مفهوم الفساد فإنه مفهوم يتسع لكل الأعمال الضارة بالبيئة ، أو مصادر تهديدها ، أو كل ما يؤدي إلى إحداث الخلل والاضطراب فيها ، بحيث يعنى الفساد تلويث البيئة ، وكذلك استنزاف مواردها ، والتبذير في استخدامها على نحو يهدد دوامها لصالح الأجيال المقبلة .

أما لفظة «التلوث» التي تستخدمها العلوم البشرية المعاصرة ، فهي ذات معنى غير منضبط حيث إنها كما تدل على خلط الشيء بما ليس من جنسه ونوعه فيكدره ، ويغير خواصه ويضره ، فإنها تدل على غير ذلك وتعني ، أموراً أخرى بعيدة عن المعنى السابق ، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور ، فضلا عما أوردنا آنفا أن كلمة «تلوث «تعني التهذيب واللوث الشر واللوث الجراحات والمطالبات ، واللوثة من الجنون ، واللوثة الحمق والاسترخاء ، وناقة ذات لوثة أي قوة ، أو ذات لحم وشحم واللوث بالفتح القوة .

فسبحان من كل شيء عنده بمقدار حتى الحروف والألفاظ إنه بحق تنزيل من حكيم حميد ، إن استخدام لفظة «الفساد» بالمفهوم السابق دون

(١) راجع المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٤٧١ .

كلمة «تلوث» يقدم وجها آخر من وجوه الإعجاز اللغوى ، لكتاب الله العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فضلاً عن إعجازه العلمي، فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه فألفاظه وآياته تفسر في كل عصر، بما يلائم علومه وثقافته .

ومع ذلك وفي غفلة عن كلمات وألفاظ القرآن الكريم ، مازال الاصطلاح العلمى يستخدم كلمة «تلوث»رغم ما يكتنفها من مثالب .

٤ . ٣ تعريف التلوث اصطلاحـاً

في المعاجم المتخصصة في الاصطلاحات البيئية ، يعرف التلوث بأنه : «كل إفساد مباشر للخصائص العضوية أو الحرارية أو البيولوجية والإشعاعية، لأي جزء من البيئة ، مثلا بتفريغ أو إطلاق أو إيداع ، نفايات أو مواد من شأنها التأثير على الاستعمال المفيد ، أو بمعنى آخر، تسبب وضعاً يكون ضاراً أو يحتمل الإضرار بالصحة العامة ، أو بسلامة الحيوانات والطيور والحشرات والسمك والمواد الحية والنباتات»[١] .

كما يعرف بأنه :

«التدهور المتزايد للعناصر الطبيعية لتفريغ النفايات من كل نوع والتي تؤثر على التربة والبحر والجو والمياه على نحو يجعلها شيئاً فشيئاً غير قادرة على أداء دورها . أو هو الإدخال المباشر أو غير المباشر لملوث في وسط معين»[٢] .

---

(1) Geipin Allen : Dictionary Of Environmental Terms , London , 1974, P.124 .

(2) R . Barrain: Nouveou Dictionnaire De Droit Et Desciences Econo;igies , Paris , L.G.D.J. , 1974 , p . 357 - 358 .

ونذكر أيضاً ما جاء بوثائق منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية لأوربا ، من أن التلوث :

«هو إدخال الإنسان مباشرة أو بطريق غير مباشر لمواد أو لطاقة في البيئة والذي يستتبع نتائج ضارة ، على نحو يعرض الصحة الإنسانية للخطر ويضر بالموارد الحيوية وبالنظم البيئية وينال من قيم التمتع بالبيئة ، أو يعوق الاستخدامات الأخرى المشروعة للوسط»[1] .

وهذا التعريف هو الأكثر تداولاً في الوقت الحاضر .

٤ . ٤ الفساد والتلوث في الإسلام

من خلال التعريفات السابقة والدقيقة لمفهوم التلوث ينبغى أن نشير إلى ثلاثة عناصر هامة :

أولا : حدوث تغيير بالبيئة أو الوسط الطبيعي والحيوي ، المائي ، البري ، الجوي ، وهذا التغيير تبدأ معالمه بحدوث اختلال بالتوازن الفطري أو الطبيعي القائم بين عناصر ومكونات البيئة باختفاء بعضها أو قلة حجمها أو نسبتها بالمقارنة بالبعض الآخر وبحالتها الأولى أو بالتأثير على نوعية أو خواص تلك العناصر .

ثانيا : انتساب هذا التغيير إلى عمل الإنسان المباشر أو غير المباشر من ذلك إفراغ النفايات والمخلفات الضارة أو السامة بالبيئة كعوادم السيارات وأدخنة المصانع والمبيدات الكيميائية والتفجيرات النووية .

وعلى ذلك فإن كان التغيير البيئي يرجع إلى أفعال القضاء والقدر أي الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والعواصف

(1) ibid . P. 359.

فلا محل من حيث المبدأ للتنظيم له ، ذلك أن الحكم الشرعي لا يخاطب إلا الإنسان ولا شأن له على أفعال الطبيعة .

ثالثا : إلحاق أو احتمال إلحاق الضرر بالبيئة فتغيير البيئة أياً كان مصدره، قد لا يسترعي الاهتمام إذ لم تكن له نتائج عكسية وسلبية على النظم الأيكولوجية ، تتمثل في القضاء على بعض المكونات والعناصر الطبيعية للبيئة ، واللازمة لحياة الإنسان وسائر الكائنات الأخرى .

فالعبرة بنتيجة التغير الناشيء عن عمل الإنسان فيلزم أن يكون تغيراً ضاراً أو مؤذياً بالبيئة وينعكس هذا الضرر على الإنسان والكائنات الحية وغير الحية .

فهل لذلك المفهوم قرين في شريعة الإسلام؟

في الواقع أن القرآن الكريم قد استخدم لفظاً أقوى دلاله وأوضح بياناً للتلوث وهو «الفساد» والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[1] .

فقليل من التدبر في الآية السابقة نجد أنها جمعت عناصر التلوث الثلاثة السابقة وهي من منظور إسلامي :

٤ . ٤ . ١العنصر الأول

حدوث تغيير بالبيئة المائية أو البرية ونشوء خلل في التوازن الفطري الذي خلقت عليه من لدن العزيز الحكيم فقد عبرت عنه الآية الكريمة «ظهر الفساد في البر والبحر» أي ظهر التلوث والخلل بالموارد والنعم التي بثها الله تعالى لعباده في البر والبحر فخبثت التربة ولم تعد قادرة على الإنبات

(١) سورة الروم، الآية ٤١ .

وتعرض للخطر نباتها وثمارها فدب القحط والجدب ، وتغير الماء وصار فاسداً آسناً تغيرت خواصه وأضحت الكائنات البحرية في خطر أكيد .

وفعل «ظهر» فعل ماض يدل على التغيير والعدوان على البيئة الذي وقع بالفعل غير أنه يومئ إلى ديمومة واستمرار ذلك التغير والإفساد الذي لحق ومازال يلحق بالموارد البيئية التي خلقها الله تعالى .

٤ . ٤ . ٢ العنصر الثاني

انتساب ذلك التغيير إلى الإنسان وأفعاله فقد عبرت عنه الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿بما كسبت أيدى الناس﴾ أي أن أعمال الإنسان هي المسؤولة عن الفساد والتدمير والاضطراب الذي أصاب ثروات وموارد البيئة ، وحرف الباء ، يفيد لزوم السبب والصلة بين ما اقترفته أيدي الإنسان ، وما لحق بما بث الله في الطبيعة من موارد ونعم .

ويؤكد الفقه الإسلامي على أن الكون ذاته ، وهو البيئة العامة للإنسان قد أوجده الله تعالى قبل خلق الإنسان ومجيئه إليه ، فالإنسان وجد ووجد الكون وقد اكتملت عناصر استبقاء الحياة وبقاء النوع ، فالإنسان قد طرأ على الكون أو على البيئة ، بعد أن تكفل الله تعالى بتزويده بضرورات الحياة ومقوماتها ، وهنا يظهر العنصر الثاني الذي ترشد إليه الآية الكريمة فما «كان موجودا قبل وجود الإنسان ، لا يطرأ منه فساد أبداً وإنما طرأ الفساد مما أوجده الإنسان . . . لا نجد فيما لا دخل للإنسان فيه فساداً أبدا . . . كل الفساد جاء من الذي دخل فيه الإنسان ، دخل فيه بغير منهج خالق الكون الذي أعد له كوناً لا يأتي منه فساد»[1] .

(١) محمد متولى الشعراوى ، الكون ـ والحضارة ـ التلوث ، مجلة التنمية والبيئة ، القاهرة ، العدد التاسع ، ١٩٨٧١ ، ص ٦ ـ ٧ .

فكل فساد في الكون ليس من الكون الذي طرأ عليه الإنسان ، ولكن من الأشياء التي جاء بها الإنسان بعد دخوله هذا الكون وعملها ليحقق خيراً عاجلاً سطحياً ولا يدري ماذا يأتي بعد ذلك من شر[1] .

ولا يجحد تلك الحقيقة رجال العلوم الطبيعية فيقولون : إن المشكلة البيئية في حقيقتها ليست تدهور البيئة أو تلوثها الذاتى ، الراجع إلى عوامل طبيعية ، بل هو التعدى على البيئة وتلويثها واستنزاف خيراتها بفعل البشر ، وحاشا أن ينسب إلى الطبيعة التي خلقها الله بإحكام أنها هي السبب في مشكلة صنعناها بأيدينا لأن ما خلقه الله جعله بحكمته موزوناً ومتزناً[2] .

٤ . ٤ . ٣ العنصر الثالث

وهو إلحاق أو احتمال لحوق الضرر بالموارد البيئية بفسادها وتدهور حالتها وصيرورتها غير صالحة أو غير ميسره لما خلقت له وباتت مخلوقات الله من إنسان وحيوان وجماد في خطر ويتهددها التدهور والفناء ، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ والمراد لحوق المعاناة وذوق الضرر والأذى ، الذي نتج وينتج عن عمل الإنسان بجعله يذوقه أو يتجرعه .

فكأن الإنسان يتحمل نتائج إفساده في الأرض وتلويثه لما خلق الله فيها ، فيلحقه الضرر والعذاب ، بمخالفته أمر الله وخروجه عن سننه في تعامله مع ما أنعم عليه .

ولما كان الناس ضعفاء لاغنى لهم عما خلق الله في البيئة من موارد

---

(١) المرجع السابق ص ٩ .
(٢) سعد شعبان ، ثقب في الفضاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٥٢ .

وثروات ، فقد دعاهم الله في نهاية الآية الكريمة محل التأمل إلى الرجوع عن بغيهم وسعيهم فساداً في الأرض في قوله تعالى : ﴿لعلهم يرجعون﴾ .

بيد أن عدم الاستجابة لتلك الدعوة وعدم الرجوع عن البغي والطغيان ، يعني الجحود بنعم الله وكفرانها وعدم معرفة قيمتها ووظائفها التي يسرت لها ، وذلك من موجبات عذاب الله والشقاء في الدنيا والآخرة ، وقد قال تعالى في حق بعض الأمم السابقة التي كفرت بأنعم الله وسعت في الأرض فساداً : ﴿فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد﴾[2] .

تلك هي معجزة القرآن الكريم في شأن الإدراك المبكر لمشكلات البيئة ، وهو إدراك وتبصر كسر حاجز الزمن ونبه إلى العواقب الوخيمة للسلوك الإنسانى غير القويم في التعامل مع موارد وخيرات ذلك الكون الذي خلقة الله وسخره لمخلوقاته ، وعلى رأسها الإنسان .

فإن توفرت العناصر الثلاثة السابقة في شأن أعمال التلوث أو الاستنزاف غير الرشيد لموارد البيئة ، تحدد النطاق الذي تطبق فيه القواعد الشرعية التي زخرت بها كتب الفقه الإسلامي ، سواء في شأن النهي عن

---

(١) سورة النخل ، الآية ١١٢ .
(٢) سورة الفجر ، الآية ٦ .

الإضرار ودرء المفاسد وخطر التعسف في استعمال الحق والضمان أو المسؤولية عن الأفعال الضارة.

والحقيقة أن التلوث ينقسم إلى قسمين رئيسيين :

الأول : التلوث المادي ويشمل تلوث كل من الماء والهواء والتربة الصالحة للزراعة.

الثاني : التلوث غير المادي : كالضوضاء التي تنتج من محركات السيارات والآلات والماكينات وما تسببه من ضجيج يؤثر على أعصاب الإنسان، ويلحق به الكثير من الأذى الفسيولوجى والضرر السيكولوجي ، فالضوضاء تؤدي إلى سرعة النبض ، وزيادة إفراز بعض الهرمونات التي تفرزها الغدد الموجودة بالجسم مما قد يتسبب في ارتفاع نسبة السكر في الدم ، وقد تؤدي إلى الإصابة ببعض الأمراض كقرحة المعدة أو الاثنى عشرية ، بالإضافة إلى ما تسببه من قلق وأرق ، وعدم تركيز كما تؤدي إلى سرعة الغضب والاستثارة.

أما الملوثات فأنه يمكن تقسيمها إلى أقسام بحسب نشأتها أو مسبباتها وهي :

٤ . ٤ . ٣ . ١ طبيعية

أي نتجت بدون تدخل الإنسان كالبكتيريا والفيروسات والطحالب وحبوب اللقاح والغازات والأبخرة التي تنتج من البراكين وكالانفجارات التي تحدث في الشمس وتؤثر بدورها على طبقة الأوزون الموجودة بالغلاف الجوى للأرض والتي تحمى الأرض وسكانها من الأشعة الكونية القاتلة ، وكأكاسيد النتروجين الذي ينشأ في الجو نتيجة للتفريغ الكهربي للسحب.

٤ . ٤ . ٣ . ٢ صناعية

وهذه استحدثها الإنسان بالتصنيع كالغازات والأبخرة والمواد الصلبة والأتربة الناتجة من مداخن المصانع وكغازات العادم التي تخرج من محركات السيارات ، بالإضافة إلى المخلفات الناجمة عن نشاط البشر وحركتهم ومعيشتهم .

٤ . ٤ . ٣ . ٣ كيميائية

كالمبيدات الحشرية ومزيلات الأعشاب والمنظفات الصناعية والمركبات والمواد الناتجة من الصناعات البترولية ، وصناعات الغزل والنسيج ، والحديد والصلب ، والكوك والمفرقعات والأسمدة .

٤ . ٤ . ٣ . ٤ فيزيائية

كالضوضاء والإشعاعات الذرية ، والتلوث الحرارى الذي ينتج من إلقاء محطات توليد الطاقة الكهربائية لكميات كبيرة من المياه الساخنة في مياه البحار والمحيطات والأنهار مما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالكائنات البحرية أو التلوث الحراري الناتج من المياه التي تستخدم في تبريد المفاعلات الذرية ، حيث يؤدي ذلك إلى تناقص كمية الأكسجين الذائب في الماء ، مما يؤثر على حياة الأسماك والحيوانات البحرية .

وتشكل المواد المشعة خطرا كبيراً على الإنسان نوعاً وكماً ، وفي الماضي لم يكن التلوث بالمواد المشعة له أهمية حيث لم يكن الإنسان عرفه بعد ، والمواد المشعة التي تنتج من التفجيرات الذرية تؤثر على خلايا الأجسام الحية ، فتحطمها وتؤثر في نخاع العظام وتسبب أنواعاً مختلفة من السرطان ، كما تؤدي إلى تشوه الأجنة وحدوث طفرات في الجينات الوراثية وقد تؤدي

إلى العقم ، ونظرا لخطورة الإشعاعات على الجنين ، ينصح الأطباء السيدات الحوامل بعدم تعرضهن لأشعة إكس أثناء فترة الحمل.

٤ . ٤ . ٣ . ٥ بيولوجية

وهي الكائنات والأحياء التي يؤدي تواجدها بكميات كبيرة إلى إحداث خسارة فادحة ، بزراعة الإنسان وصناعته ، وقد تؤثر على صحة الإنسان وتسبب له الأمراض ، كبعض أنواع البكتريا ، والفيروسات والفطريات وانتشار الحشرات كالجراد والبق والقمل بكميات كبيرة ، يؤدي إلى هلاك الزرع وإصابة الإنسان بالعديد من الأمراض والأوبئة .

كما أن تلوث المياه يخلق ظروفا مواتية لنمو نباتات غير مرغوب فيها ، كالطحالب والنباتات المائية التي تعوق الملاحة ، وتخفض من سرعة التيار ، مما يهيء الفرصة لنمو القواقع وديدان البلهارسيا وتكاثر البعوض ، كما تسبب حبوب اللقاح التي تتطاير من النباتات بعض الأمراض كالحساسية التي تصيب الإنسان في الجهاز التنفسى ، نتيجة استنشاقه حبوب اللقاح التي تتطاير من أشجار الصفصاف ، ويؤدى تكاثر الفئران بدرجة كبيرة إلى خسارة هائلة في المحاصيل الزراعية الضرورية واللازمة لغذاء الإنسان كالقمح والذرة والأرز بالإضافة إلى دورها في نقل بعض الأمراض والأوبئة كالطاعون .

خلاصة القول أن كل ما يفسد البر والبحر يعتبر ملوثا ، ووجود أي مادة في غير مكانها الذي خلقه الله لها ، وفي غير زمانها المفروض أن تتواجد فيه كل ذلك يدفع إلى التلوث .

والحقيقة أن الشريعة الإسلامية كانت من الديانات السماوية التي تحرص على حماية البيئة والمحافظة عليها وعلاج تلوثها على سبيل المثال لا الحصر :

أولا : دور الإسلام في تلوث الهواء

وقد أشار الخليفة عمر بن الخطاب إلى أهمية الهواء وجودته في التأثير على الصحة فقد لاحظ على أفراد الجيش الإسلامي بعد فتح المدائن والنزول بها ، قد أصيبوا بالخور والضعف فأمرهم بعدم سكنى هذه المدائن والانتقال إلى موضع آخر يوافقهم وقال قولته المشهورة : «إن العرب كالإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل»[1] .

لقد حدد ابن الربيع شرطاً ثالثاً لاختيار مواقع المدن وهو اعتدال المكان وجودة الهواء . وهذا يؤكد على أهمية المناخ والاعتبارات الصحية في اختيار المسلمين لمواقع مدنهم . وإدراك المسلمين لذلك يعكس مستوى حضارياً متقدماً . وقد أشارت مصادر التراث الإسلامي مادحة المدن التي تتميز بطيب هوائها الذي له صلة مباشرة بقلة الآفات والحشرات التي تنقل الأمراض ، وقد وصف القزوينى مدينة أصفهان بأنها جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة من طيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء وصفاء الجو وصحة الأبدان ، وقال أيضا ، أنه لطيب هوائها «يبقى بها التفاح غضاً سنة والحنطة لا تسوس واللحم لا يتغير» وقال عن مدينة صنعاء أنها «قليلة الآفات والعلل ، قليلة الذباب والهوام ، إذا اعتل إنسان في غيرها ونقل إليها يبرأ وإذا اعتلت الإبل وأرعيت في مروجها تصح» .

ولمواجهة الهواء الملوث والأدخنة ، صنفت الأسواق في المدينة الإسلامية بحيث لا يتأذى أهل تجارة أو حرفة بما جاورهم من حرف أخرى وأن تلبى حاجات العامة بسهولة ويسر وبحيث لا يؤثر ذلك على حركة

(١) محمود جاد عبد الرحيم ، هدى الإسلام في الطب الحديث ، دار الراية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٤٤ـ٤٥ .

المرور بشوارع المدينة وطرقاتها كما يتضح أثر ذلك في تحديد العلاقة بين وضع السكن والمناطق الصناعية فسمح بأن تجاور المنشآت الصناعية التي لا تتسبب في حدوث الضرر والأذي في المبانى السكنية أو أن تشغل بعض وحداتها ومنع ما تسبب في حدوث الضرر .

وحدوث مسبباته في أنواع ثلاثة هي :

١ ـ الدخـان .

٢ ـ الرائحة الكريهة .

٣ـ الصوت المزعج .

وكان لذلك أثره في رفع نوعيات المنشآت الصناعية التي تسبب في هذا الضرر إلى أطراف المدينة وتأثير موضعها باتجاه الريح إلى حد كبير تأكيداً في منع وصول الأذى والضرر إلى مساكن المدينة ، ويمكن أن نرى ذلك واضحا في وجود أفران الجير والفخار عند الأطراف الخارجية للمدن بعيداً عن تكويناتها المعمارية ، وأمثلة ذلك عديدة في مدن الفسطاط والقاهرة وفاس والمدينة المنورة وغيرها من المدن الإسلامية ، ومعنى ذلك أن المنشآت الصناعية التي تسبب ضرراً لما يصدر عنها من دخان أو رائحة كريهة أو صوت مزعج كانت توضع عند أطراف المدينة بعيداً عن المناطق السكنية متوافقة مع اتجاه الرياح التي تهب على هذه المدينة أو تلك توافقاً يمنع وصول الضرر بفعلها .

وكانت شوارع المدينة الإسلامية واسعة ، مرتبطة بحركة الشمس واتجاه الرياح مما يساعد على تنقية الهـواء في المدينة ، كما أن الفناء يعتبر عنصراً رئيسياً في تخطيط المنزل الإسلامي ، باعتبار ملاءمته المعمارية لمناخ المنطقة الحارة نتيجة لتبخير نسبة من الماء في الفساقى التي وضعت فيه غالباً ،

بالإضافة إلى أن انعكاس الأشعة على سطح الماء يقلل نسبة الامتصاص لأشعة الحرارة كما أن المزروعات التي زرعت غالباً حول الفسقية في الفناء تساعد هي الأخرى على تلطيف الجو ، ولقد ثبت بالتجربة أن درجة الحرارة داخل الفناء تنخفض درجتين عن درجة الحرارة السائدة في المنطقة لإحداث تهوية جيدة . ونجد أن الفناء بدرجة حرارته المنخفضة يكون منطقة تفريغ «ضغط منخفض» وتبعا لذلك يتكون تيار هواء مستمر من الفناء إلى الشارع ، وبالطبع تكون التهوية دون أي تلوث ، علاوة على تلطيفها للجو الداخلى وتنقيته باستمرار .

خلاصة القول إنه وردت كلمة هواء مرة واحدة في القرآن الكريم في مجال بيان حال الظالمين يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[1] .

أي أن شدة الخوف والوجل يوم القيامة ، تجعل قلوب الظالمين كأنها هواء ، أي كأنها نزعت من الصدور فأصبحت أماكنها خاوية ليس فيها غير الهواء .

وقد عبر الكتاب المبين في آيات كثيرة عن الهواء بالرياح أو الريح وهو الهواء ظاهر الحركة ، واعتبر الله تعالى الرياح آية من الآيات الدالة على وجوده وقدرته ، فقال تعالى : ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[2] .

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان ٤٢ ـ ٤٣ .
(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٤ .

وبين جل شأنه أنه يسوق الرياح رحمة وبشرى لبعض الناس ويرسلها انتقاماً وعذاباً لآخرين فقال تعالى : ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته﴾[1] .

وقال لعاد قوم هود : ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾[2] .

وبين سبحانه أن الرياح منها الطيب ومنها الضار فقال تعالى : ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات﴾[5] .

ويؤدى إفساد الهواء أو تلويثه إلى قتل سريع أو بطئ للأنفس ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾[6] .

كما أن تلويث الهواء يعد إفسادا في الأرض والله جل شأنه يقول : ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[7] .

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٧ .
(٢) سورة الأحقاف، الآية ٢٤ .
(٣) سورة يونس، الآية ٢٢ .
(٤) سورة الذاريات ، الآية ٤١ .
(٥) سورة فصلت، الآية ١٦ .
(٦) سورة النساء، الآية ٢٩ .
(٧) سورة الأعراف، الآية ٥٦ .

ثانيا : دور الإسلام في الوقاية من تلوث المياه

ورد ذكر الماء في القرآن الكريم في ثلاثة وستين موضعاً ، وقد جاء فيها بمعان مختلفة فهو طورا يعني مياه الأمطار التي تسقط من السحاب مثل قوله تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾[1] .

ومثل قوله تعالى : ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام﴾[2] .

وهو يعنى المادة الأساسية التي خلقت منها السماوات والأرض والتي أيضاً كان عليها العرش الإلهي كما في قوله تعالى : ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[3] .

وهو يعنى أيضا السائل المنوي للرجل أو الكائنات الحية الأخرى كما في قوله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان م خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾[4] .

وهو قد يعني المادة النووية المنصهرة أو غير ذلك ، والتي تسقى للعصاة والكافرين في جهنم والتي تشبه المهل أو النحاس المصهور كما في الآية الكريمة : ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾[5] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢ .
(٢) سورة يونس، الآية ٢٤ .
(٣) سورة هود ، الآية ٧ .
(٤) سورة الطارق، الآيتان ٥ ـ ٧ .
(٥) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

وما يعنينا في هذا المقام هو الماء الذي نعرفه جميعاً ، والذي لابد منه لحياة كل الكائنات الحية والذي يسقط من السماء ليكون الأنهار والبحار والمحيطات .

ولما كان الماء أصل الحياة : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[1] .

فإن المحافظة على نظافته من التلوث والفساد تعد أساساً للمحافظة على الحياة بأشكالها المختلفة وتحفل الشريعة الإسلامية بنصوص كثيرة تحث على حماية الماء من التلوث .

فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لا يبولن أحدكم في الماء االدائم الذي لا يجري ثم يغسل فيه»[2] .

ولا يخفى علينا جميعاً أن هناك أمراضاً كثيرة تنتج عن الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق التبول فيه ، من بينها : الكوليرا والبلهاريسيا والأمراض المتوطنة والخبيثة .

كما أن الرسول ﷺ : «نهى أن يبال في الماء الراكد»[3] .

وذلك النهي هدفه المحافظة على الماء من التلوث بالطفيليات التي قد تكون مع البول مثل دودة الانكلستوما .

وفي حديث آخر يقول الرسول ﷺ : «اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وقارعة الطريق وفي الظل»[4] .

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٠ .
(٢) صحيح البخاري فتح الباري ١/ ٤١٢ .
(٣) سنن ابن ماجة ١/ ١٢٤ رقم ٣٤٣ .
(٤) رواه أبو داود ١/ ٧ رقم ٢٦ .

ويتسبب وجود البراز في الماء في التلوث بالطفيليات والفيروسات والروئح الكريهة والبكتيريا. وحين يكون البراز بكميات كبيرة كما هي في تصريف مياه المجاري إلى المسطحات المائية كالبحار والأنهار والبحيرات والجداول ، فإن ذلك يؤدي إلى استنزاف الأكسجين الذائب في مياه هذه المسطحات وذلك أثناء عملية التحلل البيولوجي للمواد العضوية الموجودة في مياه المجاري ، وهو أمر يؤثر في حياة الأسماك والأحياء المائية الأخرى.

ثالثا : دور الإسلام في وقاية الأرض من الملوثات الكيميائية والبيولوجية والفيزيائية

ورد ذكر الأرض في القرآن الكريم في عدة مواقع بمعان مختلفة فهي قد تدل على الكوكب الذي نعيش عليه مثل قوله تعالى : ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾[2].

كما قد تدل على الأماكن التي يعيش فيها الإنسان ، وينتشر فيها العمران على سطح الأرض مثل قوله تعالى : ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾[3].

وجاءت بمعنى الأرض المنبسطة الممهدة مثل قولة تعالى : ﴿الذي جعل

---

(١) سورة هود، الآية ١٠٨.
(٢) سورة الرحمن، الآية ٣٣.
(٣) سورة النساء ، الآية ٩٧.

لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾[1].

مما سبق من الآيات الكريمة نجد أن الأرض هي التي تمد الإنسان والحيوان والنبات بالغذاء وهو عبارة عن جميع المواد التي يمكن تناولها والتغذية عليها وامتصاصها داخل الجسم لتساعده على النمو وعلى قيام أعضائه بوظائفها وتعويض الأنسجة وتوليد الطاقة ووقاية الجسم من الأمراض ، وعندما يرتقي الإنسان ليعي دوره في الحياة وفي المحافظة على البيئة تنتهي معظم مشاكله الحيوية ، لأن المشكلة الكبرى التي تواجهها المجتمعات الحديثة أساسها سوء استخدام البيئة بما يؤثر على درجة صلاحيتها لمعيشة الإنسان والكائنات الحية الأخرى.

ولقد كان رسول الله ﷺ وهو قدوة لنا يهتم بالأرض وما عليها من مكونات كيميائية أو بيولوجية أو فيزيائية ، لأن القرآن الكريم وهو قانون السماء لأهل الأرض يقول : ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾[2].

لذلك كان من باب الأمن والأمان للإنسان وهو يتحرك على ظهر الأرض أو يغوص في الأنهار أو المحيطات عليه أن يقتل كل ما يؤذيه أو يوقف مسيرته أو يؤثر على صحته.

وقد روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم : الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحدأة»[3].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢.
(٢) سورة الجمعة ، الآية ١٠.
(٣)سنن ابن ماجة ٢/ ١٠٣١ رقم ٣٠٨٧

ذلك لأن الإسلام دين حضارى يهتم بصحة الإنسان ويدفع عنه كل ما يلحق به الضرر أو الأذى ، ولقد كان رسول الله ﷺ يدعو إلى نظافة البيوت والمساكن وما بداخلها من آنية للطعام والشراب وكان يأمر أصحابه بتغطية الإناء الذي به طعام وقد جاء في حديث شريف : «غطوا الإناء وأوكئوا السقاء»[1] . والوكاء كل ما يربط من خيط على فم إناء الشرب كل ذلك من باب الحفاظ على الصحة من خلال المحيط الأرضي الذي يعيش عليه الإنسان ، ولعلنا ونحن نعيش على الأرض نعمل على أن نحافظ على طهارتها ونقائها وإبعاد الشيء المؤذي عنها وكل ما من شأنه يوجد التلوث عليها حفاظا على صحة الإنسان ثم علينا أن نتخلص من الفضلات الآدمية بطريقة سليمة من شأنها ألا تضر بالهواء أو الماء أو الأرض ، وذلك كالقمامة والمياه المستعملة والفضلات الآدمية ، كما يجب تعويد الأطفال ألا يتبرزوا ولا يتبولوا ولا يبصقوا أو يتمخطوا في الطريق العام حفاظا على تنقية الجو وسلامة البيئة ، والرسول ﷺ يقول : «اعزل الأذى عن طريق المسلمين»[2] . ويقول : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن طريق المسلمين»[3] .

ودخل ﷺ المسجد ذات يوم وفي يده عرجون فرأى نخامات في قبلة المسجد فحتهن حتى انقلهن ثم أقبل على الناس فغضب فقال : «ايحب أحدكم أن يستقبله رجل فيبصق في وجهه إن أحكم إذا قام للصلاة يستقبله ربه والملك عن يمينه فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه»[4] .

---

(١) صحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(٢) صحيح مسلم ، بشرح النووى ، جـ ١٦ ، ص ١٧١ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) منصور الرفاعى عبيد ، الإسلام يحارب تلوث البيئة ، مجلة منار الإسلام ، دبى ، العدد ١٢ ، السنة اعشرين ، ذي الحجة ١٤١٥هـ ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

لقد أراد رسول الله ﷺ بهذا أن يؤصل في الناس عادات جديدة تتمشى مع القواعد الصحية فاستعمل أسلوبا مثيرا مؤثرا ليزيح به عن البيئة بعض الأخطاء التي التصقت بها وعدم المبالاة بالبصق أو التمخط في الطرق العامة فاهتم الرسول بنظافة ماتجمد منها بنفسه بالعراجين «وهي سباطة البلح بعد نزع البلح منها» ليكون ذلك بيانا عمليا للحرص على النظافة وأن كل إنسان عليه أن يسهم بصورة حية وملموسة في نظافة البيئة التي يحيا في وسطها ولما كان من مقتضيات الطهارة في الإسلام أن يكون مكان الشخص نظيفا طاهرا فان ذلك فضلا عن كونها واجبا صحيا هي أيضا واجب شرعي لأن أكثر الأسباب في انتشار الأمراض ما يدوس الإنسان في الطريق العام على ما يلقى فيه من قاذورات التي تكون مرتعا خصبا لميكروبات الأمراض لذلك حثنا الإسلام على النظافة وجاء في حديث رسول الله صلى الله «عرضت عليَّ أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن»[1].

ولعل هذا مأخوذ من قول الله تعالى في توجيهه لسيدنا إبراهيم : ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾[2].

مما سبق نرى أن الإسلام دين الفطرة النقية والطهارة والنظافة ، وقد اهتم بكل مامن شأنه أن يعود على الإنسانية جمعاء بالصحة والعافية والرخاء والازدهار ، وقد عمل من أجل الوصول لتلك الغاية المنشودة على تلافي كل الأسباب التي ينجم من جرائها إلحاق الأذى والضرر ببني الإنسان ،

---

(١) العلامة المناوى ، فيض القدير ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص ٣١٣.
(٢) سورة الحج، الآية ٢٦.

ولا شك أن الأماكن الخربة ، تعتبر مصدر أذى يجب التخلص منه ومصدر تلوث يجب القضاء عليه .

ونحن في حاجة ماسة خصوصاً في هذه الأوقات إلى تضافر القوى وتكاتف الجهود لتحويلها إلى أماكن صالحة نظيفة يستغلها الإنسان فيما يعود عليه وعلى أمته بالخير والنفع العام ، وعلى أفراد أمتنا في كل مكان أن يتعاونوا معاونة جادة وبناءة ، في جعل وجه أمتنا وجهاً مشرقاً جميلاً .

وقد اهتم الإسلام بنظافة الطرق التي يمر فيها الناس وبإصلاحها وحث على أن تظل نظيفة ومعبدة ، خالية من الأذى والضرر والعثار ، وقد نبه الإسلام إلى المحافظة على الطريق من كل ذلك وجعل الثواب الجزيل والحسنات الكثيرة ، لمن أزال من طريق المارة كل ما يضر بهم .

ففيما أخرجه مسلم وابن ماجة عن أبي برزة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «اعزل الأذى عن طريق المسلمين»[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله : «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[2] .

وعلى هذا فديننا الإسلامي الحنيف يأمر بأن نوحد جهودنا في كل ما من شأنه دفع التلوث والأذى والضرر بما نملك من إمكانات لأننا إذا تخلينا عن هذا الواجب المقدس الذي فرضه علينا الحق تبارك وتعالى في قوله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[3] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٤١٠ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٣٦٣ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٢ .

وفي قول الرسول الكريم ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه : «يد الله مع الجماعة»[1] .

فإن الضرر يعم الجميع ، والتلوث يحيط بالمجتمع في كل مكان وبذلك نكون قد ظلمنا أنفسنا وضيعنا أمتنا ومجتمعنا .

إن الواجب يقتضينا أن نكون يداً واحدة في مواجهة هذا الخطر حفاظاً على سلامة الفرد والمجتمع ووقاية مما يمكن أن نتعرض له من أخطار .

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٤٦٦ رقم ٢١٦٦ .

الفصل الخامس

حجم مشكلة تلوث البيئة في بعض المجتمعات الإسلامية

٥ . ١ التلوث البيئي في دول الخليج العربي كمجتمعات إسلامية

٥ . ٢ التلوث البيئي في مصر وبعض المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى .

الفصل الخامس

حجم مشكلة تلوث البيئة في بعض المجتمعات الإسلامية

المجتمع قطعة من الأرض يعيش عليها جماعة من الناس، هذه الجماعة تتعايش على المصادر الطبيعية التي تمدها بأسباب الحياة وهي الهواء والماء ومصادر الغذاء، وهذه الأشياء لابد أن تكون نظيفة لتحفظ على الشخص سلامة بدنه وعقله وتؤهله لأن يكون سليما حتى يستطيع أن ينتج ويعمر وبهذا نستطيع أن نصل إلى مستوى راق بصحة المجتمع بالاعتماد على طبيعة التفاعلات بين المصادر الطبيعية وتصرفات أفراد المجتمع وسياساته، لذا يجب أن تكون صحة الإنسان وصالحه هما محور نشاط كل الأعمال الإنسانية المتعلقة بهذا المجتمع .

لذلك فإن التلوث بأي شكل من أشكاله سواء كان في الهواء أو الماء أو الأراضي عن طريق المبيدات أو غيرها يؤثر على صحة الإنسان سواء كان ذلك على المدى القصير أو الطويل، وغالبية مشاكل التلوث التي يحاول الإنسان إيجاد حلول لها هي من صنع يده .

وإذا استعرضنا اهتمام المجتمعات الإسلامية السابقة بتلوث البيئة، نجدهم كانوا يهتمون بتشجير وتخضير المجتمعات والمدن الإسلامية لمكافحة التلوث وحماية البيئة والمحافظة عليها من مبدأ قوله تعالى : ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾[1] .

(١) سورة يس، الآيات ٣٣ـ ٣٥ .

ومن مبدأ قوله ﷺ : «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[1] .

ونتيجة لهذه التوجيهات الإسلامية السامية نجد أن تلوث البيئة وحجمها في المجتمعات الإسلامية السابقة محدود جداً، بل يكون شبه منعدم، لأن المسلمين في هذه المجتمعات كانوا يقومون خاصة في الجزيرة العربية باستيراد الأشجار من البلدان التي فتحوها وغرسوها في مدن الجزيرة لحماية البيئة من التصحر والمحافظة على مدنهم من التلوث .

ففي الطائف ـ على سبيل المثال ـ تشير المصادر التاريخية إلى أن أهلها استوردوا أشجاراً جديدة من بلاد الشام ومن أماكن أخرى وغرسوها[2] .

كما اعتنى المسلمون بتخضير المدن التي فتحوها وتشجير شوارعها وإقامة البساتين في ضواحيها وكانوا حريصين على المحافظة على كل غرس أخضر حتى إبان مرحلة الفتوح، وكانت وصية كل قائد مسلم إلى جنوده تنص على ألا يقتلعوا شجرة لعدوهم .

ومن الأقوال المأثورة التي قالها المؤرخون عن المسلمين أنهم يهتمون عند فتح البلدان بشيئين في وقت واحد هما : بناء المسجد وتنظيم الزراعة، ولم يكن تنظيم الزراعة مقصوراً فقط على الأرض الزراعية، بل كان يمتد ليشمل الحدائق والرياض العامة، ولذلك فإن كل بلد فتحها المسلمون كان يهتم فيها الولاة بموضوع التخضير وليس عجبا أن نرى تقدم هذه البلاد وتحولها من مستنقعات وقفار إلى حدائق وكانت حدائق الأندلس الإسلامية

---

(١) سبق تخريجه .

(١) تقي الدين المقريزى، الخطط المقريزية، دار صادر للنشر، بيروت، د.ت، ص ٣٢٨ .

ـ التي يضرب المثل بحسنها ـ دليلا ساطعا على مدى اعتناء المسلمين بالحدائق والرياض، فنجد عبد الرحمن الأول أسس حديقة للنبات بالقرب من قرطبة، وقد جمع في هذه الحديقة أصناف النبات المختلفة من جميع البلاد مشرقها ومغربها فقد أرسل إلى سوريا وباقى أقطار آسيا لإحضار أعز البذور، وعبد الرحمن هذا غرس بالقرب من قصر الرصافة أول نخلة وخاطبها بأبيات محزنة من الشعر أشار فيها إلى مسقط رأسه «دمشق» وكان مما قال فيها :

نشأت بأرض بتّ فيها غريبة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلى[1]

وفي القرن العاشر الميلادى، كانت غرناطة أيضاً تشتمل على حديقة عظيمة للنبات لا تقل عن حديقة قرطبة روعة وكانت المساحات الواقعة بين قصور غرناطة مملوءة بالأشجار والنباتات الخضراء.

وتشهد القصور والمساجد التي أنشأها المسلمون في دمشق والفسطاط وبغداد والأندلس مدى حرص المسلمين على تجميل المدن بالأشجار ومدى إدراكهم لدور النباتات في التنظيم المعمارى، وقد كانت أبهاء القصور وصحون المساجد تحتوي على نوافير وحدائق وخمائل خاصة، كما كانت القصور الضخمة محاطة بالحدائق والأشجار والزهور والرياحين.

وقد اشتهر المسلمون في فن تنسيق الحدائق وبخاصة في الأندلس، فكانت حدائق المدن الأندلسية مضرب المثل في تنظيمها وجمال أقسامها وأحواضها وممراتها. وكانت رائحة أزهار النارنج والبرتقال والرياحين تضوع جنبات الشوارع وصحون المساجد، كما كانت رائحة الزهور تفوح من

(١) لويس أميلى سيديو، تاريخ العرب العام، دار الفكر للنشر، بيروت، ١٩٧٦، ص ١١٢.

حدائق المنازل ومن شرفاتها، ونشأ في الأندلس ذوق إسلامي رفيع في تنسيق الحدائق كان ذا ميزات جمعت بين الرقة والبساطة، ففي الحديقة نجد العيون والأحواض والمقاعد والممرات والأدراج، وكان كل ذلك يزخرف بذوق رفيع، مما يكسب الحديقة جمالا وفتنة وألقا.

ولقد كان لأهل الأندلس شهرة خاصة في غرس الحدائق وتنظيمها، وقد كانت حدائق الرصافة والزهراء والزاهرة وطليطلة وأشبيلية بدائع تشهد لهم بوفرة البراعة، وحسن الذوق، وكانت روعتها مستقى لخيال الشعراء والكتاب، ومازالت هذه البراعة حتى اليوم، علما على جمال الحدائق الأندلسية، وما تزال بقايا هذه الحدائق قائمة إلى اليوم في أسبانيا المسيحية مثل حديقة المركيز دوفيانا، وحديقة القصر الملكى في اشبيلية، وجنة العريف الذائعة الصيت في غرناطة[1].

وقد أبدع لسان الدين بن الخطيب في وصف بساتين غرناطة وجناتها التي تحدها ومما قاله[2].

ويحف بسور هذه المدينة ـ المعصومة بدفاع الله تعالى ـ البساتين العريضة المستخلصة والادواح الملتفة. ولذلك ما قلت فيه في بعض الأغراض:

بلد يحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض غداره

وكأنما واديه معصم غادةٍ ومن الجسور المحكمات سواره

---

(١) عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، هيئة الاستعلامات، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٢٩.

(٢) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار النهضة للنشر، القاهرة، ١٣٩٧هـ، ص ٦٢.

واختصت «جنات غرناطة» من أشجار العاديات . . ما قصرت عنه الأقطار . . ولأهل الحضرة بهذه الجنات كلف « وحول نهر شنيل بها «مجال من ملتف الدوح، وكان بها سطر من شجر الحور . . وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث. الكروم البديعة، طوقا مرموقا يتصل بما وراءها من الجبال فتعم الربى والوهاد ، وتشمل الغور والنجد . . وأما ما استند إلى الجبل . . فبساتين رائعة، وجنات لا نظير لها في اعتدال الهواء وعذوبة الماء، والإشراف على الأرجاء والرياحين النضيرة ».

ومن الطريف أن الحدائق العامة التي أقامها المسلمون في الأندلس كانت تضاء ليلا حتى تكون ملائمة للترويح عن نفوس أولئك الذين لا يتمكنون من ارتيادها نهارا بسبب ظروف العمل، وقد أورد الأمير «شكيب ارسلان» قوله[1]:

إنه كان في قرطبة حديقة تنار بالنفط ليلا وكان لهذه الحديقة مهندس يشرف عليها يسمى «العريف» وهو يضطلع بمهمة هندسة أحواضها وهندسة أشجارها ورياحينها حيث يقص الفروع الزائدة، والأغصان النادة «الشاذة» حتى «تكون مسبوكة سبكا منسجما كما يريدها المتنزه الناظر المتريض الفائز».

ولقد حرص خلفاء وولاة وحكام المسلمين على إنشاء الحدائق العامة التي يرتادها جميع طبقات الشعب، ويحدثنا التاريخ أن «نور الدين زنكي» انشأ قصرا للفقراء بالربوة في الشام، تحف به الحدائق ذات الأشجار الباسقة، ليصطاف فيها الفقراء بخاصة، كما يصطاف الأثرياء والأغنياء في مصايفهم

(١) شكيب ارسلان، الإرتسامات اللطاف، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٧ ـ ١٨ .

وحدائقهم الخاصة بهم، وقد جعل لهذا القصر، وما يحيط به من الحدائق، موارد مالية، وأوقف علية قرية «داريا» من قرى غوطة دمشق، وفي هذا القصر يقول الشاعر:

إن نــور الدين لما أن رأى　　في البساتين قصور الأغنياء

عمر الربوة قصرا شاهقا　　نــزهة مطلقـــة للفقراء !!

واشتهرت حدائق بعض المدن الإسلامية بكونها متنزهات عامة، حتى صارت هذه الحدائق معلما من المعالم الأساسية لتلك المدن مثل جزيرة الروضة في القاهرة، وقد ازدهرت هذه الجزيرة منذ العصر الأخشيدى، حيث شيد محمد بن طفج قصرا عظيما بها وغرس فيها بستانا بلغ من الروعة حدا جعله يفتخر به على أهل العراق، ثم أضحت الروضة على أيدى الفاطميين مدينة آهلة، وصار بستانها الرائع متنزها للخلفاء والأمراء وأحدوثة للمؤرخين وملهما للأدباء والشعراء، ثم أنشأت حول بستانها العظيم بساتين خاصة للخلفاء والأمراء والأغنياء، ودام الاهتمام بالروضة أيام الحكم الأيوبي، ومن خلفاء الأيوبيين من عين وزيرا للروضة يصرف شؤونها.

ولمواجهه التلوث وخطورته في بعض المجتمعات الإسلامية قديما نجد أنه شهدت المدن الإسلامية لعديد من الحدائق الخاصة بالخلفاء والولاة وبعض السكان، وكان الخلفاء حريصين على إحاطة قصورهم بالبساتين الخضراء لحماية البيئة من التلوث والمحافظة عليها، ففي كتاب «خطط المقريزى» نجد وصفا لمتنزهة قصر الميادين جاء فيه[1]:

---

(١) تقي الدين المقريزى، الخطط المقريزية، مرجع سابق، ص ٣٢٩ـ ٣٣٠.

«فلما مات أحمد بن طولون وقام بعده ابنه خمارويه، أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذي كان لأبيه فجعله كله بستانا، وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر، ونقل إليه الودي «النخل الصغير» اللطيف الذي ينال ثمره القائم، وفيه ما يتناوله الجالس من أصناف خيار النخل، وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتعهدها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة، وبنى فيها برجا من خشب الساج المنقوش وزوقه بأصناف الأصباغ، وبلط أرضه، وجعل من تضاعيفه أنهارا لطافا جدا يجري فيها الماء مريرا من السواقي التي تدور على الآبار العذبة، ويسقي منها الأشجار وغيرها، وسرح في هذا البرج من أصناف القمارى والدباسي والنوينات وكل طائر مستحسن حسن الصوت وجعل فيه أوكارا في قواديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها، وعارض لها عيدانا ممكنة في جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضا بالصياح، وسرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيئا كثيرا».

والنص السابق يعطينا وصفا حيا لحديقة متكاملة بأشجارها ومياهها وطيورها وحيواناتها، وهو يتضمن أيضا لمحة عن فن تنسيق الحدائق الخاصة وهندستها في العصر الطولوني.

وتذكر لنا كتب التاريخ العربي والإسلامي أن سكان المدن الإسلامية كانوا يتنافسون في إقامة الحدائق الخاصة، وإبان فترة العصر العباسي الأول، أسهم انتشار الترف وسمو الأذواق في انتشار ظاهرة الحدائق المنزلية وزراعتها بمختلف أنواع الفواكه والرياحين لتكون مكانا تعقد فيه مجالس الأنس والاستجمام، ومرفقا اقتصاديا يدر على أصحابه الرزق الوفير، وقد

عم هذا الوله أغلبية الناس، وصار من لا يجد في مقدوره طاقة لشراء بستان خاص به، يبنى في وسط داره حديقة صغيرة وبهذا شاع نوع خاص من البساتين المنزلية، ومازال هذا النوع من الحدائق يشاهد في طرز البناء القديمة إلى يومنا هذا.

وكان كل هذا الاهتمام بالحدائق من أجل المحافظة على البيئة وحمايتها.

وقد شيد بعض سكان المدن الإسلامية حدائق خاصة فوق سطوح منازلهم، عندما لم يجدوا مساحات كافية لإقامتهم في ساحات بيوتهم، وحينما قدم «ناصر خسرو» إلى مصر عام ٤٣٩هـ-١٠٤٦م في عهد الرخاء في أيام الفاطميين، استرعى انتباهه ذلك، وقد ذكر في كتاب رحلاته أن بعض سكان الفسطاط كان له بستان على سطح دار له من سبع طبقات، وكان به ساقية يديرها أحد الثيران، فيصعد الماء إلى السطح الذي غرس فيه بعض أشجار الموالح والزهور والرياحين.

ويبدو أن مدينة القاهرة كانت في العصر الفاطمي مزدانة الشوارع بمختلف أنواع الزهور فقد ورد في «خطط المقريزي» النص التالي[1]:

«وفي القاهرة أزاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشأن في الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد».

وكان المسلمون حريصين كل الحرص على حماية البيئة من التلوث وبالتالي نجد أن حجم مشكلتها قليلة جدا عما هو عليه في المدن والمجتمعات الإسلامية الآن، فنجد المسلمين قد ابتكروا نوعا من الحدائق العامة في المدن يمكن لنا أن نسميه «الحدائق الثقافية» وهذا النوع من الحدائق كان مفتوحاً

(١) المرجع السابق ذكره، ص ٣٣١.

لكافة أفراد الأمة، وهو يشتمل ـ بالإضافة الى الأشجار والزهور ـ على مقاعد مظللة وغير مظللة وتجعل في داخل المقاعد المظللة رفوفاً توضع عليها الكتب، وكان يوجد في كل حديقة من حدائق الأندلس مكتبة عامة يستعير منها القارئ الكتب التي تلائم ذوقه وميوله ويقرأها في أثناء جلوسه في الحديقة ويضعها عند الفراغ منها أو عند الاستراحة على تلك الرفوف، ورغم ارتفاع أسعار الكتب في ذلك الحين إلا أن الأمانة ـ التي كانت متغلغلة في النفوس ورقابة أحكام الشريعة النافذ أمرها ـ كانت تحول دون سرقة هذه الكتب من تلك المكتبات المميزة.

وكان يستعمل في الحدائق العامة القيشانى بالنماذج الهندسية والرسوم الملونة كمقاعد ورفوف. وكانت المحافظة على الأشجار سمة من سمات المجتمع الإسلامي وكانت توكل إلى المحتسب مهمة مراقبة الحدائق العامة وعقاب من يعبث بنباتاتها وزهورها وكانت للأشجار حرمة خاصة، وبخاصة ما كان منها موجودا في الشوارع والميادين والحدائق العامة، ويحدثنا المقريزي في خططه أن الأمير شرف الدين طلب من الخليفة الفاطمي الحافظ بالله قطع شجرة واحدة من سنط من أحد البساتين الجيوشية «بالقاهرة» فأبى عليه فتشفع إليه وقومت الشجرة بسبعين دينارا، فرسم الخليفة إن كانت وسط البستان تقطع وإلا فلا٠ ولقد لفت انتباهي بيت شعر جميل لأبى بكر محمد بن أحمد الصنوبرى ـ الذي كان يعمل خازنا في مكتبة سيف الدولة الحمداني ـ يقول فيه :

لو كنت أملك للرياض صيانة يوما لما وطئ اللئام ترابها

والمتأمل لهذا البيت يدرك مدى حرص الشاعر على حماية الرياض وصيانتها من أيدي اللئام ومن وطئهم لترابها إذ أن مرورهم فيها يعتبر تدنيسا لها ولبهاء لونها الأخضر.

وهكذا يتبين لنا من استعراض النصوص السابقة مدى وعي أجدادنا المسلمين بالبيئة والمحافظة عليها بتشجير المدن وتجميلها، وما أحوجنا لذلك في هذا العصر الذي بلغ فيه التلوث حداً غير محمود، كما سنتناول حجم مشكلة تلوث البيئة في المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر.

إن المجتمعات العربية والإسلامية في الوقت الحالي تخسر حوالى ١٠ مليارات دولار سنويا بسبب التلوث البيئي، وإصلاح هذه الخسائر يتكلف ثلاثة أضعافها . . أصابع الاتهام هنا تشير في المقام الأول إلى إسرائيل بسبب تجاربها النووية والتسربات الإشعاعية من مفاعل ديمونة . . ولكن المفاجأة أن الدول العربية والإسلامية ذاتها ليست بعيدة عن الاتهام .

فإذا كانت العشرة مفاعلات النووية والتي تمتلكها إسرائيل سواء أكانت في صحراء النقب مثل مفاعل ديمونة أو تلك المطلة على البحر المتوسط لا يعرف مصير نفاياتها المشعة الناتجة عن التجارب التي تحدث بها بسبب عدم خضوعها للتفتيش الدولى، إلا أنه من الواضح أنها تلقيها بجوار شواطئ الدول العربية والإسلامية المطلة على البحر المتوسط بدليل ظهور العديد من الأمراض والإصابات التي يعود مرجعها إلى التعرض لهذه الإشعاعات.

لكن هذه المشكلة لا تشكل حجر الزاوية الوحيد في قضية التلوث البيئي في العالم العربى والإسلامي الذي يعاني ٥٩ مليوناً من سكانه من عدم توافر صرف صحي لهم، كما أن هناك حوالى ١٦ مليون نسمة يشربون كل يوم مياهاً ملوثة، وبالرغم من وجود قوانين في بعض الدول العربية والإسلامية تعاقب المضرين بالبيئة مازال أغلب المصانع العربية والإسلامية بعيدا عن المعايير الدولية الواجب تواجدها للمحافظة على البيئة مثل الفلاتر والوحدات المعالجة ومنعها من التصريف في الأنهار والبحار مما أدى إلى

ارتفاع معدلات التلوث داخل المدن التي بدورها تعاني من مشكلة أخطر وهي القمامة ففي ظل اتجاه المواطنين ناحية الاستهلاك الجنوني الذي يقابله إنتاج نفايات بدون تركيز بحيث وصلت إلى ١,٩٥٢ مليون طن نفايات صلبة وحوالي(٢٠٢٢٣) مليون متر مكعب.

وبياناتها كالآتي[1]:

١٦٩,٥	مليون طن نفايات من المحاصيل الزراعية
٨٩,٦	مليون طن نفايات صناعية
١٣٥٣	مليون متر مكعب نفايات حيوانية تقريبا
١٨٨٧٠	مليون متر من الصرف الصحي

كما نشير أيضاً إلى أن ثقب الأوزون الذي تتسرب منه الأشعة فوق البنفسجية الضارة أصبح الآن في حجم الولايات المتحدة الأمريكية، ويزداد اتساعاً بسبب التلوث الناتج عن عوادم بعض الصناعات الحديثة القائمة في الدول الصناعية والتي يمثل سكانها ٢٠٪ فقط من سكان العالم بينهم العالم الإسلامي بينما ينتجون ٩٠٪ من النفايات الخطرة.

أيضاً لقد كان تدخل الإنسان في الإخلال بالبيئة له رد فعل أشد عنفا من الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات حيث زادت من ٦١ كارثة في الستينيات إلى ٨٦ كارثة في التسعينيات..!

الأرض في المقابل بدأت تفقد خصوبتها في بعض الدول العربية والإسلامية نتيجة تعرضها للتصحر وتلوث المياه والاستهلاك الجائر لإنتاجها

---

(١) تقرير صادر عن مجلس وزراء البيئة العرب يوم ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٧ بالقاهرة.

وساعد على ذلك وقوعها مناخيا في خطوط المنطقة الجافة وشبه الجافة التي أدت إلى سرعة تصحرها، ومع مرور الوقت . . وتحديدا بعد سنتين سيصبح برميل المياه أغلى من برميل النفط بما يعادل ٢٠ ضعفاً مما يعني أنه الشرارة الأولى للحروب التي ستشهدها منطقة الشرق الأوسط في القرن الحادي والعشرين .

٥ . ١ التلوث البيئي في دول الخليج العربى كمجتمعات إسلامية

لقد بدأ التلوث البيئي الفعلي في دول الخليج العربي(المملكة العربية السعودية ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ـ الكويت ـ قطر ـ سلطنة عمان ـ البحرين) وهي مجتمعات إسلامية من اكتشاف النفط حيث كانت ومازالت، تحدث يوميا بعض الحوادث بطريق الخطأ، مما يسبب التلوث، وقد ساهمت حرب الخليج في ارتفاع نسبة التلوث هناك .

ففي يناير ١٩٨٣ ضربت القوات العراقية الآبار البحرية الإيرانية، وكشف مركز المعلومات المتبادلة للطوارئ البحرية في الخليج إن ما يقرب من ٨٩٧ ألف برميل من النفط الخام الثقيل قد تسربت في مياه الخليج العربي من حقل آبار « نوروز « الإيرانية منذ إصابتها في شهر يناير ١٩٨٣ حتى ٢٥ أكتوبر عام ١٩٨٣م، حيث وصلت هذه البقعة الى كل من الكويت وقطر والإمارات، وتسببت أيضا في تعطيل محطة تحلية المياه في المملكة العربية السعودية، هذا إضافة إلى تأثيرها على الحياة الفطرية البحرية، عدا التلوث الناجم عن الصناعات البتروكيميائية والتكرير وتسييل الغاز الطبيعى ومصانع الأسمنت والحديد والصلب[1] .

(١) خالد محمد القاسمي، وجيه جميل البيعينى، أمن وحماية البيئة، دار الثقافة العربية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٧ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٣ .

وتبعا لهذه الوقائع ، أطلق مكتب الأمم المتحدة الإقليمي لحماية البيئي على منطقة الخليج العربى صفة « منطقة ذات اهتمام بيئي خاص « ذلك لأن صناعة النفط تعتبر في الخليج مسؤولة عن معظم حالات التلوث الشديد سواء على اليابسة أو في الغلاف الجوي أو في البحر ، بحيث تشكل هذه الصناعة تحديا صارخا للبيئة .

لذا برزت الحاجة الملحة إلى المزيد من السيطرة والتحكم بأمور البيئة• فحجم التلوث البيئي أصبح أمرا واقعا في منطقة الخليج العربى والذي يتمثل الآن في الآتي :

١ ـ تلوث جوي بسبب الغبار وعوادم السيارات في كل من الكويت والسعودية والعراق وسلطنة عمان وقطر .

٢ ـ تلوث في مياه الشرب في كل من الكويت وعمان وأيضاً في العراق رغم أنها السبب في التلوث .

٣ ـ مستوى عال من الملوحة في المياه الجوفية المستخدمة لأغراض الشرب والزراعة في كل من البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة .

٤ ـ تلوث مياه البحر بسبب البقع النفطية في كل من قطر والبحرين وعمان .

٥ ـ نقص في مخزون المياه الجوفية في كل من البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة .

٦ ـ تصحر في كل من البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان .

٧ ـ مشكلات في التخلص من النفايات الصلبة والسائلة في قطر والمملكة العربية السعودية[١] .

---

(١) مجلة الرافد، الشارقة، العدد السادس، يناير ١٩٩٥ ، ص ٤٦ .

والواقع أن أول محاولة جادة تمت في الخليج العربى لمحاربة التلوث كانت عام ١٩٧٩م، حيث أنشئت في الكويت المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية والتي ضمت كلاً من البحرين، الكويت، عمان، قطر، المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، العراق، إيران. وقد قامت سكرتارية هذه المنظمة من عام ١٩٨٢ بإنجاز عدة برامج لحماية البيئة البحرية من التلوث، كما نظمت دورات تدريبية جماعية وورش عمل وندوات للدول الأعضاء بهدف زيادة القدرات العلمية والتقنية لدى شعوب المنطقة وقد تدرب مئات الأشخاص في مجالات عدة مثل أخذ العينات الملوثة بالنفط وغير الملوثة وتحليلها ومثل تداول المعلومات وصيانة المعدات، علاوة على مكافحة التلوث البحرى وضبطه ومعالجته، وعلى تشغيل معدات مكافحة التلوث بالنفط وصيانتها وتخزينها[١].

وعام ١٩٨٢، انبثق عن المنظمة مركز المساعدة للطوارئ البحرية في البحرين، الذي قام بإجراءات يتم بموجبها نقل الكوادر البشرية والمعدات والمواد المطلوبة في الحالات البحرية الطارئة من الدول وإليها وعبرها، كما ويشجع برامج التدريب الخاصة بمكافحة التلوث. ويعد المركز قوائم بالهيئات والمواد والسفن والطائرات المتوافرة وغيرها من المعدات المتخصصة اللازمة في الحالات البحرية الطارئة[٢]. والواقع أن هذه التحركات المكثفة لم تكن لتتم لولا التنبه لاستفحال خطر التلوث في منطقة الخليج العربي.

ويبدو أن حرب الخليج تجاوزت كل التقديرات والتشريعات، إذ أدت إلى تلويث البيئة بصورة لم يسبق لها مثيل. ومازالت آثار هذا التلوث قائمة حتى اليوم.

(١) مجلة العربي، العدد ٣٦٢، يناير ١٩٨٩، ص ١١٣.
(٢) المرجع السابق ص ١١٤.

وإذا كان مجتمع الخليج العربي كمجتمع عربى وإسلامي قد واجه مشكلة التلوث بالجهود الحكومية والتطوعية والأهلية وبالفعل قد قللت هذه الجهود من أخطار تلوث البيئة، إلى أن كانت حرب الخليج (الغزو العراقي لدولة الكويت) كارثة بيئية فعلية تمثلت في قضايا أربع وهي :

١ ـ تلوث مياه الخليج بالنفط .

٢ ـ تلوث الهواء من احتراق آبار النفط .

٣ ـ تلوث التربة بالحركة العسكرية والألغام .

٤ ـ تلوث الغلاف الجوى بالطيران والصواريخ، فإثر تكثيف الغارات الجوية للقوات المتحالفة ضد الجيش العراقى، عمد هذا الأخير إلى ضخ النفط بكميات كبيرة من بعض الآبار، حيث تكونت بحيرات نفطية واسعة امتدت آلاف الكيلو مترات مهددة شواطئ الخليج بكارثة محققة تتمثل في :

أ ـ تسمم الطيور البحرية والأسماك والأعشاب والأحياء الدقيقة والشعاب المرجانية في القاع . ففي تقرير منظمة البيئة العالمية أن التلوث قتل ما لا يقل عن ٥٢ فصيلة من الكائنات البحرية والسلاحف والطيور البحرية وأن مئات الأطنان من القطران ترسب على شواطئ الخليج ستحتاج إلى عدة سنوات للتخلص منها .

ب ـ تلوث مياه الخليج وبالتالى المياه المحلاة رغم زيادة المرشحات عليها . ذلك أن البترول مادة غنية بالعناصر والمركبات . وكثير منها يذوب في الماء، وبعضها يتحلل في ضوء الشمس ويتحول إلى مواد سامة . بل إن بعضها أشد خطراً على صحة الإنسان من النفط نفسه . ويعتبره الأطباء سبباً مباشراً في حدوث السرطان . ثم إن بعض عناصر النفط تتفاعل مع الكلور الذي هو عماد عملية تعقيم المياه

عند تحليتها . ونتج عن هذا التفاعل مواد جديدة بعضها يحدث أمراضاً معروفة[1] .

من ناحية أخرى، أحرقت القوات العراقية حوالي ٧٣٢ بئرا للنفط أى ما نسبته ٨٥٪ من الآبار الكويتية، فنتج عن ذلك :

١ ـ تلوث الجو بآلاف الأطنان من السناج الأسود المحمول على غاز ثاني أكسيد الكربون مصحوباً بغازات أخرى سامة وضارة بالصحة إضافة إلى كونها تحجب الشمس عن الأرض لفترة بضع ساعات في النهار في الكويت وحتى باقي دول الخليج .

٢ ـ ارتفاع نسبة أمراض الحنجرة والصدر والجهاز التنفسي والعيون خاصة عند الأطفال .

٣ ـ الخسارة الاقتصادية الكويتية من عمليات إطفاء الحرائق .

٤ ـ تكثف الأمطار الحمضية، حيث أصبح الغلاف الجوي يستعمل كميات هائلة من أكاسيد الكبريت والنتروجين وكبريت الإيدروجين، وكميات كبيرة من المواد والمعادن مثل النيكل والهيدروكربونات ومواد متطايرة . وهذه كلها تشكل ظروفاً مناخية لتكوين الأمطار الحمضية التي تجعل من ماء المطر مادة إهلاك للنبات ولا تصلح للشرب وتؤثر على التربة والمباني والإنشاءات بجميع أنواعها .

٥ ـ سقوط أمطار سوداء لم تعرف سابقاً في إيران والعراق ودولة الإمارات العربية المتحدة وذلك في غير موسم الأمطار . سبب ذلك أن ذرات الكربون تعلق في الجو مع عامل الرطوبة وتعمل كنوايا لتكثيف بخار الماء، فتتزايد كميات الأمطار .

(١) مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٨٢، ص ٨٩ .

إضافة إلى ذلك فإن تلوث مياه الخليج بالنفط سوف يؤثر سلبياً ولاشك على الشعاب المرجانية، إذ يؤدى النفط إلى اختناق هذه الكائنات النباتية فهي مصدر غذاء مهم لكثير من الكائنات البحرية خاصة الطيور البحرية التي تقيم على الجزر المرجانية، والأسماك كالزبيدى الذي يشتهر به الخليج، ومن ثم سوف تتأثر هذه الأحياء المائية بمقدار التدمير، الذي سوف يحدث للشعاب المرجانية، كما يؤثر النفط سلباً على مواطن توالد القشريات وعلى الثدييات البحرية ومنها السلاحف البحرية حيث ينتج عن ملامسة النفط لأجسامها إتلاف الأعضاء التي يلامسها وتتعرض للتسمم عندما يدخل النفط إلى داخل الجسم عبر الفم أو العين أو الأذن، وتعتبر الطيور البحرية أكبر الكائنات البحرية تضرراً بالتلوث النفطي إذ يفقدها قدرتها على الطفو والسباحة أو الغطس وراء فريستها مما يعرضها للخطر[١].

وقد قدرت أعداد الطيور التي نفقت كنتيجة لحدوث التسرب النفطي بأكثر من ٣٠ ألف طير مما قد يؤثر على أعداد الطيور التي ترتاد المنطقة في الأعوام التالية للكارثة البيئية حيث أن أغلب هذه الطيور كانت من الطيور المهاجرة التي تزور هذه المناطق في مواسم الهجرة للتغذية أو للتكاثر[٢]. وعليه فإذا لم تتخذ كافة الإجراءات والاحتياطات اللازمة لمكافحة التلوث النفطي، فإن منطقة الخليج ستتحول ذات يوم، لا سمح الله، إلى منطقة تفتقد إلى كل حياة.

(١) زين الدين عبد المقصود الغنيمي، الآثار البيئية للغزو العراقى على الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، عدد خاص، مايو ١٩٩٢، ص ٤٢.

(٢) عبد الرحمن العوضى، التلوث البيئي ودور المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية في إعادة التأهيل البيئي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد ٧٤، يوليو ١٩٩٤، ص ٣٤٤.

كذلك أدى هذا التلوث إلى تفكك التربة الصحراوية بسبب تحركات عشرات الآلاف من الآليات فوقها، بحيث أصبحت الرمال سهلة الانتقال مع الرياح. ويزيد ذلك من كثافة التلوث، وبسبب الألغام المتفجرة التي تخلط مع الترب، تنتج أنواع من الغازات والمواد التي تتفاعل وتؤدي إلى التلوث.

أما الغارات الجوية فقد أحدثت خلخلة في الهواء مما أدى إلى إحداث موجات تصادمية، كما أحدثت غازات احتراق كبيرة الحجم وشديدة الحرارة شكلت ظروفاً ملائمة للتفاعل مع غاز الأوزون وتحويله إلى الأكسجين مما يحدث ثقب الأوزون. وعليه، فإضافة إلى فتكها بعشرات الألوف من البشر وتشويهها لمئات الألوف، فإن حروب اليوم تضر وتسمم الملايين الذين كتبت لهم السلامة من جراء تلويثها للبيئة.

٥ . ٢ التلوث البيئي في مصر وبعض المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى

في مصر فإن المؤشرات تقول إن هناك(٩ آلاف حالة وفاة مبكرة) نتيجة لتلوث الهواء الذي يصيب ٥١ مليون مواطن بالكثير من الميكروبات والأمراض ونتيجة لأخطار الصرف الصناعى السيئ والتي تفوق أخطار الصرف الزراعى بمائة ضعف فإن هناك ما بين ٦٥٠٠ ـ ١١ ألف حالة نوبة قلبية يتعرض لها سكان لمناطق المتأثرة بهذا الخطر، بالإضافة الى وجود ما بين(٨٠٠ إلى نحو ١٤٠٠ حالة) جلطة مخ، ورصد التقرير انتشار أمراض الربو الشعبى لدى أطفال المناطق الملوثة[١].

---

(١) من تقرير البيئة الأول، وزارة البيئة، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٧، ص ٤ ـ ٦.

كشف الحساب الخاص بهذه الأخطار مليء بكثير من الأرقام على المواطنين دفعها من رصيد حالتهم الصحية . . فهناك أكثر من ٢٤ مرضا في الانتظار نتيجة لترك القمامة والنفايات دون معالجة صحية وعلى أسس سليمة، كما أن حرقها بصورة بدائية يتسبب في تلوث الهواء والذي يشكل تأثيرا غير مباشر على صحة المواطنين نتيجة لاستنشاقهم الهواء الملوث بالكثير من الملوثات . . مما يكلف جميع الدول العربية والإسلامية بما فيهم مصر أكثر من خمسة مليارات دولار سنويا للصرف على العلاج الطبى، كما أن إصلاح المخالفات التي ترتكبها المصانع وإنهاء أخطار الصرف الصحي وغيرها من الملوثات البيئية سيكلف الدول العربية والإسلامية بما فيهم مصر ما يزيد عن الثلاثين مليار دولار خلال السنوات العشر القادمة، وأيضاً يمكن الاستفادة بالمخلفات بإعادة تصنيعها لتحقيق دخل يزيد عن ٧ مليارات دولار في جميع الدول العربية والإسلامية وكذلك إعادة تدوير وتنقية مياه الصرف الصحى والزراعى ستقلل من مشكلة ندرة المياه.

ومن أنواع الملوثات البيئية في مصر وتتشابه معه العديد من الدول العربية والإسلامية مثل سوريا والأردن وفلسطين والمغرب وغيرها إلى:

٥ . ٢ . ١ تلوث الهواء

مكونات الهواء معروفة، وأهميته للحياة العامة لا تحتاج إلى بيان، ولكن في كثير من الأحيان تحدث تغييرات في مكوناته نتيجة لعوامل التلوث التي قد تكون: غازية أو إشعاعية، أو من عوامل أخرى مثل، الأتربة والدخان، والمواد العالقة في الجو، والمتصاعدة كالرذاذات.

أنواع التلوث في الهواء

٥ . ٢ . ١ . ١ التلوث بالغازات[١]

أ ـ أكاسيد الكربون

وهي نواتج الاحتراق الكامل والغير كامل لوقود السيارات، والاستخدام المنزلى، والتدخين في الأماكن المغلقة، وقد ازدادت هذه «الأكاسيد» زيادة ملموسة خاصة غاز ثانى أكسيد الكربون نتيجة للتوسع في استخدام المصادر الحضارية للوقود مثل الفحم والبترول، وهذه الزيادة لها أثر على درجات الحرارة الجوية، لأن لجزئيات ثاني أكسيد الكربون أثراً أشبه بأثر «المدفأة الزجاجية»[٢] في زيادة درجة الحرارة، ويزيد من هذا العامل تزايد الغبار والدخان والدقائق الترابية العالقة والمنتشرة في الجو، وهذا يرجع إلى اتساع الرقعة السكانية، وتزاحم المدن وتزايد ما يتصاعد منها من دخان وغبار، يضاف إلى هذه العوامل ضيق الرقعة الخضراء، ونقص الكساء النباتي الطبيعي مما أدى إلى قلة استيعاب الطبيعة الخضراء لغاز ثاني أكسيد الكربون.

والحقيقة إن هذا النوع من التلوث يسبب التهابات في الجزء العلوي للجهاز التنفسى، وفي الشعيبات الهوائية، كما أن غاز أول «أكسيد الكربون» له قابلية للاتحاد مع (هيموجلوبين) الدم، فيقلل من قدرته وسعته على حمل غاز الأكسجين إلى أعضاء وأنسجة الجسم مما يسبب الصداع وعدم الاتزان، وقد يؤدي إلى هبوط في الدورة الدموية والقلب فالوفاة.

(١) ماشاء الله حسن حسنى، التلوث البيئي في مصر، مجلة الأزهر، الجزء ٦، السنة ٦٦، ١٤١٤هـ، ص ٩٠٥.

(٢) تقرير المجلس القومي للخدمات والتنمية الاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٠.

ب ـ ثاني أكسيد الكبريت وأكاسيد النيتروجين

وهي ناتجة من حرق الوقود في المصانع المختلفة والمتعددة، وفي الاستخدامات المنزلية، ويتم تفاعل هذه الغازات في الجو مع بخار الماء، وينتج عنها «حامض الكبريتيك » و «حامض النيتريك» مما يسبب المطر الحمضى الذي يلوث بدوره المياه العذبة خاصة في البحيرات ويفسد الحياة والثروة السمكية فيها.

وهذا النوع من التلوث في حالته الغازية مهيج ومثير لأغشية الجهاز التنفسى، ويسبب الربو الشعبي مما يؤثر على كفاءة الرئتين، ويؤدي في النهاية لهبوط في القلب.

٥ . ٢ . ١ . ٢ التلوث بمركبات «الكلورو فلورو كربون»

وتلك المركبات هي التي تستعمل كرذاذات وتستخدم في المواد العطرية والمبيدات الحشرية ومزيل العرق .

هذه المركبات يتصاعد منها الرذاذ إلى طبقات الجو العليا وتؤثر في جزئيات (طبقة الأوزون)، تلك الطبقة بالغة الأهمية لبقاء الحياة على سطح الأرض، وهي الدرع الواقي للإنسان من «الأشعة فوق البنفسجية» التي تسبب سرطان الجلد .

٥ . ٢ . ١ . ٣ التلوث بالإشعاع

وهو الناتج عن استخدام المواد المشعة في الطب والطاقة النووية، مثل ما يصدر من أجهزة الأشعة التشخيصية «أشعة اكس»، والنظائر المشعة التي تستخدم في تشخيص ومعرفة أماكن الأورام، كذلك العلاج بالإشعاع في حالة الأمراض السرطانية.

وهذا النوع من التلوث يسبب أنواعاً كثيرة من السرطانات.

٥ . ٢ . ٢ التلوث في المياه

تواجه العديد من الدول العربية والإسلامية بما فيهم مصر من مشكلة تلوث المياه وهي نوعان :

١ ـ تلوثات «بيولوجية ـ بكتيرية ـ فيروسية» ـ ديدان وطحالب وتوالد البعوض.

٢ ـ تلوثات كيميائية، مبيدات حشرية ـ زيوت ـ شحوم ـ رصاص.

وغالباً ما يكون التلوث من هذين النوعين مجتمعين فالمياه العذبة الجارية في شبكات الري والصرف تتعرض للتلوث نتيجة ما يتسرب إليها من إفرازات المناطق السكنية، والمجموعات الصناعية وما يصل إليها من مياه الصرف الزراعي المحملة ببقايا المبيدات والأسمدة والأملاح.

ومن هنا نجد أن المياه العذبة تتلوث «بمواد نيتروجينية» و «فوسفاتية» وعضوية فتزيد ـ بدورها ـ من نمو الطحالب والأعشاب المائية على نحو طافح يستهلك أغلب موارد «الأكسجين» الذائب في الماء ليصبح الماء بعد ذلك غير صالح لحياة الأحياء المائية، كما أن بعض هذه المواد سام وضار بالكائنات الحية والإنسان.

وأسباب تلوث المياه هي :

٥ . ٢ . ٢ . ١ الصرف الصحي

تعاني شبكات الصرف الصحي في بعض الدول الإسلامية والعربية من زيادة الكميات الواردة إليها عن طاقتها، وهذا بجانب انقضاء العمر الافتراضى لها، ويرجع ذلك إلى الزيادة السكانية في المدن كما في مصر،

والتوسع الغير مخطط في الأحياء المختلفة والتقصير في علاج المخلفات .

هذا فضلاً عن أن بعض المناطق الريفية والقروية والبدوية في بعض الدول محرومة من خدمات الصرف الصحى ، وبذلك يلجأ أهل هذه المناطق إلى الطرق البدائية لقضاء حاجتهم وغالباً ما تكون بجانب مجرى مائي ، كما أن المراحيض الصحية في بعض المساكن والمساجد والمدارس تلقي بمخلفاتها في المجاري المائية .

٥ . ٢ . ٢ . ٢ مصارف تصب في المسطحات المائية

أ ـ مخلفات المصانع .

ب ـ «الكيماويات» الزراعية مثل المخصبات ومبيدات الآفات الزراعية وهي عبارة عن مواد «كيميائية»سامة تتسبب في حدوث حالات تسمم .

جـ ـ النقل النهرى والعائمات .

ويدخل فيها البواخر ومراكب الصيد والتجارة والعائمات السكنية والعبارات وجميعها تلقي بمخلفاتها في المياه الجارية ، وهذا النوع من التلوث يسبب أنواعاً من التسمم منه الحاد ومنه المزمن وكثير من أمراض الجهاز الهضمي والعصبي .

٥ . ٢ . ٣ تلوث الغذاء

إن الغذاء ضرورة من ضروريات الحياة حفاظا عليها واستمرارها لكنه عرضة للتلوث نتيجة لعدم انفصاله عن البيئة ملوثة المياه والهواء ، وأي تلوث في الغذاء بسبب استخدام المياه الملوثة في استخدامه أو إنتاجه أو تصنيعه يعرض الإنسان للكثير من الأمراض نتيجة تناوله المباشر لغذاء ملوث أو غير مباشر كتناوله لنتاج حيوان يتغذى على نبات ملوث . لذا كان من

الضرورى بيان أنواع ملوثات الغذاء وما تحمله هذه الملوثات من سموم تصيب الكائنات الحية وتؤدي بها إلى الأمراض المزمنة وقد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى الموت.

ومن أنواع ملوثات الغذاء ما ينجم عنها :

٥ . ٢ . ٣ . ١ التلوث البيولوجي «الحياتي»

يكون هذا التلوث غالبا بسبب استخدام مياه ملوثة في إعداد الطعام أو طهيه، وينجم عن هذا التلوث إصابة الغذاء بالجراثيم : البروسيلا ـ الشيجلا ـ الكوليرا ـ السل ـ بالإضافة إلى أمراض الكبد والسرطان.

٥ . ٢ . ٣ . ٢ التلوث الكيميائي

ويحدث هذا النوع في مرحلة الإنتاج الزراعي والحيواني عند استخدام المخصبات في حالة المزروعات أو الهرمونات في حالة الإنتاج الحيواني وكذلك المبيدات الحشرية والفطرية، كما يحدث التلوث الكيميائي في مرحلة التصنيع وذلك عند استخدام مكسبات اللون والطعم والرائحة أو المواد الحافظة أو مواد التغليف والحفظ وقد ينجم عن التلوث الكيميائي للغذاء التسمم الحاد المسبب للسرطان وقد يتلوث الغذاء عن طريق الماء والهواء الذين ينجم عنهما إصابة الخضراوات بمادة الرصاص نتيجة لاستخدام المبيدات الحشرية ذات الفسفور العضوى الذي يستخدم بصورة كبيرة لمكافحة آفات القطن والقوارض، وقد يستخدم عند تخزين الحبوب والبقول لحمايتها من الحشرات.

٥ . ٢ . ٤ التلوث بالضوضاء

إن للأصوات تأثيرات على البيئة مهما كانت هذه الأصوات جميلة أو

هادفة فإذا تعددت هذه الأصوات وارتفعت عن الحد المعقول، يصبح الصوت مصدرا للتلوث البيئي في الحالات الآتية :

عند ارتفاعه وحدته وعند فجائيته وعند نشازه وعند غياب مغزاه وعند عدم التحكم فيه وتكثر في المدن مصادر التلوث بالضوضاء عنها في المناطق الريفية القروية والبدوية للأسباب الآتية :

١ ـ وسائل النقل والمواصلات بكافة أنواعها وخاصة عند إساءة استخدام آلات التنبيه .

٢ ـ كثافة السكان وكثرة استخدام أجهزة الراديو والتليفزيون والكاسيت .

٣ ـ كثرة استخدام مكبرات الصوت .

٤ ـ أصوات الباعة الجائلين .

٥ ـ كثرة الورش والمصانع والمحركات المختلفة وبخاصة عند قربها من المساكن .

وينجم عن التلوث بالضوضاء أضرار عضوية ونفسية واجتماعية وقد أثبتت البحوث العلمية أن تأثير برق السيارات على الأذن القريبة منه تشبه تأثير طلقة مدفع وقد يؤذي إلى درجة الفقدان التام للسمع ، كما أن الضوضاء تجعل جسم الإنسان يستجيب لمواجهتها بسلسلة من التفاعلات العصبية والهرمونية الحادة فإذا لم يتم تفريغ هذه الشحنة لدى الفرد أدى ذلك إلى أمراض عضوية حادة تتمثل في تصلب الشرايين وتوتر العضلات وما يصاحبها من الآم الرأس والظهر والمفاصل .

وقد ينجم عن التلوث بالضوضاء حالة من التوتر النفسي المزمن يتمثل في الأرق وعدم النوم واضطراب الجهاز الهضمي والتمثيل الغذائي وقد يتحول إلى اكتئاب نفسي .

أما الآثار الاجتماعية لتلوث البيئة بالضوضاء فإنها تؤثر تأثيرا سلبيا على السلوك الاجتماعى فهي تجعل الأفراد لا يميلون إلى تقديم المعونة لمن يحتاجها كما أنها تؤدي إلى التوتر العصبى الذي يؤدي إلى الصراع والعنف وربما القتل .

إن مشكلة تلوث البيئة في العالم العربى والإسلامي الواقع يقول إنه لم تبرز أي محاولات فعالة تجاه هذه المشكلة ، ومرد ذلك في رأينا يرجع إلى العوامل التالية :

١ ـ تردي الأوضاع الاقتصادية التي تحول دون تمويل مشاريع التنمية البيئية .

٢ ـ الخلافات القائمة بين بعض الدول العربية والإسلامية والتي تمنع من اتخاذ موقف عربى أو إسلامي موحد إزاء قضايا البيئة وغيرها من القضايا المصيرية .

٣ـ وجود إسرائيل في قلب الوطن العربى والإسلامي بحيث توجهت كافة الجهود العربية والإسلامية نحو معركة المصير العربية والإسلامية ـ الإسرائيلية وحالياً نحو الحل السلمي الشرق ـ أوسطي ، مما يقف حائلاً في وجه المشاريع التنموية العربية .

٤ ـ الانعدام شبه الكامل للتربية والإعلام البيئيين وجهل العامة لمشكلة التلوث البيئي .

٥ ـ ضعف التخطيط والبرمجة في استيراد واستخدام وسائل النقل والآلات على أنواعها إضافة إلى استخدام الأدوية والمبيدات الحشرية دون تفحصها والتأكد من آثارها .

٦ ـ قيام المنشآت الصناعية في وسط التجمعات السكنية مما يخلق صعوبة في التخطيط لمنع التلوث المديني .

ولمواجهة التحديات والمشكلات البيئية في العالم العربي والإسلامي يجب ما يلى :

١ ـ وضع نظام أساسي لحماية البيئة يتضمن القواعد الأساسية للمحافظة على البيئة وحمايتها وتلتزم به كافة الدول العربية والإسلامية .

٢ ـ وضع سياسة واضحة المعالم لمعالجة المشاكل البيئية تستهدف حماية البيئة من التلوث المحافظة على الموارد الطبيعية والبشرية وتنمية ودعم الإمكانيات الوطنية اللازمة لحماية البيئة وضمان سلامتها مع الاهتمام بالتقنيات الموروثة المتلائمة مع البيئة ومن منظور إسلامي .

٣ ـ إنشاء واستكمال الأجهزة التشريعية والتنسيقية ودعم الأجهزة التنفيذية المناط بها تنفيذ أنظمة ومقاييس وقواعد حماية البيئة وتوفير ما تحتاجه من إمكانيات للرصد والمراقبة والمحافظة على البيئة .

٤ ـ مراعاة الاعتبارات البيئية وإعطاؤها أولويات متقدمة ، ودمج هذه الاعتبارات في جميع مراحل ومستويات التخطيط وجعل التخطيط البيئي جزءاً لا يتجزأ من التخطيط الشامل للتنمية في جميع المجالات الصناعية والزراعية والعمرانية لتفادى الآثار السلبية التي تنجم عن إهمال هذه الاعتبارات مع الأخذ بالحسبان التوازن بين العوامل الاقتصادية والبيئية بما يضمن تحقيق التنمية الشاملة .

٥ ـ اعتماد مبدأ التقييم البيئي للمشاريع وإعداد دراسات التقييم البيئي وتقدير جدواها وربط ترخيص المشاريع والمرافق بموافقة الجهة المسئولة عن حماية البيئة على نتائج هذه الدراسات .

٦ ـ وضع القواعد والتشريعات التي تنبثق من الشريعة الإسلامية والمقاييس اللازمة المتعلقة بحماية البيئة وتقديم الإرشادات لاستخدام الموارد الطبيعية والأحياء الفطرية .

٧ ـ تنسيق الجهود التي تبذلها الدول العربية والإسلامية لمنع التأثيرات السلبية لمشروعات التنمية والتصنيع التي تقوم بها إحدى الدول على البيئة بالدول المجاورة.

٨ ـ العمل من خلال وسائل الإعلام والمناهج الدراسية وغيرها على رفع مستوى الوعي المجتمعي بقضايا البيئة وضرورة حمايتها وتنميتها وغرس الشعور بالمسئولية الفردية والجماعية لتقديرها والمحافظة عليها في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية.

٩ ـ الوصول بالقوى البشرية المسئولة عن شئون البيئة إلى مرحلة عالية من الكفاءة والخبرة وذلك بدعم خطط الإعداد والتدريب على المستوى المحلي والإقليمي مع الاستفادة من الدورات التدريبية والندوات والاجتماعات المتعلقة بالبيئة التي تعقد في الدول العربية والإسلامية.

١٠ ـ الاهتمام بحصر وجمع وتبادل المعلومات البيئية الإقليمية والدولية واستخدامها في عملية التخطيط.

١١ ـ التنسيق بين الدول الأعضاء وتشجيع البحث العلمي وإجراء الدراسات للتعرف على المشكلات البيئية التي تعاني منها المنطقة[1]. مع تحديد الأولويات والمجالات لتفادى التكرار والازدواجية وإعداد دليل بالخبرات المتوافرة في مجالات حماية البيئة في الدول العربية والإسلامية على أن يتم تحديث هذا الدليل بصورة دورية.

١٢ ـ ضرورة قيام منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ورابطة العالم الإسلامي بتنظيم ندوات ولقاءات وأبحاث لتناول أبعاد المشكلات البيئية التي تواجه الدول العربية والاسلامية.

---

(١) خالد بن محمد القاسمي، إدارة البيئة في دولة قطر، دار الحداثة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٣ ـ ٤٥.

الفصل السادس

حماية البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي

٦ . ١ تحريم الشرائع للإفساد في الأرض والإسراف .

٦ . ٢ مصدر حرمة البيئة .

٦ . ٣ حماية البيئة في الإسلام .

٦ . ٤ الجزاء على المحافظة وحماية البيئة والإضرار بها في الإسلام .

الفصل السادس

حماية البيئة والمحافظة عليها

من منظور إسلامي

تتمتع البيئة في الإسلام بالأمن الشامل الذي يحفظ فطرتها ونقاءها ووجودها ونموها، ويمكن الانتفاع بها دون إضرار أو إفساد لمظاهرها وخصائصها وتنوعها ، ويجعلها في عصمة تقيها من الجور والعبث والاستنزاف ، وتستمد هذه العصمة من النصوص الشرعية التي يتعين العمل بها ومراعاتها أثناء حركة عمارة الأرض التي استخلف الإنسان فيها ليكون مهتديا بأوامر الله تعالى ، سائرا على منهجه الذي ارتضاه له، مؤتمنا على ما استخلف فيه ، ابتداءً من آدم عليه الصلاة والسلام الذي قال الله تعالى في شأنه : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون﴾[1] فقد أشارت الآية وفق علم الملائكة إلى أنّ جنس الإنسان بناءً على هواه ونزعاته الشخصية من غير ديانة تهذب نفسه، وتبصره بمصالحه ، وتضبط تصرفاته ـ يفسد في الأرض ويسفك دماء ما حوله من أحياء طمعا وأثرة ، أو جهلا بأمانة الاستخلاف التي ذكره الله تعالى بها في قوله : ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠ .

(٢) سورة محمد، الآيات ٢٢ ـ ٢٣ .

٦ . ١ تحريم الشرائع للإفساد في الأرض والإسراف

تداركت حكمة الله تعالى ورحمته الإنسان فشملته بالهداية التي توالى على الدعوة إليها رسل مصطفون يسعون إلى إصلاح الإنسان وتهذيبه ، وحماية ما حوله من مفاسده وشروره ، وكان فيما دعا إليه هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام النهي عن الإفساد في الأرض ، منهم صالح عليه الصلاة والسلام الذي ذكّر قومه بما أنعم الله عليهم من عناصر طبيعية مسخرة لراحتهم استخلفوا فيها ، ونهاهم عن إفسادها ، قال تعالى : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[1] .

ومنهم شعيب عليه الصلاة والسلام الذي نهي قومه عن الإفساد في الأرض بعد أن أصبحت مهيأة لمصالحهم ، ذكر القرطبي في تفسيره قولا لابن عباس رضي الله عنهما عند تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ و «كانت الأرض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا يُعمل فيها بالمعاصى ، وتستحل فيها المحارم ، وتسفك فيها الدماء . قال : فذاك فسادها ، فلما بعث الله شعيبا ، ودعاهم الى الله صلحت الأرض ، وكل نبي بعث إلى قومه فهو صلاحهم»[2] .

قال تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٧٤ .

(٢) أبو عبد الله القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ٧ ، طبعة دار إحياء التراث ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٣٤٨ .

الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾[1].

ومنهم موسى عليه الصلاة والسلام الذي طلب الانتفاع من البيئة بالاستسقاء والأكل والشرب مع المحافظة عليها ، قال تعالى : ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[2].

لقد اتفقت الشرائع على تحريم الإفساد في الأرض ، ولفظ الإفساد عام يشمل كل ما يصدق عليه هذا المعنى من الجليل من الأمور الاعتقادية المعنوية، مثل الشرك ، ومن الدقيق كالأمور العملية الحسية ، مثل قطع شجرة غير مضرة ، أو قتل عصفور عبثا ، واجتمع نوعا الإفساد في شخصية تحدث عنها القرآن الكريم مبرزا جرمها المعنوي والحسي ، وهي شخصية الأخنس بن شريق الذي جاء إلى الرسول (مظهرا الإسلام ، وهو يبطن النفاق ، ويسعى بالفساد ، أو في شخصية المنافق عموما الذي يقول الله تعالى عنه : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[3].

قال ابن كثير في تفسيره لهاتين الآيتين : «هذا المنافق ليس همه إلا الفساد

---

(١) سورة الأعراف، الآية٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآية ٦٠.
(٣) سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤ـ ٢٠٥.

في الأرض، وإهلاك الحرث وهو محل نماء الزروع والثمار ، والنسل وهو نتاج الحيوانات واللذين لا قوام للناس إلا بهما »[1] .

واتفقت الشرائع كذلك على تحريم الإسراف الذي هو الوجه الآخر للإفساد .

قال تعالى : ﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾[2] .

والإسراف في الآية وإن كان يتجه الى القتل إلا أنه لا يتقيد به ، كما ذكر ذلك أبو حيان في تفسيره[3] ، ومعناه تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان ، قال تعالى : ﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾[4] أي المتجاوزون للحد في أمورهم وهو مأخوذ من السرفه دويبة تأكل الورق ، وسمي بذلك لتصور معنى الإسراف منه[5] وقيل أيضا أقوال أخرى في الإسراف مثل قول الكلبي : يجاوزون حد الحق بالشرك ، وقيل ما هو أعم من الإسراف بالقتل والشرك[6] .

---

(١) ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم ، جـ١ ، طبعة دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤٦ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٢ .

(٣) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، جـ٣ ، طبعة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٤٦٩ .

(٤) سورة غافر، الآية ٤٣ .

(٥) أبو القاسم الاصفهانى ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٣٠ .

(٦) أحمد عبد العزيز الحليبي، أمن البيئة في الإسلام ، مجلة الأمن ، العدد ١٣ ، ١٤١٧هـ ، ص ٢٢ .

٦ . ١ . ١ تحريم الشريعة الإسلامية للإفساد في الأرض

يحرم الإسلام كل أسباب الفساد الحسي، ومنه تلويث البيئة حماية لها وصيانة لحق الإنسان من الضرر الذي يلحق عناصر البيئة التي يستمد منها هواءه الذي يتنفسه ، وطعامه الذي يقتاته ، وشرابه الذي تقوم حياته عليه، والتلويث هو عبارة عن تعكير يؤثر على نقاء عناصر البيئة نتيجة مخالط غريب ، وقد عانى الإنسان في العصر الحاضر من مشكلة التلوث المتمثلة في كثرة العوادم الملوثة لنقاء الهواء التي تفرزها الآلات ، وكثرة المخلفات الصناعية التي حارت الدول الصناعية في كيفية التخلص منها ، وزيادة مياه المجاري التي تصرف في بعض الدول في الأنهار والبحيرات ، وتسرب البترول ومشتقاته السائلة من البواخر والناقلات العملاقة إلى البحار والمحيطات الذي غطى مساحات كبيرة منها ، وغيرها من الملوثات .

وتتسبب مشكلة التلوث في إفساد توازن تركيبة العناصر التي يعيش عليها الإنسان من الهواء والماء والغذاء كليا أو جزئيا ، مما يهدد أمنه على حياته ومستقبله واستقراره ، وتزداد هذه المشكلة خطرا كلما ارتفعت نسبتها وتعددت مصادرها .

إن إلقاء النفايات السامة في المياه الإقليمية وغير الإقليمية ، ودفن المخلفات الخطيرة في مواقع من أراضي الدول الفقيرة أو النامية عمل لا يتفق مع دين أو قانون أو عقل ، ونموذج من نماذج الفساد الممنوع دوليا[1]، يحرمه الإسلام لما فيه من إلحاق الضرر بحياة الإنسان والكائنات الأخرى ،

---

(١) محمد الفقي، البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ، مكتبة ابن سيناء، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٨٩ ،

التي قصد الشارع حمايتها ، ودفع الضرر عنها ، لأن هذا النوع من الإفساد إبادة جماعية لجنس الإنسان أو لبعض الكائنات الحية أو لعنصر من العناصر التي يعيش عليها ، قال تعالى : ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾[1] وصدق القاضي أبو يوسف إذ قال : «وليس يبقى على الفساد شيء ولن يقل مع الصلاح شيء»[2] ، فالفساد مثل النار التي تحرق كل ما عرض لها من ثمين وتافه .

٦ . ١ . ٢ تحريم الإسلام للإسراف

ويحرم الإسلام الإسراف بكل أنواعه ، منه الإسراف في الأكل والشراب ، قال تعالى : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[3] .

والإسراف في الإنفاق ، قال تعالى : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾[4] .

بل والإسراف في كيفية التعامل مع عناصر البيئة حتى فيما يتصل بالعبادة ، فنهى عن الإسراف في الوضوء ، في الحديث أن النبي ﷺ مر بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو يتوضأ ، فقال : «ما هذا السرف؟ فقال : أفي الوضوء إسراف؟ قال : نعم ، وإن كنت على نهر جار»[5] ، وكان النبي ﷺ «يتوضأ بالمد ، ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد»[6] ويشمل

(١) سورة المائدة ، الآية ٣٢ .
(٢) القاضي أبو يوسف ، الخراج ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٠٥ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ٣١ .
(٤) سورة الفرقان ، الآية ٦٧ .
(٥) رواه ابن ماجه ، رقم ٤٢٥ ، في الطهارة .
(٦) رواه مسلم ، رقم ٣٢٥ ، في الحيض .

معنى الإسراف الاحتطاب والصيد الجائرين اللذين لا يبقيان ، ولا يذران ، فقد حرم الرسول ﷺ الاحتطاب من أشجار المدينة وما حولها استبقاء للحياة النباتية التي يعتمد عليها الرعي ، روى أبو يوسف عن مالك أنه بلغه عن النبي ﷺ أنه حرم عضاة المدينة (أي شجرها العظيم) وما حولها اثني عشر ميلا (أي جنبها) وحرم الصيد فيها أربعة أميال حولها . وقال أبو يوسف : « قال بعض العلماء : إن تفسير هذا إنما هو لاستبقاء العضاة لأنها رعي المواشي من الإبل والبقر والغنم ، وإنما كان قوت القوم اللبن ، وكانت حاجتهم الى القوت أفضل من حاجتهم الى الحطب»[1] .

وبعد تحريم الإسلام للإفساد بكل مظاهره والإسراف بكل أنواعه قاعدة الأمن البيئي التي ينطلق منها في المحافظة على فطرة البيئة التي خلقها الله في أحسن تقويم ، وأجمل صورة ، وأحكم نظام ، قال تعالى : ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾[2] وهو ﴿فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[3] سبحانه ، و ﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى﴾[4] ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[5] ، وما يظهر في البيئة مكدرا لفطرتها من مظاهر الفساد التي قد تتعاظم وتؤثر في حياة الناس ـ طارئ من كسب الإنسان ، قال تعالى : ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[6] .

(١) القاضي أبو يوسف ، الخراج ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٤ .
(٢) سورة السجدة، الآية ٧ .
(٣) سورة الشورى، الآية ١١ .
(٤) سورة الحشر، الآية ٢٤ .
(٥) سورة المؤمنون، الآية ١٤٠ .
(٦) سورة الروم، الآية ١٤ .

٦ . ٢ مصدر حرمة البيئة

وتستمد البيئة حرمتها من هذه القاعدة ، قاعدة التحليل والتحريم ، وما تقتضيه من الامتثال والطاعة التي تنشأ عن الإيمان الخالص بأن الله سبحانه الإله الذي يحرم ويحلل ، ويحظر ويبيح وينهي ويأمر ، وأن المسائل تتساوى كلها عند هذه القاعدة ، كبيرها وصغيرها ، وأن شئون الحياة بجملتها يجب أن ترد الى هذه القاعدة دون سواها[١] ، فهو سبحانه له وحده الخلق والأمر ، قال تعالى : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[٢] .

يقول الشوكاني عند تفسره لهذه الآيات : «هذا نوع من بديع صنع الله وجليل قدرته وتفرده بالإيجاد الذي يوجب على العباد توحيده ويوجب عبادته ، ومنها ما نهاهم عنه من ـ الفساد في الأرض بوجه من الوجوه قليلاً كان أو كثيراً ، ومنه قتل الناس وتخريب منازلهم وقطع أشجارهم وتغوير أنهارهم »[٣] .

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ ٢ ، دار الشروق للنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٩٦٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات ٥٤ ـ ٥٦ .

(٣) محمد الشوكاني ، فتح القدير ، جـ ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢١٠ ـ ٢١٣ .

ويتبين من هذا أن التعامل مع البيئة في جميع وجوه الانتفاع مسألة تكليفيه لم تترك للأعراف ، بل تتحدد عن طريق الشرع الذي يسعى إلى جلب المصلحة ودفع المفسدة ، وإن كانت الإباحة هي الأصل في حكم التعامل إلا ما دل الشرع على خلافه ، ومنه ما أنكره الله تعالى على أهل الجاهلية من تحريم الانتفاع ببعض الإبل والغنم ، أو قصره على الضيف ، مؤكدا على أنه هو وحده الذي يحرم ويحلل ، قال تعالى : ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾[1]، نقل القرطبى عن ابن اسحاق أنه قال : «البحيرة هي إبنة السائبة ، والسائبة هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر ، لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها . ونقل عن ابن وهب أنه قال : قال مالك : «كان أهل الجاهلية يعتقون الإبل والغنم يسيبونها ، فأما الحام فمن الإبل كالفحل إذا انقضى ضرابه جعلوا عليه من ريش الطواويس وسيبوه ، وأما الوصيلة فمن الغنم إذا ولدت أنثى بعد أنثى سيبوها»[2] .

٦ . ٣ حماية البيئة في الإسلام

يدعو الإسلام إلى استصلاح البيئة والمحافظة عليها ، ويسعى إلى تنظيم صلة الإنسان بها على وجه يؤدي إلى استثمارها ، وتخفيف طمعه في مواردها الذي قد يهدد أمنه وحضارته ومستقبله بأفدح الضرر بعد أن قرر تحريم إفساد البيئة والإسراف في التعامل معها .

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٣ .

(٢) ابو عبد الله القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سبق ذكره ، جـ٦ ، ص ٣٣٦ .

أما عن تعريف الإنسان بالبيئة ليحافظ عليها فنجد أن ذلك يتمثل في العناية بالبيئة ابتداء من إظهار خصائصها للإنسان لتكون محل اهتمامه ، وليتعرف على حاجته إليها ، وعلاقته بها ، وضرورة حمايته لها ، من هذه الخصائص :

١ ـ خصيصة التسخير التي جعلت البيئة بما فيها من مخلوقات عظيمة طيعة للإنسان ، ومتلائمة مع تحقيق مصالحه في الحياة الدنيا ، قال تعالى : ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[١] .

٢ ـ خصيصة التوازن التي أقام الله الخلق عليها ، قال تعالى : ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[٢] فالماء الذي هو عنصر الحياة مثلا أنزله الله تعالى بقدر ، قال تعالى : ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾[٣] .

٣ ـ خصيصة الحكمة وراء خلق كل عناصر البيئة على تعددها وتنوعها ، والتي قد تكون ظاهرة مشهودة ، أو باطنة خفية على كثير من الناس ، قال تعالى : ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[٤] ، قال ابن عطيه : المعنى في هذه الآية التنبيه على آيات الله الموجودة في أنواع مخلوقاته ـ وقد أحال إلى ـ الآيات المنصوبة لمن فكر واعتبر كالدواب والطير التي قد حصرت

---

(١) سورة الجاثية ، الآيتان ١٢ ـ ١٣ .
(٢) سورة القمر ، الآية ٤٩ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية ١٨ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

جميع الحيوان ، وهي أمم أي جماعات مماثلة للناس في الخلق والرزق والحياة والموت والحشر[1]. فليعتبر الإنسان ، ومن تلك الأمم التي قد يجهل كثير من الناس حكمة خلقها ، أمة الكلاب ، وعليها يقاس جميع الحيوانات والحشرات والنباتات ، ولاسيما التي يتأذى الناس منها ، يقول صلى الله عليه وسلم مقررا حكمة خلق الكلاب : «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها ، فاقتلوا منها الأسود البهيم »[2].

ويبين أبو سليمان الخطابي هذه الحكمة فيقول : «كره إفناء أمة من الأمم وإعدام جيل من الخلق حتى يأتي عليه كله ، فلا يبقى منه باقية ، لأنه ما من خلق الله تعالى إلا وفيه نوع من الحكمة وضرب من المصلحة»[3].

ومن تلك المخلوقات الكائنات الدقيقة التي تساهم مساهمة فعالة في إنتاج الطعام والشراب والملبس ، فإن منها مايعمل على تثبيت النيتروجين في النباتات البقولية ، وفي تحليل بقايا الكائنات الميتة وزيادة خصوبة الأرض وتقوم الحشرات بعملية تلقيح النباتات[4].

٤ ـ خصيصة المتاع الذي يتناوله الإنسان من عناصر بيئته المختلفة ، فهي السلة الكبيرة التي يجد فيها طعامه وشرابه ولباسه وسكنه وكل ما يحتاج إليه في حياته ، قال تعالى : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء

---

(١) أبو محمد بن عطيه الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب ، جـ ٥ ، طبعه قطر ، ١٩٧٦ ، ص ١٩٢ .

(٢) رواه أبو داود ، رقم ٢٨٤٥ ، في الصيد .

(٣) أبو سليمان الخطابي ، معالم السنن ، جـ ٤ ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٣٢ .

(٤) عبد الحكيم بدران ، أضواء على البيئة ، مكتب التربية لدول الخليج ، الرياض ، ١٩٩٠ ، ص ٩٩ .

صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم﴾[1].

٥ ـ خصيصة الجمال التي هي مظهر من مظاهر الإبداع والإحكام في خلق الله تعالى ، والتي ينعم الإنسان بمنظرها الخلاب ، وتنشرح بها نفسه ، قال تعالى ملفتا الانتباه إليها : ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾[2] وقال تعالى ممتنا بخصيصة المنفعة والجمال : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾[3].

ولا ريب أن هذه الخصائص وغيرها تستحث متأملها على المحافظة على فطرة البيئة ، والاهتمام بما ينميها ، ويضاعف منافعها ، ويقيها الفساد أو الإتلاف ، وقد ارتبطت بها حياته ، وعرف قيمتها ومنافعها له ، ويتحقق ذلك أيضا بالعناية بما يمكن استصلاحه منها والانتفاع به مثل الزراعة والثروة الحيوانية التي حث الرسول ﷺ عليها بما يدعو المهتدي بدين الإسلام إلى أن يكون محافظا على عناصر البيئة عموما إلى آخر لحظة من الحياة التي تعقبها الساعة في قوله ﷺ «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا

(١) سورة عبس، الآيات ٢٤ ـ ٣٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٩.
(٣) سورة النحل، الآيات ٥ ـ ٨.

يقوم حتى يغرسها فليفعل»[1] ، ورهب الرسول ﷺمن إتلاف الحيوانات عبثا حتى ولو كان عصفوراً صغيرا في قوله ﷺ : «من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله عز وجل يوم القيامة منه ، يقول يارب إن فلانا قتلني عبثا ، ولم يقتلني لمنفعة»[2] .

أما عن احترام البيئة فنجد أنه من روائع ما دعا إليه القرآن وأكدته السنة تدريب المسلم إذا أحرم بالنسك على احترام حيوانات البيئة ونباتاتها ، فلا يحل له قتل صيد البر والحرم ، ولا قطع نبات الحرم[3] قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾[4] . وقال ﷺ يوم فتح مكة : «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . . . لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاها ، فقال العباس : يا رسول الله ، إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : إلا الإذخر»[5] فقد استثنى في هذا الحديث الإذخر لحاجة الناس إليه ، واستثنى في حديث آخر بعض الحيوانات لفسقها ، وخروجها على مصالح الناس بالضرر ، لحديث عائشة رضي الله عنها : «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل والحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»[6] ، وذلك

---

(١) سبق تخريجه في ص ٨١ .
(٢) رواه أحمد جـ ٤ ، ص ٣٨٩ .
(٣) يوسف القرضاوي ، الإسلام والمحافظة على البيئة ، مجلة القافلة ، العدد ٣ ، ١٩٩٢ ، ص ٤٣ .
(٤) سورة المائدة ، الآية ٩٥ .
(٥) رواه مسلم رقم ١٣٥٣ .
(٦) رواه مسلم رقم ١١٩٨ .

لينتشر الأمان في البلد الحرام الذي شمل الإنسان والطير والحيوان والحشرات ، فما أحوج البشرية إلى مثل هذه البيئة التي تعيش فيها الكائنات الحية بما فيها الإنسان آمنة على نفسها ومواردها وأرزاقها !

ويمكن الإشارة إلى أن احترام البيئة يقتضى ما يلى :

١ ـ حماية البيئة التي سخرها الله تعالى ، وجعل تنوعها آية على قدرته وحكمته وعلمه وأثر صفاته التي لا حد لها ، وقدر تعالى أن تكون عونا للإنسان في حياته فهي مصدر غذائه وشرابه وكسائه الذي يتبلغ به ، ولا ريب أن هذا يدعو إلى حماية البيئة والمحافظة على أمنها ، ووضع كل شيء في موضعه الذي أعد له ، واستثماره إلى الحد الأقصى الذي يمكن بلوغه من مضاعفة الكم وتحسين النوع ، وتنقاد معه غلته من غير إسراف أو فساد ، فالله قد جعل لكل شيء قدرا تنقاد معه البيئة ، لابد من التعرف عليه ، ومراعاته أثناء التعامل معها ، قال تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾[1] .

٢ ـ صيانة البيئة وتحسينها ، فإن ذلك ضرب من احترامها وتقديرها وشكر المنعم بها ، ويقابل ذلك أن إهمالها ضرب من التفريط في المحافظة عليها ، والجهل بقيمتها وبأثرها في حياة الإنسان وقوة المجتمع ، فقد

---

(١) سورة الزخرف ، الآيات ١٠ ـ ١٤ .

أرشد الله تعالى آل داود عليهم الصلاة والسلام الذي سخر لهم الجن والريح وعناصر البيئة إلى تعهد ذلك بالعمل الذي يصون هذا التسخير ويكفل استمرار منفعته ، وعده من قبيل تقدير النعمة واحترام البيئة[1] إذ قال سبحانه وتعالى : ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير ولسليمان الريح﴾ ثم ختم الإشارة إلى هذا التسخير بقوله : ﴿اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾[2] .

٦ . ٤ الجزاء على المحافظة وحماية البيئة والإضرار بها في الإسلام

لابد من مجازاة الإنسان على تعامله مع البيئة وما فيها من مقومات الحياة إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ليعمل على المحافظة عليها ويتجنب الطمع فيها بما يؤدي إلى إفسادها أو الإسراف في مواردها رجاءً في الثواب وخشية من العقوبة ، قال تعالى على لسان صالح عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب قومه مقررا عدم الأمن من العقوبة على هذا النعيم الذي يحيط بهم من زروع وعيون وجبال ومساكن وعدم استقرارهم فيه ، وأنه يجب عليهم الاكتفاء منه بقدر الكفاف الذي يسد حاجتهم في هذه الدنيا [3] ،

(١) البهي الخولي، الثروة في ظل الإسلام ، دار الفكر للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٣٢ـ ٣٥ .
(٢) سورة سبأ، الآيات ١٠ ـ ١٣ .
(١) فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، دار الفكر للطباعة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، جـ ١٢ ، ص ١٥٩ .

واجتناب إفساده : ﴿اتتركون في ما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾[1].

ويتقرر من هذه المجازاة أن المكلف مسؤول عن هذه النعم المتوافرة في بيئته ومحاسب عليها ، ليس له منه إلا ما يحتاج إليه دون إسراف وما زاد فليدعه لغيره ينتفع به ، قال صلى الله عليه وسلم لصاحب حائط من الأنصار : «أطعمنا بسرا ، فجاء بعذق فوضعه فأكل ، فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب ، فقال : لتسألن عن هذا يوم القيامة . قال : فأخذ عمر العذق ، فضرب به الأرض ، حتى تناثر البسر قبل رسول ﷺ، ثم قال : يا رسول الله ، أئنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة ، قال : نعم إلا من ثلاث : خرقة كف بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جحر يتدخل فيه من الحر أو القر»[2].

أنواع الجزاء للمحافظة وحماية البيئة في الإسلام

شرع الإسلام الجزاء الذي يحافظ ويحمي البيئة من الفساد ، ويصونها من التدمير والعبث ، وتمثل في الجزاء الأخروي والدنيوي :

٦ . ٤ . ١ الجزاء الأخروي

وهو ما أعده الله تعالى لعباده من الثواب للمطيعين ، ومن العقاب للعاصين . وقد تعلق هذا الجزاء على العناية بعناصر البيئة ترغيبا وترهيبا ، وثوابا وعقابا بما يكشف مدى اهتمام الإسلام الذي فاق العقوبة الدنيوية

(١) سورة الشعراء ، الآيات ١٤٦ ـ ١٥٢ .
(٢) رواه أحمد في مسنده ج ٥ ، ص ٨١ .

التي قد يفلت منها كثير من الناس ، ولكن جزاء الله تعالى في الآخرة لا ينجو منه أحد ، ويدل على تأكيد هذا الاهتمام بعناصر البيئة ومقوماتها ومصادرها ما يلى :

١ ـ الترغيب في غرس الأشجار وأنه صدقة جارية ما أكل منه إنسان أو طير أو بهيمة ، والوعد بالثواب الجزيل لمن عني بها ، قال ﷺ : «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدق»[١] .

٢ ـ الترغيب ى الرحمة بالحيوانات ، والشفقة عليها ، واحتساب الأجر في المحافظة عليها وحمايتها من الهلاك ، ففي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّرة (هي ضرب من الطير) معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمَّرة ، فجعلت تفرش ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»[٢] ، فهل هناك رفق أعظم من مراعاة أحاسيس هذه الحُمَّرة ؟ وفي حديث آخر ما يؤكد هذه الشفقة أن رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منه ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له . قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر»[٣]؟

---

(١) رواه مسلم رقم ١٥٥٢ في المساقاة .

(٢) رواه أبو داود رقم ٢٦٧٥ في الجهاد .

(٣) سبق تخريجه في ص ٨٢ .

٣ـ الترهيب من تعذيب الحيوانات وتجويعها وإرهاقها بما لا تطيق ، أو التسبب في فنائها ، ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال : «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[١] وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ «دخل حائطا لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبي ﷺ حن ، وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذفراه هما الموضع الذي يعرق من قفاه، فسكت ، فقال : من رب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار ، فقال : لي يا رسول الله ، فقال له : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه (أي تتعبه)»[٢] ، وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ رأى قرية نمل قد أحرقت فقال : «من أحرق هذه ؟ قلنا : نحن ، قال : إنه لا ينبغى أن يعذب بعذاب النار إلا رب النار»[٣] .

٤ ـ الترهيب من قطع الأشجار البرية النافعة عبثا أسوة بالأحياء الأخرى من الحيوانات ، والوعيد بالنار على ذلك تأكيدا على حماية النباتات والأشجار والمسطحات الخضراء من التعدي عليها من غير مصلحة أو دفع مفسدة ، قال ﷺ : «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار»[٤] ، قال أبو داود راوي الحديث مبينا معناه لما سئل عنه : «هذا الحديث مختصر ، يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم

---

(١) رواه البخارى جـ ٣ ، ص ٧٧ .
(٢) رواه البخارى جـ ٤ ، ص ١٠٠ .
(٣) رواه أبو داود رقم ٢٥٤٩ .
(٤) رواه أبو داود، رقم ٢٦٧٥ .

عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها ، صوب الله رأسه في النار»[1] والسدر المقصود هو ما نبت في البر ، قاله الأحمعى[2].

٦ . ٤ . ٢ الجـــزاء الدنيوي

هو ما يناله المكلف المطيع في الدنيا من ثواب والعاصى من عقاب ، يتوجه إلى رعاية المصالح المحسوسة التي تتعلق بها حاجة الناس ، وما تتطلبه الحياة من إعمار ودفع المفاسد والمضار .

١ ـ الثواب الدنيوي : هو نفع يتم في مقابل الإحياء ، منه تمليك الأرض ، قالﷺ: «من أحيا أرضا ميتة فهي له»[3] وحقيقة الإحياء إعمار الأرض ميتة لا يمكلها أحد بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء سواء كانت قريبة من العمران أم بعيدة[4] ، ويؤيد هذا المعنى قول الرسولﷺ: «من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها»[5] ، ولا يشمل الإحياء «ما تعلق بمصالح القرية كفنائها ومرعى ماشيتها ومحتطبها وطرقها ومسيل مائها»[6] ، مثلا فإنه ليس فيه معنى الإحياء ، بل فيه إضرار بالمسلمين وتضييق عليهم ويلحق بها المعادن الظاهرة التي ليس في التوصل إليها كلفة ، والمعادن الباطنة التي تتعلق بها مصالح المسلمين وتستطيع الدولة

---

(١) رواه أبو داود، رقم ٥٢٣٩ .
(٢) أبو سليمان الخطابي ، معالم السنن ، مرجع سبق ذكره ، جـ٨ ، ص ١٠٠ .
(٣) رواه مالك في الموطأ ، ص ٧٤٣ .
(٤) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، لرئاسة إدارات البحوث والإفتاء ، الرياض ، ١٩٩٠ ، جـ٥ ، ص١٨ .
(٥) رواه البخارى جـ٣ ، ص ٧٠ .
(٦) ابن قدامة المقدسى ، المغنى ، طبعة هجر ، جدة ، ١٩٧٥ ، جـ٨ ، ص ٤٩ .

الوصول إليها وتوريدها إلى خزينة مال المسلمين ، فإنه لا يجوز أن ينفرد بها أحد دون بقية المسلمين[1] .

٢ ـ العقوبة الدنيوية : هي أذى في الظاهر شرع لدفع المفاسد ، حقيقته مصلحة تدفع الفساد[2] وفي الإسلام يبقى الجزاء الأخروي مع العقوبة الدنيوية المحسوسة رادعا قوي التأثير في حماية الأحكام والحدود ، وحمل الناس على تنفيذها ، والتقيد بها لأنهم يتساوون في الإيمان بالعقوبة المحسوسة ، ويتفاوت إيمانهم بالجزاء الغيبى وإن كان أكثر زجرا للمؤمنين من تلك الأحكام التي تناولتها العقوبة الدنيوية نظرا لأهمية المعاقب عليه حكم أمن البيئة والمحافظة على مقوماتها وعناصرها .

فقد شرع الإسلام عقوبة صارمة هي عقوبة الإفساد في الأرض ، قال تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾[3] .

قال الشوكانى : «اختلف في هذا الفساد المذكور في هذه الآية ماذا هو؟ فقيل الشرك ، وقيل قطع الطريق . وظاهر النظم القرآني أنه ما يصدق عليه أنه فساد في الأرض فالشرك فساد في الأرض والبغي على عباد الله بغير حق فساد في الأرض ، وهدم البنيان وقطع الأشجار وتغوير الأنهار فساد في الأرض ، فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنها فساد في الأرض»[4] .

---

(١) المرجع السابق جـ٨ ، ص ١٥٤ ـ ١٥٦ .
(٢) محمد ابو زهرة ، العقوبة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٧ .
(٣) سورة المائدة، الآية ٣٨ .
(٤) محمد الشوكانى ، فتح القدير ، جـ ٢ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٣ .

وقد فصلت الآية العقوبة ، وقصرها كثير من الفقهاء على الاعتداء على الأنفس والأموال مع الإخافة إلا أن الآية تبقى على عمومها فيما يهدد مصالح المسلمين كما صرح به الشوكانى ، ولا ريب أن إهلاك الحرث والنسل والإسراف في الصيد والرعي إلى حد الجور وتغوير الأنهار وتلويث مجارى المياه والبحار لهو من أعظم الفساد ، وصدق الله العظيم إذ وصف ذلك بالفساد فقال : ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[1] .

ومن العقوبات التعزير الذي يمكن أن يوقعه ولي الأمر تأديبا ، حماية لمصالح المسلمين المتعقلة بموارد البيئة ومقوماتها بما يكف العابثين والمسرفين والمفسدين على وجه الاستصلاح والزجر[2] .

ومن العقوبات تذوق الفساد حسب قدره في البيئة ، والاكتواء بناره ، والتألم بما يصيب منه ، لارتباط أحوال الحياة وأوضاعها بأعمال الناس وكسبهم عند غياب المنهج القويم والعمل الصالح[3] ، والاستسلام للأهوال التي تؤدي إلى فقدان الانسجام مع البيئة ، والمحافظة على مواردها تقديما للمصالح وترجيحا للشهوات ، قال تعالى : ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[4] .

كل ذلك يحدث وفق سنة الله التي لا تعرف تبديلا ولا محاباة ، لعلها

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤ـ ٢٠٥ .
(٢) أبو الحسن الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مطبعة مصطفي البابى الحلبى ، جـ ٣ ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٣٦ .
(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٧٣ .
(٤) سورة الروم، الآية ٤١ .

توقظ النفوس من غفلتها ، فتتراجع إلى الهداية التي تحث على إصلاح ما فسد ، وإعمار ما هلك .

نستخلص مما عرضناه في هذا الفصل بخصوص منهجية الإسلام في المحافظة على البيئة ما يلى :

١ ـ أن البيئة في الإسلام ذات حرمة تقيها الجور والعبث والاستنزاف ، تستمدها من النصوص الشرعية التي حرمت الإفساد في الأرض ، والإسراف في التعامل مع الموارد الطبيعية .

٢ ـ أن أمن البيئة والمحافظة عليها يستمد قوته وتأثيره من قاعدة التحليل والتحريم التي تقتضى من المسلم الامتثال للأحكام الشرعية التي نهت عن الفساد في الأرض بوجه من الوجوه ودعت إلى احترام البيئة والمحافظة عليها والعناية بها .

٣ ـ إن الإسلام يدعو إلى استصلاح البيئة والمحافظة عليها ، مظهرا خصائصها لتكون محل اهتمام الإنسان وعنايته وليدرك ارتباطه بها وضرورة حمايته لها ، والمحافظة عليها .

٤ ـ أن الشريعة حثت على العناية بالزراعة والثروة الحيوانية خصوصا ودعت إلى احترام البيئة وصيانتها عموما والمحافظة عليها ، ورهبت من إهدارها أو إتلافها عبثا .

٥ ـ أن الإسلام شرع الجزاء الأخروي والدنيوي الذي يحمي البيئة ويحافظ عليها من الفساد ، ويصونها من التدمير والعبث ، وعلقه على الاعتناء بالبيئة ترغيبا وترهيبا .

إذ نجد أن الإسلام قد حرص كل الحرص على العناية بالنظافة وتوسع في ميدانها خاصة البيئية .

إن الإنسان هو أمل الإسلام وغايته ، ومن واجبه أن يراعي ما كرمه الله به ، وأن يصون أنعمه عليه ويحفظها من التدهور والضياع .

والصحة بمبادئها وقوانينها خليعة النعم ـ لا يمكن إغفالها أو إهمالها أو التفريط في شأنها .

والخير كل الخير ، والوقاية كل الوقاية بالنسبة لها إنما يكمنان في رعاية البيئة والحفاظ عليها بتنظيف المرافق ، وإماطة الأذى بجميع مظاهره وصوره عن كل ما يتصل بنا في الطرقات والمرافق والمصالح في الريف والحضر وحقا ما قيل «الوقاية خير من العلاج»

إذاً لابد من التعاون المشترك بين كل أبناء الأمة على مختلف المستويات وقيام كل فرد في المجتمع بدوره ونشاطه في وقاية البيئة من التلوث والأمراض والأوبئة وتطهيرها من الأقذار والأدناس والعمل على سلامتها وتحسين مظهرها ورفع مستواها الصحي .

الفصل السابع

التربية البيئية في ضوء الإسلام

٧ . ١ تعريف التربية البيئية .

٧ . ٢ الأسس الفلسفية للتربية البيئية .

٧ . ٣ أهمية التربية البيئية .

٧ . ٤ أهداف ومبادىء التربية البيئية .

٧ . ٥ المنتفعون بالتربية البيئية .

٧ . ٦ التربية البيئية في المؤسسات التعليمية .

٧ . ٧ بناء مناهج ومداخل التربية البيئية .

٧ . ٨ التربية البيئية في العالم الإسلامي .

الفصل السابع

التربية البيئية في ضوء الإسلام

التربية هي عملية بناء وتنمية للاتجاهات والمفاهيم والمهارات والقدرات والقيم عند الأفراد في اتجاه معين لتحقيق أهداف مرجوة ، والتربية بذلك تكون بمثابة استثمار للموارد البشرية يعطي مردودا ديناميكيا في حياة الأفراد وتنمية المجتمعات وفي هذا المفهوم للتربية ، فإن التربية البيئية هي عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بالبيئة التي يحيا فيها وتوضح حتمية المحافظة على موارد البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان وحفاظا على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشته .

وفي الحقيقة إنه لم تعد التربية البيئية موضوعا يحتاج إلى الدعم والبراهين لإثبات ضرورته في الوقت الحاضر ، إذ تبين بأن المسألة لا تقبل التفاوض أو التأجيل ، لهذا قامت أعداد كبيرة من البلدان إلى ابتكار برامج للتربية البيئية تركز على العلاقات المتبادلة بين السكان والبيئة والنمو ، وبعد أن اتضح أيضا بأن القوانين والتشريعات قد عجزت عن الحد من إهدار واستنزاف وتلوث البيئة بكل عناصرها ، والتي تزداد تدهورا يوما بعد آخر ، فلا يعد الإلمام بالتربية البيئية بابا من أبواب العلوم المعاصرة شديدة الأهمية ، وضرورة قصوى على صعيد الأفراد والمجتمعات فحسب بل مذهبا أخلاقيا وسلوكيا في الوقت نفسه[1] . ثم إن التوصية [٩٦] لمؤتمر الأمم المتحدة للبيئة

(١) غازي أبو شقرا ، المشكلات البيئية والتربية على الصعيدين الدولي والعربي ، مجلة التربية الجديدة ، اليونسكو ، العدد الثالث والعشرون ، السنة الثامنة ، ١٩٩١ . ، ص ٥ .

البشرية الذي عقد في استكهولم عام ١٩٧٢ ، نادت بالتربية البيئية كأحد العناصر الأساسية لمواجهة الأزمة البيئية ، وقد عرض Koenig عام ١٩٧٥ دراسات مسحية تظهر أن الناس غير واعين بالدور الذي يمكن أن يقوموا به في حل مشكلة البيئة وأن لديهم بعض الاهتمام بقضايا بيئية معينة ولكن وعيهم قليل بالمشكلات في مداها الواسع[١] .

١ . ٧ تعريف التربية البيئية

وقبل أن نمضي بعيدا فيحسن أن نوضح ما هي التربية البيئية؟ يعرف وليام ب . ستاب أستاذ التربية البيئية ورئيس برنامج البيئة الذي يشرف عليه اليونسكو ، بأن التربية البيئية هي عملية إنمائية بكليتها وبالمشكلات المتعلقة بالبيئة ، أو بمعنى آخر تهدف التربية البيئية إلى حث المجموعة السكانية التي تسندها الحوافز وتملك المعرفة والإدراك والمهارات الضرورية للعمل فرديا أو جماعيا من أجل إيجاد حلول للمشكلات البيئية الحالية المطروحة وللحد من حدوث مشكلات جديدة[٢] .

كما جاء تعريف غازي أبو شقرا ، بأن التربية البيئية هي عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي الفيزيائي ، والتدليل

---

(١) بارك ، ص ، نحو فلسفة للتربية البيئية ، ترجمة محمد سعيد صواريني ، مجلة رسالة العلم ، وزارة التربية والتعليم ، الاردن ، العدد الثاني ، المجلد ٢٩ ، ١٩٨٨ ، ص ٤٠ .

(٢) محمد عبد الفتاح القصاص ، الإنسان والبيئة ، اليونسكو ، العددان الثالث والرابع ، القاهرة ، الشعب القومية اليونسكو ، ١٩٨٠ ، ص ١٢ .

على حتمية المحافظة على المصادر البيئية الطبيعية وضرورة استغلالها الرشيد لصالح الإنسان وحفاظا على حياته الكريمة ورفع مستوى معيشته[1].

كما عرف أحمد إبراهيم شلبي التربية البيئية : «بأنها عبارة عن برنامج تعليمي يهدف إلى توضيح علاقة الإنسان وتفاعله مع بيئته الطبيعية وما بها من موارد لتحقيق اكتساب التلاميذ خبرات تعليمية تتضمن الحقائق والمفاهيم والاتجاهات البيئية حول البيئة ومواردها الطبيعية» أي أن التعريف يهتم بضرورة الإدراك والفهم لطبيعة المشكلات البيئية المحيطة بالإنسان ويشير إلى تكوين اتجاهات وقيم للمحافظة على البيئة وصيانتها من أجل تحسين نوعية الحياة[2].

٢ . ٧ الأسس الفلسفية للتربية البيئية

التربية البيئية فعالية إنسانية قديمة العهد امتدت جذورها حتى ثقافات الإنسان القديم فمعظم الأديان السماوية ألقت المسؤولية على عاتق الإنسان وحثته على الاستثمار الأمثل للطبيعة والعناية بها واتخاذ السبل الكفيلة بحمايتها، لكن الأهمية التي أثارها وعي البشرية بالمشكلات البيئية الكبرى التي بدأت تؤثر بعمق في نوعية الحياة البشرية وتهدد مستقبل الأجيال القادمة بمشكلات جديرة بالاهتمام مثل التفجر السكاني والتلوث البيئي والتدهور الملحوظ في الأنظمة البيئية السائدة.

---

(١) غازي أبو شقرا، المشكلات البيئية والتربية على الصعيدين الدولي والعربي ، مجلة التربية ، اليونسكو ، العدد الثالث والعشرين ، السنة الثامنة ، ١٩٨١ ، ص ٢٣ .

(٢) أحمد إبراهيم شلبي، البيئة والمناهج الدراسية، مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٤ ، ص ٢٩ .

كل ما ذكرناه وغيره جعل مهمة إيجاد الأسس الفلسفية للتربية البيئية أمراً ملحاً نذكر منها :

١ ـ المشكلات البيئية معقدة فتناولها يتطلب مختلف مجالات المعرفة حتى تتداخل في تكاملية معرفية بالعلة والتفصيل .

٢ ـ المشكلات البيئية تتطلب دراسة ومتابعة للمساق العالمي بهدف تحرير الدفاع العالمي لأن يدرك البيئة الكلية التي يحياها الإنسان والحيوان والنبات .

٣ ـ عقلنة التربية البيئية وذلك بالنظرة الموضوعية للبيئة الخارجية بحيث تمتد وتتطاول حتى تشمل العالم الذي يعيش فيه ، والبيئة الداخلية تمثل شخص الإنسان بكل ما فيه من ميكانزمات النماء حيث يبدأ صغيراً في الأسرة حتى ليتسع حتى يشمل الكوكب .

٤ ـ مسئولية الإنسان المعاصر عن الخلل والاضطراب الذي يسببه للبيئة ويتفرد به عن بقية الكائنات الحية ، فلابد من فلسفة جادة تطالبه بإصلاح ما أفسد وتحذره من التمادي في الإتلاف والتخريب .

٥ ـ إيجاد المنطلقات الأساسية للرفاه الإنسانى من خلال القيم البيئية التي يجب أن تتبلور حول احترام الإنسان للإنسان أينما كان وكيفما اعتمد امتداده إضافة لحماية الموارد البشرية وترشيدها وصيانتها .

٦ ـ إيجاد دوافع قوية للاهتمام بالعمل الإنساني المسخر لخدمة البشرية جمعاء ، بحيث تتناول فعاليات تحسين وتطوير البيئة وترشيد التحكم بمواردها .

٧ ـ إيجاد القيم والمواقف التي يعتمدها السلوك الإنسانى محرضات تجاه البيئة .

٨ ـ إيجاد المعارف والمهارات التي يعتمدها السلوك الإنسانى الملتزم تجاه البيئة .

٩ ـ إيجاد قيم أخلاقية بيئية تعتمد الانسجام بين الإنسان والبيئة .

١٠ ـ إيجاد فلسفة التربية البيئية المستمرة مدى الحياة . . بحيث تبدأ من الطفولة المبكرة وتستمر خلال برامج واستراتيجيات التعليم النظامي وغير النظامي .

٧ . ٣ أهمية التربية البيئية

كل الدراسات التربوية التي تتناول استراتيجيات البيئة والتربية البيئية على ندرتها ذات أهمية تتبلور أهميتها من خلال ما يلي :

١ ـ المجتمع الصناعى والآثار البيئية الناجمة عنه التي تتجلى بالفوضوية في إنتاج المواد المصنعة غير القابلة للتحلل ، وغيرها . . من مفرزات الإنتاج الصناعي ، ذلك الإنتاج الظالم الذي يعتمد الزيادة في استغلال الموارد غير المتجددة والمتحولة ، وفق كيفيات هلامية لا تعرف الحدود ولا تلتزم بمعايير مما جعل ميكانيزمات الدماغ البشرى ترسم حدود اهتزازات تواترات رعب الأخطار الناجمة عنها .

٢ ـ الحالة الشعورية الجماعية لإنسان هذا الكوكب والتي تتبلور حول موضوع مشعور به ألا وهو قيامة بوظيفة الدماغ للجسم العالي فلابد من إيجاد الفعاليات التربوية التي تدفعه لاعتماد استراتيجية محدودة تتناول ميكانزمات إدارة دماغه لصالح جميع الكائنات التي تشاركه العيش على سطح هذا الكوكب .

٣ ـ المؤشرات البيئية وخصائص انتقالها بين البيئات المتقاربة والمتباعدة وآلية تأثيرها في مكوناتها الحية وغير الحية .

٤ ـ التقدم التكنولوجي وحاجاته المتزايدة جنونياً للموارد البيئية من جهة وآثاره السلبية على صحة البيئة من جهة أخرى .

٥ ـ تنامي الخبرة الإنسانية واتساع مجالاتها في معرفة الآثار الكيميائية الحيوية للنفايات والمفرزات الصناعية والتكنولوجية بشكل عام .

٦ ـ استثمار الطاقات البشرية للطبيعة وما ينتج عنه من أزمات بيئية غدت مرعبة كالتلوث والخلل المفرط في التوازن البيئي وفي التوازع الديمغرافي للسكان .

٧ ـ عجز الدراسات التربوية عن القيام بمهام التوعية أو تكوين السلوك الإيجابى للدماغ الإنسانى تجاه البيئة ومشكلاتها . . ولا يكون ذلك التكوين إلا من خلال استراتيجيات تربوية تعتمد منهجاً متكاملاً يتناول فعاليات التربية البيئية .

٨ ـ تدارك الوضع البيئي واتخاذ التدابير اللازمة لتنمية العلاقات الإيجابية بين الإنسان وأقرانه وبينه وبين عناصر البيئة المحيطة .

٩ ـ في عالمنا المعاصر ظواهر تستدعي التفكير الجاد بتربية بيئية شاملة تتناول الاستراتيجيات والبرامج التي يتعزز مردودها في التعليم النظامي وغير النظامي .

١٠ ـ الحاجة الملحة لاستراتيجيات التربية البيئية تتبناها المؤسسات التعليمية وتسير في هداها .

١١ ـ إيجاد الأساليب التمريضية للإدارات التربوية المسؤولة عن التخطيط للتعليم البيئي بحيث تدفعها لتمثل دورها بحرارة وصدق .

٧ . ٤ أهداف ومبادئ التربية البيئية

بداية انطلاق التربية للاهتمام بالبيئة وحمايتها كانت من خلال الاعتراف العالمي الممثل بمؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية المنعقد في استوكهلم عام ١٩٧٢ الذي توج باعتراف عالمي بدور التربية البيئية وأهميتها في المحافظة على البيئة .

فقد أصدر ذلك المؤتمر التوصية رقم [٩٦] التي دعت اليونسكو خاصة ووكالات الأمم المتحدة الأخرى عامة لاتخاذ التدابير اللازمة لوضع برنامج جامع لعدة فروع علمية للتربية البيئية ، تتناول العملية التربوية بكامل أبعادها . . داخل المدرسة وخارجها من حيث الاهتمام بالبيئة وميكانزمات حمايتها ، على أن يوجه الى جميع قطاعات السكان عبر قنوات التعليم النظامي وغير النظامي . ومن خلال التمحيص في هذه التوصية[١] .

يمكننا التوصل إلى أربعة أهداف يمكن اعتبارها أهدافاً عامة للتربية البيئية وهي :

١ ـ تطوير نشاطات البحوث المؤدية إلى فهم أفضل لأهداف التربية البيئية والتعامل مع مادتها وتوظيف أساليبها ضمن مساق جاد لفلسفة التربية البيئية المستمرة مدى الحياة .

٢ ـ تبادل الأفكار والمعلومات والخبرات المتصلة بالتربية البيئية بين دول العالم .

---

(١) برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، المكتب الإقليمي في غرب آسيا ، البيئة والسلام ، يوم البيئة العالمي ، ١٩٩٦ .

٣ ـ تدريب وإعادة تدريب التربويين بما يخدم التربية البيئية مثل المنظرين والمخططين والباحثين والإداريين التربويين .

٤ ـ تشجيع تدريب وإعادة تدريب القادة والمسئولين عن التربية البيئية .

٧ . ٤ . ١ مبادئ التربية البيئية[١]

حدد مؤتمر تبليسى المنعقد في عاصمة جورجيا السوفيتية عام ١٩٧٧ من خلال إعلانه المبادئ الأساسية للتربية البيئية بما يلي :

١ ـ تدريس البيئة من كافة وجوهها . . الطبيعية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتاريخية والأخلاقية والجمالية .

٢ ـ تكون التربية البيئية عملية مستمرة مدى الحياة ، تبدأ قبل السن المدرسى ثم تستمر خلال مرحلتى التعليم النظامي والتعليم غير النظامي ،

٣ ـ لا تقتصر التربية البيئية على فرع واحد من فروع العلوم بل تستفيد من المضمون الخاص بكل علم من العلوم في تكوين نظرة شاملة متوازنة .

٤ ـ تؤكد التربية البيئية على أهمية التعاون المحلي والقومي والدولي في تجنب المشكلات البيئية وحلها .

٥ ـ تعلم التربية البيئية الدارسين في كل سن التجاوب مع البيئة والعلم بها ، وحل مشكلاتها مع العناية ببيئة المتعلم في السنوات الأولى .

٦ ـ تمكن التربية البيئية المتعلمين ليكون لهم دور في تخطيط خبراتهم التعليمية وإتاحة الفرصة لهم لاتخاذ القرارات وقبول نتائجها .

٧ ـ تساعد على اكتشاف المشكلات البيئية وأسبابها الحقيقية .

٨ ـ تؤكد على التفكير الدقيق والمهارة في حل المشكلات البيئية المعقدة .

---

(١) التربية البيئية في ضوء مؤتمر تبليسي ، ١٩٨٠ .

٩ ـ تستخدم التربية البيئية بيئات تعليمية مختلفة وعددا كبيراً من الطرق التعليمية لمعرفة البيئة وتعليمها مع العناية بالأنشطة العملية المباشرة.

٧ . ٤ . ٢ أهداف التربية البيئية

للتربية البيئية أهداف كثيرة نجملها فيما يلي:

١ ـ زيادة الوعي بأهمية الموارد البيئية المتعددة كثروة قومية تتنامى من خلال التخطيط العلمي الأيكولوجي والتكنولوجي لحمايتها واستثمارها في إطار الخطط التنموية الشاملة.

٢ ـ تكوين المعارف التي تمكن الأفراد من إدراك تعاقب النظم البيئية والتأثيرات المتبادلة فيما بينها في إطار رؤية واضحة للمحيط الحيوي.

٣ ـ زيادة الوعي بالعوامل البيئية وارتباطها بصحة الإنسان وسلامته.

٤ ـ إيجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية المتفاعلة في البيئة.

٥ ـ تعريف الفرد بالطبيعة وتوزيع الثروات واحتمالات نضوبها وكيفية المحافظة عليها وفعاليات ترشيدها وتحسين اتخاذ القرارات حول قضايا المجتمع المستقبلية.

٦ ـ فهم الأنظمة الاجتماعية والتكنولوجية والطبيعية وعلاقة الإنسان بالقضايا والتلوث.

ولقد نسج بعض المختصين أهدافاً تسير على المنوال نفسه بأن التربية البيئية تتحدد أهدافها كما يلى[1]:

---

(١) أحمد إبراهيم شبلي، البيئة والمناهج الدراسية، مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٤، ص ١٢ ـ ١٣.

١ ـ وعي : مساعدة الفئات الاجتماعية والأفراد على اكتساب وعي بالبيئة ومشكلاتها ذات الصلة، وإيجاد حساسية خاصة تجاهها .

٢ ـ معارف : مساعدة الفئات الاجتماعية والأفراد على اكتساب خبرات منوعة تتصل بالبيئة ومشكلاتها وتحقيق فهم أساسي لها .

٣ ـ اتجاهات : مساعدة الفئات الاجتماعية والأفراد على تطوير قيم وشعور بالاهتمام بالبيئة وحفزهم على الإسهام الفعال في تحصينها وحمايتها .

٤ ـ مهارات : مساعدة الفئات الاجتماعية والأفراد على اكتساب المهارات للتعرف على المشكلات البيئية وحلها .

٥ ـ إسهام : تزويد الفئات الاجتماعية والأفراد بالخبرات البيئية لغرض الإسهام الفعال وعلى مختلف المستويات في العمل على حل المشكلات البيئية .

٧ . ٤ . ٣خصائص التربية البيئية

إن السعي إلى تحقيق الأهداف التي عرضناها يضفي على عملية التعلم خصائص معينة ويتطلب توافر شروط معينة فيها ، سواء فيما يتعلق بتصميم مضمون التربية وتنظيمه ، أو بأساليب التعليم والتعلم وطريقة تنظيم هذه لعملية .

وقد تكون أهم سمة لهذه التربية هي كونها تتجه إلى حل مشكلات محددة للبيئة الإنسانية ، فهدفها معاونة الناس أيا كانت الفئة التي ينتمون إليها وأيا كان مستواهم على إدراك المشكلات التي تقف حائلاً دون ما فيه خيرهم كأفراد وجماعات وتحليل أسبابها وتقييم الطرق والوسائل الكفيلة بحلها . وهي تهدف إلى إشراك الفرد في وضع تحديد اجتماعي للاستراتيجيات والأنشطة الرامية إلى حل المشكلات التي تؤثر على نوعية البيئة .

وإذا كانت توجد اليوم مشكلات بيئية كثيرة، فمرد ذلك ـ في جانب منه ـ إلى أن قلة ضئيلة من الناس كانوا قد أعدوا لتبني مشكلات تتسم

بالتحديد والتعقيد فضلاً عن إيجاد حلول فعالة لها، وقد أساء التعليم التقليدى بإفراطه في التجريد وعدم التناسق ، إعداد الأفراد لمواجهة ما يطرأ على واقعهم من تعقيدات متغيرة ، في حين أن التربية التي تتخذ من مشكلات بيئية محددة محورا لها تتطلب ، على العكس تضافر المعارف بشتى جوانبها لتفسير الظواهر الواقعة المعقدة .

ومن ذلك تبرز سمة أخرى من سماتها الأساسية وهي كونها تأخذ بمنهج جامع لعدة فروع علمية في تناول مشكلات البيئة . والواقع أنه يحسن لفهم هذه المشكلات على نحو سليم أن تكون على بينة من وجوه الترابط القائمة بين الظواهر والأوضاع السائدة والتي كان اتباع نهج يعتمد على فرع واحد من فروع العلوم سينحو إلى تجزئتها .

فالنهج الجامع لعدة فروع علمية يتجاهل الحدود الفاصلة بين العلوم التخصصية ويعنى بإعطاء نظرة أكثر شمولاً وأبعد عن التبسيط للمشكلات المماثلة، إذ أنه لا يتمثل في البدء بوضع العلوم المختلفة جنباً إلى جنب ولكن في فهم العملية فهما شاملا قبل التطرق إلى تحليل إحدى المشكلات الخاصة وحلها . . على أن التوصل إلى تربية جامعة لعدة فروع علمية بصورة حقه يشكل مطلبا صعبا ينبغي أن نسعى إلى تحقيقه تدريجيا . . ويفترض لذلك أن تقوم اتصالات ميسرة بين المعلمين بفضل ما يتلقاه المختصون من تدريب جديد ووضع نظام ملائم للتعلم يأخذ في اعتباره الروابط الفكرية والمنهجية بين فروع العلم على اختلافها[1] .

---

(١) رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني ، البيئة ومشكلاتها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت العدد ٢٢ ، ذو الحجة ١٣٩٩هـ ـ أكتوبر ١٩٧٩م ، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

وتدعو الحاجة إلى وضع تعليم يستجيب للاحتياجات الاجتماعية استجابة فعالة للتنويه بإحدى الخصائص الرئيسية الأخرى للتربية البيئية وهي انفتاحها على المجتمع المحلي المعين.

فليس يفترض في التربية التي تهدف إلى حل مشكلات بيئية محددة أن تعمل على تنمية المعارف والمهارات وحسب، بل وأن تعمل أيضاً وبوجه أخص على تطوير عرف محلي يمارس في بيئات محددة. ومن التحقق أن الأفراد والجماعات لا يولون اهتمامهم لنوعية البيئة ولا يتحركون لحمايتها أو تحسينها بعزم وإصرار إلا في غمرة الحياة اليومية لمجتمعهم المحلي وحين يواجهون ما يعترض سبيلهم من مشكلاتها. . ولهذا النهج الجماعي أهمية لأنه من الجلي أن كثيرا مما يسمى بالمشكلات الوطنية لا يعدو كونه حصيلة مشكلات فردية وإن كانت مشتركة بين عدة مجتمعات محلية في وقت واحد . . وإذا أمكن حل مشكلات معينة تخص أحد المجتمعات المحلية فإننا نكون قد قطعنا بذلك في الوقت نفسه شوطا صوب تحسين البيئة لصالح مجتمع أوسع نطاقا مثل القطر أو المنطقة.

ويتطلب تحسين نوعية البيئة، من ناحية أخرى توفر الإدارة السياسية اللازمة ونهوض شتى قطاعات المجتمع ببذل جهود تدعمها بكفايتها وبما تملكه من وسائل متعددة. ذلك أن التضافر الحقيقي بين قدرات المعرفة وغيرها من العناصر مثل القيم والنظرة الجمالية والمهارات العملية، في إطار الجهود المنسقة ومشاركة الأفراد داخل مختلف الجماعات والمرافق التي يتكون منها المجتمع المحلي، سيؤدي إلى فهم البيئة وترشيد إدارتها وتحسينها.

وهناك في النهاية جانب أخير من الجوانب الأساسية للتربية البيئية وهو ما تتميز به من طابع الاستمرار والتطلع إلى المستقبل. فحتى وقت قريب من تاريخ الإنسانية كان التغير في الإطار الاجتماعي والثقافي والطبيعي للحياة يحدث ببطىء ، وكان من الميسور في ظروف كهذه أن يتعلم أبناء الأجيال الجديدة قيم آبائهم ومعارفهم وأن ينقلوها إلى أبنائهم وهم على يقين من أن هذا التراث الثقافي سيكون كافياً لضمان تلاؤمهم مع المجتمع . . ومنذ الثورة الصناعية وخلال النصف الثاني من القرن الحالي بوجه أخص ، تعرض هذا الإطار لهزة عنيفة فقد أدى التقدم الباهر الذي أحرزته المعارف العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية إلى مضاعفة سيطرة الإنسان على بيئته وتزايدات سرعة التغيرات التي تعرضت لها. وفي يومنا هذا تتغير البيئة الطبيعية والمبنية في مختلف جوانبها بسرعة بالغة ، مما يسفر عن ظهور نظم اقتصادية واجتماعية وثقافية جديدة ومن تولد مشكلات جديدة دون انقطاع. وأصبحت المعارف والتقنيات تتغير ـ للمرة الأولى في تاريخ الإنسان ـ خلال فترة تقل عن عمر الفرد.

إذن لامناص لتربية تهدف إلى حل مشكلات البيئة من أن تتسم في هذا السياق بطابع الاستمرار. ولكي تتخلف المعارف التي يكتسبها الناس ضماناً لاستمرار فعالية الأنشطة الجارية يتعين على التربية البيئية أن تحرص دائماً على إعادة صياغة توجيهاتها ومضمونها وأساليبها ، وأن تعني في ذات الوقت بأن تكون المعارف المتاحة لمختلف الفئات مستوفاة بصورة دائمة مع تطويعها للأوضاع الجديدة باستمرار . . وهي تتدرج بهذه الصفة في إطار التربية المستديمة.

٧ . ٥ المنتفعون بالتربية البيئية

تمارس فكرة التربية الشاملة المستديمة والمتاحة للجميع تأثيراً واضحاً على مفهوم التربية البيئية وتنظيمها . إذ أن هذه التربية تهم الجميع بحكم طبيعتها ووظيفتها ، وينبغي أن تصبح متاحة لجميع أفراد المجتمع المحلي بوسائل تتلاءم مع الاحتياجات والمصالح والبواعث الخاصة بكل فئة من فئات العمر ومن الفئات الاجتماعية المهنية على اختلافها . . ومادام من الضروري أن تكون هذه التربية مستمرة ومتاحة للجميع ، فمن المناسب إدخالها في جميع مراحل التعليم المدرسي وغير المدرسي أو النظامي وغير النظامي . . ويأتي تعليم الجمهور في مقدمة المهام التي تناط بالتربية البيئية فإلى جانب دورها في نقل المعارف العامة إلى جميع المواطنين ، ينبغي لها أن تعمل على توعيتهم بما يصادفهم في حياتهم اليومية من مشكلات بيئية وأن تحثهم على إنتهاج سلوك قويم والعمل بصورة جادة على حل هذه المشكلات ومن اللازم أن تصبح التربية البيئية متاحة للناس على اختلاف أعمارهم ، وأن تدخل في التعليم المدرسي بجميع مراحله ـ رياض الأطفال والابتدائى والمتوسط «الإعدادي» والثانوى والجامعي ـ وفي شتى أنشطة التعليم غير المدرسي لصالح الناشئة والبالغين أيا كانت فئة الناس التي ينتمون إليها ويتعين أن تدمج في عملية التعليم العام بكل بلد وأن تنمى في كل مؤسسات التعليم ومناهجه .

وتتصل المهمة الثانية بتعليم فئات معينة لها بحكم عملها ونفوذها تأثيرً كبير على البيئة . والمعنيون هنا بصورة مباشرة هم المهندسون والمعماريون وخبراء تخطيط المدن ورجال القضاء والقانون ومتعهدو البناء ورجال الصناعة والنقابيون والأطباء وغيرهم . . ولا مندوحة لتوعية

هؤلاء بنتائج قراراتهم وأعمالهم بالنسبة للبيئة، من أن توضح مناهج التعليم بحسب المهن والفئات الاجتماعية المعينة. ويمكن إدخال هذا النوع من التربية في التعليم النظامي أو في المؤسسات المختصة بتدريب مختلف الفئات التي تمارس مسئوليات اجتماعية معينة سواء أكان ذلك أثناء تدريبهم المبدئي أو بمناسبة عودتهم لاستكمال دراستهم، وتتصل المهمة الثالثة بتدريب بعض المهنيين والعلميين ممن يعكفون على دراسة مشكلات بيئية محددة، ويتعلق الأمر من هذه الناحية بمجموعة ضخمة تتألف من أشخاص يملكون مهارات تقنية بالغة التنوع، بعضهم أصحاب تخصصات عليا وتقنيات مراقبة تلوث الهواء والمياه وهندسة وبعضهم الآخر يتلقى تدريباً جامعياً بين فروع العلم لإعدادهم لمعالجة مشكلات متشابكة. ويجب أن يدخل في الحساب أيضاً الأخصائيون في مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية الأساسية، فكل هؤلاء المهنيين والعلميين مطالبون بحكم بحوثهم وأعمالهم التخصصية بوضع معارف وثيقة يرتكز عليها التعليم والتدريب في مجال البيئة.

٧ . ٦ التربية البيئية في المؤسسات التعليمية

في الواقع أنه يمكن تحقيق التربية البيئية للطلاب في خلال المؤسسات التعليمية ويمكننا أن نوجز الأهداف الخاصة بالتربية البيئية في المؤسسات التعليمية وهي:

١ ـ أن يفهم الطلاب موقع الإنسان في إطاره البيئي وأن يلموا بعناصر العلاقات المتبادلة التي تؤثر في ارتباط الإنسان بالبيئة.

٢ ـ إيضاح دور العلم والتكنولوجيا في تطوير علاقة الإنسان بالبيئة ومعاونة الطلاب على إدراك ما يترتب على اختلال توازن تلك العلاقة من نتائج قد تؤثر في حياة الإنسان.

٣ ـ أن يتعامل الطلاب مع فكرة التعامل بين العوامل الاجتماعية والثقافية والقوى الطبيعية بغية الوصول بهم إلى تصور متكامل للإنسان في إطار بيئته .

٤ ـ تكوين الوعي البيئي لدى الطالب وتزويده بالمهارات والخبرات والمواقف الضرورية التي تجعله إيجابياً في تعامله وتصرفاته مع البيئة .

٥ ـ تأكيد أهمية التعاون بين الأفراد والجماعات والهيئات للنهوض بمستويات حماية البيئة والأهم من هذا وذاك تمكين الطالب من إدراك أنه كائن مؤثر في الكيان البيئي ومتأثر به وأنه جزء لا يتجزأ من هذا الكيان[1] .

---

(١) علي خطيب ، التربية البيئية ، مجلة التربية ، قطر ، العدد ١٠٥ السنة ٢٢ ، يونيو ١٩٩٣ ، ص ١٢٦ ـ ١٢٨ .

ويمكن رسم مخطط يوضح فيه أهداف التربية البيئية

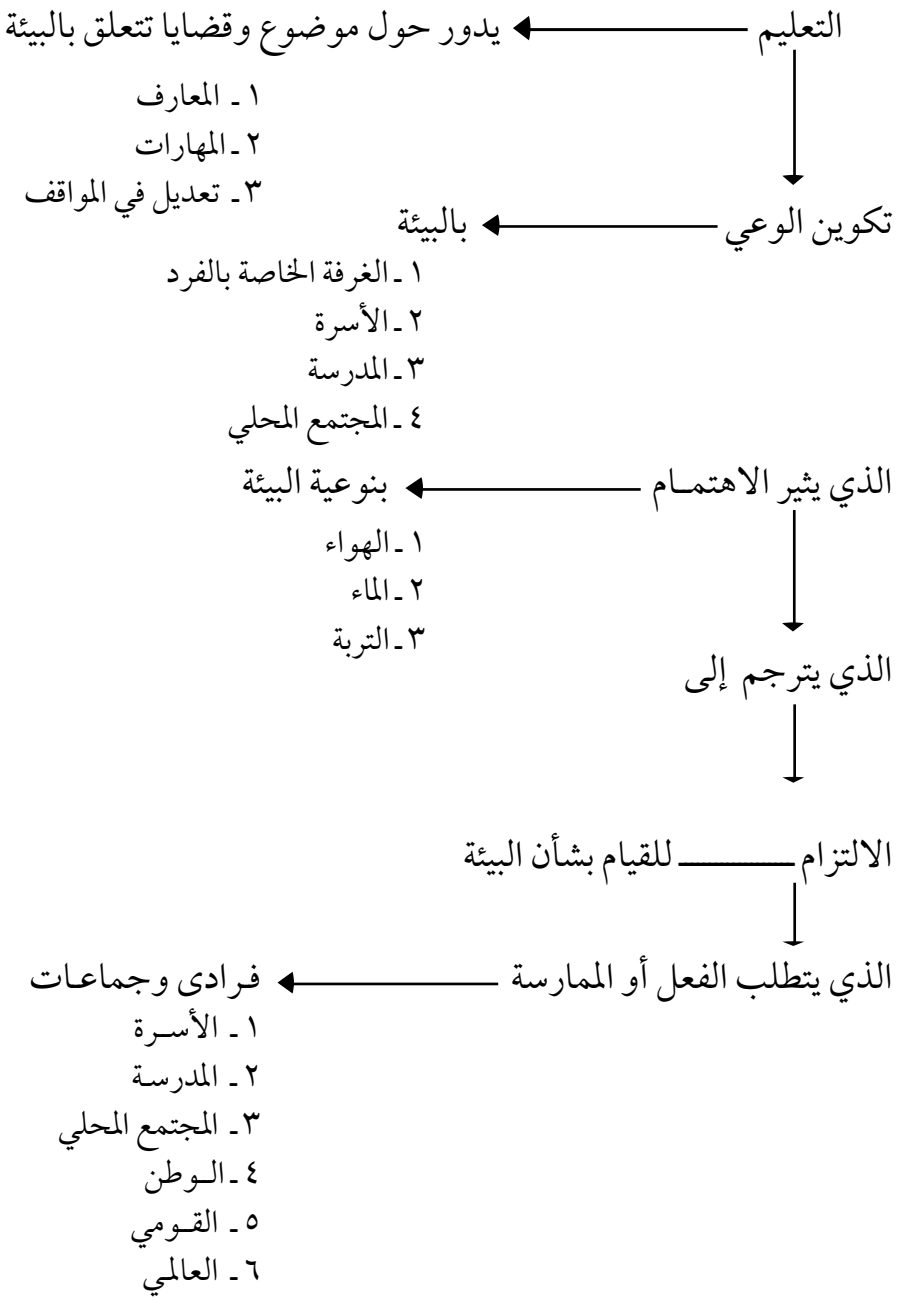

مستويات أهداف التربية البيئية في المؤسسات التعليمية

يمكننا إيجاز هذه المستويات فيما يلي :

٧ . ٦ . ١ المستوى الأول «المعارف»

يتضمن الأسس الأيكولوجية : وهي اكتساب الطالب المعارف الكافية في الأيكولوجية «علم البيئة الطبيعية» بحيث تمكنه من الجرأة في اتخاذ القرارات البيئية الواعية حول الإنسان والبيئة معاً .

٧ . ٦ . ٢ المستوى الثاني «الوعي»

يتضمن الوعي بقضايا الإنسان وقيمه من خلال :

أ ـ اكتساب الطالب طرق تأثير سلوك الأفراد في البيئة .

ب ـ اكتساب الطالب الفهم الشمولى للقضايا البيئية وإنعكاساتها الأيكولوجية والثقافية .

جـ ـ الفهم الميدانى للحلول البديلة المتنوعة لقضايا بيئية معينة وفهم أثر تباين القيم الإنسانية فيها .

٧ . ٦ . ٣ المستوى الثالث «استكشاف»

يتضمن استكشاف القضايا والحلول وفعاليات تقويمها من خلال المهارات الضرورية للاستكشاف الفعلي للقضايا البيئية والحلول البديلة لها مثل :

أ ـ اكتساب المهارات التي تمكن الطالب من تحديد القضايا البيئية واكتشافها .

ب ـ اكتساب مهارات التحليل للقضايا البيئية والمنظور القيمي المرتبط بها .

جـ ـ اكتساب مهارات التحديد الفعلي للحلول البديلة للقضايا البيئية وتقويم تلك الحلول .

د ـ اكتساب مهارات تحديد وتقويم مواقف الطالب القيمية الخاصة بالقضايا البيئية وحلولها المقترحة .

هـ ـ إتاحة الفرصة للطلاب للمشاركة الفعلية في عملية التقويم لاختبار القيم التي يتم اكتسابها والتي تدور حول نوعية الحياة ونوعية البيئة .

٧ . ٦ . ٤ المستوى الرابع «المواطنة»

وتتضمن تنمية القيم الضرورية للطالب للانهماك في الممارسات البيئية أي :

أ ـ اكتساب مهارات المواطنة التي تمكنه من الممارسة الفعلية المناسبة لحل مشكلات بيئية أو للمساعدة على حلها .

ب ـ التطبيق الفعلي لمهارات المواطنة من خلال اتخاذ قرارات مناسبة بشأن استراتيجيات الممارسة البيئية .

جـ ـ إتاحة الفرصة للطالب للقيام بفعاليات المواطنة في قضية بيئية أو أكثر .

٧ . ٧ بناء مناهج ومداخل التربية البيئية

إن بناء المناهج يستدعي ـ عادة ـ وكخطوة أولى تحديد الأهداف حتى تكون مرجعاً يستعان به عند تحديد الخبرات والمعلومات والمهارات التي ينبغي أن يتضمنها المنهج ، وكذلك في تحديد الوسائل والمعينات اللازمة في تنفيذه ، فضلاً عن اقتراح أساليب ووسائل التقويم اللازمة للتأكد من نجاحه ، وتحقيقه للأهداف المرسومة له . وفي التربية البيئية فقد أمكن التوصل إلى تحديد الأهداف العامة لها وفي ضوء ذلك قامت عدة مؤسسات بوضع منهاج علمي ذي تخصصات متداخلة حول موضوع الإنسان والبيئة ويتناول مسائل حماية الطبيعة في ستة مجالات أساسية وهي[1] :

(١) مهدي صالح السمراني ، ماذا تعانى البيئة ؟ ولماذا التربية البيئية؟ المجلة العربية للتربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، المجلد ١٢ ، العدد ٢ ، ديسمبر ١٩٩٢ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

١ ـ استثمار منطقي للأجواء وحمايتها .
٢ ـ حماية الموارد المائية .
٣ ـ حماية الثروات الأرضية والباطنية .
٤ ـ استثمار منطقى للثروات الحرجية وإعادة تحريج الأرض .
٥ ـ التقنية البيئية وإعادة استخدام النفايات الصناعية .
٦ ـ المظاهر الاقتصادية والمجتمعية لحماية البيئة .

وفي هذا المقترح لموضوعات المنهج توسعات في مرامي التربية البيئية بحيث لا تجعلها مقتصرة على تفاعل إنسان مع بيئة ضيقة هي المنظومة الحياتية وحدها ، ولكنها ترتد به إلى بيئة أوسع حيث المنظومات الاجتماعية والتقنية الآسرة له والمكونة لنمط ثقافة وحضارة مجتمعة .

ويحدد أحمد إبراهيم شبلي المجالات الرئيسية والأساسية للتربية البيئية في ثلاثة مجالات وهي[1] :

١ ـ مجال التربية البيئية في صيانة الموارد الطبيعية ويتضمن ـ الإنسان والموارد الطبيعية مثل الاستنزاف والتلوث والإهدار ـ صيانة الموارد الطبيعية .
٢ ـ مجال المحافظة على التوازن الطبيعى في البيئة .
٣ ـ التربية البيئية في تصحيح المعتقدات الخاطئة والتفسيرات الخرافية المرتبطة بالبيئة الطبيعية .

وتفيد هذه المضامين إلى أن التربية البيئية لاترمي إلى ترسيخ احترام البيئة في أذهان وممارسات الأفراد فحسب ، بل إنها في الأخير تريد منهم مقترحات لحلول المشكلات البيئية بأسلوب علمي وعملي .

---

(١) احمد عبد الحميد بابكر ، التربية البيئية في الفكر والمنهج الجغرافي ، حولية كلية التربية ، قطر ، العدد الخامس ، السنة الخامسة ، 1987 ، ص ٨٠ .

أما عن مداخل بناء مناهج التربية البيئية فنجد أن هناك ثلاثة مداخل يمكن عن طريقها تضمين التربية البيئية في المناهج والمقررات الدراسية وهي :

١ ـ مدخل الوحدات الدراسية ، وهو يعالج الموضوعات البيئية كوحدة . والوحدة تتضمن أبعاداً اجتماعية واقتصادية وطبيعية وهذا المدخل يظهر مبدأ تكامل الخبرة وشمول المعرفة نحو البيئة .

٢ ـ المدخل الاندماجي . ويهتم هذا المدخل بتضمين موضوعات بيئية معينة في بعض المناهج الدراسية ، مثل تضمين موضوع الغابات في دراسة النباتات في البيولوجيا وفي الجغرافيا وفي الاقتصاد أو تضمين المناهج الدراسية بالمفاهيم البيئية المختلفة ، كمفهوم الموارد الطبيعية الذي يعالج من خلال مواد العلوم والمواد الاجتماعية واللغة العربية والتربية الفنية والاقتصاد المنزلي وهذا الأسلوب لا يؤثر على الوقت المخصص للدراسة .

٣ ـ المدخل المستقل : وتعتمد فلسفته بأن تدرس التربية البيئية كمنهج مستقل قائم بذاته شأنه شأن أي مادة دراسية أخرى ، وفي الحقيقة إن تبني أي نوع من الأنواع الثلاثة السابقة ، هو أفضل من عدم تبني أي واحد منها .

٧ . ٨ التربية البيئية في العالم الإسلامي

في الواقع أن العديد من الدول الإسلامية بدأت تطبق منهاج التربية البيئية على جميع المستويات التعليمية والقانونية والتشريعية . . . الخ وحتى يتم تحقيق هذا المنهاج على جميع الدول الإسلامية يهمني أن أوضح معالم استراتيجية لتطبيق هذا المنهج ، وتتلخص في الآتي :

١ ـ تطعيم مناهج التعليم بمختلف أنواعه ومراحله بالتربية البيئية بشكل متكامل مع المقررات الدراسية المختلفة في التعليم العام، وبشكل مفصل في مراحل التعليم الجامعي .

٢ ـ إمداد المواطنين في جميع الأعمار وعلى مختلف المستويات بالقدر المناسب من التربية البيئية وذلك عن طريق وسائل الإعلام ونشاط الجمعيات المعنية .

٣ ـ الأخذ في الاعتبار برامج التنمية الشاملة في العالم العربي والإسلامي .

٤ ـ الأخذ في الاعتبار الإمكانيات الإسلامية المتاحة للتربية البيئية .

٥ ـ الأخذ بعين الاعتبار أن البيئة كل لا يتجزأ ولذا يجب أن تشمل التربية البيئية كل مجالات البيئة الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية والتشريعية والثقافية والجمالية .

٦ ـ التأكيد على أهمية قيام مشاركة فعالة في توقي حدوث الأضرار والأخطار التي تتعرض لها البيئة .

٧ ـ البحث في قضايا البيئة بنظرة قومية وعالمية مع مراعاة الفوارق الإقليمية .

٨ ـ التوجه إلى الأوضاع الحالية والمستقبلية بالبيئة .

٩ ـ البحث في جميع قضايا التنمية من منظور بيئي .

١٠ ـ التمسك بقيمة وضرورة التعاون والتنسيق المحلي والقومي والدولي في حل مشكلات البيئة .

ومن هنا يهمني أن أوجه بعض التوصيات للدول العربية والإسلامية لتحقيق أهداف التربية البيئية وهي[١] :

---

(١) تم الاستعانة ببعض توصيات الندوة العربية للتربية البيئية ، الكويت ، ١٩٧٦ .

١ ـ الحث على ضرورة إجراء واستكمال المسح الشامل لمكونات البيئة ومشكلاتها في الوطن العربي والعالم الإسلامي تمهيداً لتوثيقه والانتفاع به .

٢ ـ إعداد وتنسيق وتوثيق المعلومات الخاصة بالتربية البيئية .

٣ ـ أن تمضي الدول العربية والإسلامية في خطط التنمية مع مراعاة البيئة وحمايتها وحسن استثمارها بما يخدم أغراض التنمية الشاملة .

٤ ـ إعداد مرجع خاص للثقافة البيئية العامة .

٥ ـ إدخال المعلومات البيئية المناسبة ضمن المناهج في مراحل التعليم العام .

٦ ـ إدخال مقررات خاصة في العلوم البيئية في جميع كليات الجامعة في كل التخصصات .

٧ ـ إعداد برامج في العلوم البيئية توجه إلى المهنيين من الفئات المتخصصة «المهندسون الزراعيون ـ ضباط الغابات ـ الكيمائيون ـ الفيزيائيون ـ الاقتصاديون ـ المخططون ـ الأطباء ـ المحامون ـ القضاة ـ رجال الدين ـ المشرفون الاجتماعيون ـ صانعو القرارات ـ رجال الشرطة» .

٨ ـ إعداد نماذج لمواد البرامج الإذاعية والتليفزيونية المتعلقة بالبيئة والتربية البيئية التي تقدم للقطاعات المختلفة من الجمهور «أطفال ـ مدرسون ـ متخصصون ـ . . . الخ» .

٩ ـ الإسراع في العمل على إعداد هيئة تدريس لمراحل التعليم من المرحلة الابتدائية حتى الجامعة يتخصص أفرادها في العلوم البيئية المتكاملة والتربية البيئية في أقسام خاصة تنشأ لذلك .

١٠ ـ توجيه بعض البحوث في الدراسات العليا حتى الدكتوراه في داخل الوطن العربى والعالم الإسلامي وخارجه في مجال العلوم البيئية والتربية البيئية .

الفصل الثامن

تصور مقترح لحماية البيئة ومواجهة مشكلاتها من فساد وتلوث من منظور إسلامي

٨ . ١ أسس التصور المقترح .

٨ . ٢ أهداف التصور المقترح .

٨ . ٣ أبعاد التصور المقترح .

٨ . ٤ دور الوزارات والهيئات التطوعية في المجتمعات الإسلامية والعربية في ضوء التصور المقترح .

الفصل الثامن

تصور مقترح لحماية البيئة ومواجهة مشكلاتها من فساد وتلوث من منظـور إسلامي

إن صحة البيئة فرع خاص من علم الصحة العامة تهتم به الأمم والجماعات التي تبغي لأبناء وطنها صحة وعافية ، وإذا كنا نلحظ في هذه الأيام أنه تقام مؤتمرات وتعقد ندوات للتحدث عن صحة البيئة ونظافة المنطقة ليحيا الإنسان في صحة وعافية ، فإن الإسلام قد سبق الأمم والشعوب التي تدعو إلى ذلك لأن البيت والمسكن والشارع كل هذه الأشياء رعاها المشرع الحكيم عندما وضع لنا القواعد العامة للمعيشة الكريمة .

والمتأمل في تعاليم الإسلام يلحظ حرصه على حسن مظهر المسلم حتى لا يصاب بالمرض ويتمتع بصحة طيبة ويستطيع ممارسة العبادات التي كلفه الله بها لأنها تحتاج إلى قيام وقعود كما في الصلاة وتتطلب عافية في البدن ليتمكن من السعي في الأرض ليكسب قوته وقوت أولاده ويصون وجهه من ذل السؤال ، ويتمكن من إخراج الزكاة، فاليد العليا خير من اليد السفلى، كما تمكن من السعي الذي يحتاج مكابدة ومشقة، ولا يقدر عليها إلا السليم الصحيح وبالصحة التي اكتسبها المسلم من نظافة نفسه وجسده وبيته وبيئته يستطيع أن يرحل من بيته إلى بيت الله لأداء الحج ويطوف ويسعى ويردد ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : «رحم الله امرءاً أرى القوم من نفسه اليوم قوة فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرف قدرها إلا المرضى» رواه أحمد .

إن الصحة عند المؤمن وسيلة لتحقيق غاية هي النهوض بالرسالة التعبدية والاجتماعية التي كلفنا بها الحق سبحانه وتعالى ، ولقد أمر الإسلام بنظافة البيئة المحيطة بالإنسان من حجرة النوم إلى أفنية البيوت إلى الشارع وجعل النظافة من سمات المسلمين فقد جاء عن النبي ﷺ «إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا فناءكم ولا تتشبهوا»[1] .

إن الأماكن الطيبة النظيفة هي التي تنزل فيها الملائكة لأنها تحب المكان النظيف الذي يفوح منه الرائحة الطيبة ولأنها تنفر من الروائح الخبيثة ، أما الشياطين فإنها تنفر من الأماكن النظيفة ذات الرائحة الطيبة وأحب شيء إليها الأماكن الكريهة! وفي سبيل نظافة البيئة وإظهار مجتمع المسلمين بالصورة الطيبة النظيفة الراقية ، نهى الرسول ﷺ عن التبول أو التبرز في الطريق العام[2] ، لأن من يتبول أو يتبرز في الطريق العام يؤذي الناس أولا ويخدش حياء من يراه ثانيا وتلك صورة تنم عن «الانحطاط الفكري والتخلف الحضاري» ولا يفعل ذلك إلا من فقد أهليته ونزل عن درجات الإنسانية والناس يلعنونه لأنه اذاهم بفعلته الكريهة ، ويقول الرسول ﷺ : «اتقوا اللاعنين» . قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : «الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم»[3] .

وجعل الرسول ﷺ إماطة الأذى عن الطريق صدقة .

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي ١/ ٢٦٧ رقم ١٧٤٨ .
(٢) سنن أبي داود ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، جـ١ ، ١٩٧٠ ، ص ٦ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ٣ ، مطبعة حجازى ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٦١ .

ولتحقيق هذه الأهداف السامية يهمني أن أضع تصوراً مقترحاً لحماية البيئة والمحافظة عليها من الفساد والتلوث من منظور إسلامي.

١٠٨ أسس التصور المقترح

في الواقع أن هناك مجموعة من الأسس التي يرتكز عليه التصور المقترح لرعاية البيئة والحفاظ عليها وحمايتها من الفساد والتلوث من وجهة نظر إسلامية أهمها :

١ ـ أهمية النظر إلى البيئة «بمكوناتها وعناصرها» على أنها ملك للجميع حاضرا ومستقبلا، «الجيل الحالي والأجيال القادمة»، وهي في الإسلام ملكية تصرف لا ملكية مطلقة، وهذا يعني أن الجميع مسئولون عنها حماية ورعاية وتنمية وصيانة ، وأن لكل فرد حق الانتفاع منها بقدر حاجته دون جور أو افتئات على حقوق شركائه الآخرين «آدميين أو غيرهم» وإذا كان البعض[1] قد ناقش مسألة مأساة المشاع التي لا مفر منها إن ترك كل شيء مشاعاً دون تحكم أو سيطرة قد يؤدي إلى الأثرة والأنانية، ولذلك فإن الإسلام يضع الضوابط والقواعد التي تجنب البشرية هذه المأساة، والتي تحكم وتحد من تلك النزعة عن طريق العديد من التوجيهات والتي يأتي في مقدمتها منع الفساد في الأرض، والنهي عن الإسراف والهدر في استخدام الموارد المشاعة.

٢ ـ إن للإسلام منهجه المتميز والواقعي في مواجهة الانحراف في استخدام

---

(١) عبد الله بن ناصر الوليعي، أهمية المفاهيم الايكولوجية في إدارة الموارد البيئية من منظور جغرافي ، مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣١، ذو القعدة ١٤١٥هـ ، ص ٥٣٢.

عناصر البيئة ومواردها أو الاعتداء عليها ، وفي تقويم سلوك الإنسان وترشيد تدخله في البيئة وذلك من خلال :

أ ـ الاهتمام بغرس وتنمية الوازع الديني في نفوس الأفراد وإيقاظ ضمائرهم التي تشكل ضوابط داخلية تحكم وتوجه أساليب التعامل مع البيئة وتدفع إلى حمايتها والعناية بها من واقع الإحساس بالمسئولية أمام الله عز وجل .

ب ـ أسلوب الردع والجزاء الذي يقوم عليه النظام الجنائي الإسلامي ، وذلك بتوقيع العقوبات على من يسيء التصرف إزاء البيئة أو يشكل سلوكه عدواناً على مكوناتها .

٣ ـ في ضوء ذلك يأتي تدخل الدولة متمثلة في ولاة الأمور ، والمؤسسات الإدارية والاجتماعية بمقتضى المسئولية المناطة بهم في هذا الشأن ، فولي الأمر مسؤول شرعاً ، علاوة على مسئوليته العامة عن حماية البيئة ورعايتها واتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لذلك .

٤ ـ إن مشكلات البيئة تتصف بالتعقيد والتداخل ، والتكامل ، الأمر الذي يتطلب :

أ ـ النظرة الشاملة المتكاملة في المواجهة بحيث تواجه كل مشكلة في حضور بقية المشكلات .

ب ـ تضافر الجهود في مختلف مجالات المعرفة وتخصصاتها لمواجهتها .

٥ ـ أهمية التنبه إلى البعد العالمي للمشكلات البيئية الأمر الذي يفرض ضرورة إيجاد صيغة للتعاون الدولي لمواجهة هذه المشكلات ، وفي هذا الصدد فإن الرؤية الإسلامية ترحب بكل مسعى قومي أو إقليمي أو دولي في هذا المجال ، وعلى المجتمعات الإسلامية الدعوة إلى التعاون الدولي

وتوصيل أبعاد الرؤية الإسلامية لرعاية البيئة إلى مختلف دول العالم ، خاصة وأن الالتزام الدولي الحالي بحماية البيئة يؤسس ـ كما يقول رجال القانون ـ على مبدأين هامين هما[1] :

أ ـ مبدأ حسن الجوار .

ب ـ مبدأ عدم التعسف في استعمال الحق .

وهما كما نرى من المبادئ التي أكد عليها الإسلام سواء على المستوى القومي أو العالمي مما يؤكد قيمة وأهمية ما يمكن أن يقدمه المسلمون للعالم في هذا المجال .

٦ ـ التأكيد على ضرورة التكامل بين السياسة البيئية وغيرها من السياسات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية في المجتمع ، إذ أن وضع السياسة البيئية منفصلة عن هذه السياسات يقلل كثيراً من فاعلية الجهود الموجهة للقضايا البيئية ، وهذا يعني أن كافة السياسات القومية الموجهة نحو مجالات التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الإدارية أو سياسات الرعاية الاجتماعية ينبغي أن تضع في اعتبارها عند تصميمها البعد البيئي والعمل على تحقيق الأهداف المتعلقة بالسياسة البيئية[2] .

٧ ـ يشكل التخطيط الأخلاقي والتنمية الأخلاقية جوهر التصور المقترح وأحد الأسس الهامة التي تستند إليها والتي ينبغي أن توضع في الحسبان عند صنع السياسة البيئية وعند وضع خطط وتصميم البرامج

---

(١) عبد الواحد محمد الفار ، الالتزام الدولي بحماية البيئة البحرية والحفاظ عليها من أخطار التلوث ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٦٥ .

(٢) أحمد يوسف بشير ، نحو سياسة اجتماعية لرعاية البيئة من منظور إسلامي ، مرجع سابق ، ص ٥٠٩ .

والمشروعات في ضوء هذا التصور، بحيث يحسب لضوابط الضمير ومعايير السلوك الإنساني قدرها ودورها في حركة الحياة بشكل عام وفي التعامل مع البيئة على وجه الخصوص.

٨ . ٢ أهداف التصور المقترح

عموماً إن الهدف العام والاستراتيجي للتصور المقترح ، إنما يتمثل في التصدى الشامل والمتكامل للأزمة البيئية باتخاذ كافة التدابير والإجراءات والقرارات ، ووضع البرامج التي تضبط وترشد حركة المجتمع في هذا الاتجاه والعمل على إيجاد علاقة توافق وانسجام بين الإنسان والبيئة في ضوء القواعد والقيم والمبادئ المستمدة من التصور الإسلامي.

هذا الهدف العام يندرج تحته مجموعة من الأهداف الفرعية على النحو التالي:

١ ـ العمل على توفير البرامج والتدابير والإجراءات الوقائية لحماية البيئة وصيانة النظام البيئي والتصدى لأسباب المشكلات البيئية قبل وقوعها كجانب وقائي.

٢ ـ تحديد إجراءات وبرامج التدخل والأساليب الفعالة لمعالجة الموقف الحالي بنظرة تتميز بالشمول والتكامل كجانب علاجي.

٣ ـ بناء وتطوير وتنمية الإنسان والمجتمع بنظمه واتساقه ليصبح أكثر تطورا في عقليته وفكره وقيمه واتجاهاته نحو البيئة بشكل عام وأكثر رشداً وعقلانية في نظرته للبيئة وعناصرها تلك النظرة التي ينبغي أن تتشكل في إطارها الإيماني الصحيح، حتى تغدو رعاية البيئة وتنميتها واحداً من الأهداف الاستراتيجية الهامة للإنسان والمجتمع على حد سواء كجانب تنموي إنشائي.

هذا ويسعى التصور المقترح إلى تحقيق هذه الأهداف من خلال مجموعة متكاملة من الخطط والبرامج والمشروعات القابلة للتنفيذ لإحداث التغييرات المطلوبة بالنسبة لكل هدف من هذه الأهداف ، بحيث تغطي هذه البرامج والإجراءات جميع المحاور والأبعاد في نظرة متكاملة وفي ضوء مجموعة من القيم والقواعد المستمدة من التصور الإسلامي .

أما من ناحية القيم فإن التصور المقترح يستند إلى منظومة القيم الإسلامية التي تمثل كلاً متكاملاً لا يتجزأ ، وتضم العديد من القيم التي تشكل الإطار العام لضبط وترشيد علاقة الإنسان بالبيئة منها على سبيل المثال : مجموعة قيم التقوى ، والعلم ، والتعاون والروح الجماعية ، الشعور بالمسئولية الاجتماعية ، التوسط والاعتدال ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . الخ .

أما عن القواعد والمبادئ الإسلامية التي يمكن أن تقوم على أساسها الإجراءات والتدابير والبرامج اللازمة لرعاية البيئة في إطار التصور المقترح فسبق أن تناولناها في سياق البحث[1] .

(١) للحصول على المزيد من هذه القواعد الأصولية وشرحها انظر :

أ ـ أبو اسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، بدون تاريخ نشر .

ب ـ أحمد بن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعية ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، ط ٢ ، ١٩٩٣ .

جـ ـ يوسف حام العالم ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، المعهد العالمى للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية [٥] الرياض ، ط ٢ ، ١٩٩٤ .

د ـ أبو بكر أحمد باقادر وآخرون ، دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام ، الاتحاد الدولى لصون الطبيعة والموارد الطبيعية ، سلسلة دراسات النظم والقوانين البيئية ، رقم ٢٠ ، جلاند ، سويسرا ، ١٩٨٣م .

٨ . ٣ أبعاد التصور المقترح

يعتمد التصور المقترح على خمسة أبعاد وهي[١] :

٨ . ٣ . ١ البعد التربوي

ويمثل هذا البعد حجر الزاوية في أي سياسة بيئية ـ وهو أمر أجمعت عليه كافة المؤتمرات والندوات التي عقدت حول البيئة ـ وتتضاعف أهميته إذا كنا بصدد الحديث عن تصور مقترح لحماية البيئة من منظور إسلامي ، وهو ما يعرف بـ «التربية البيئية» والتي تعني في مفهومها العام : «الجانب الذي يساعد الناس على العيش بنجاح على كوكب الأرض»[٢] .

ولأهمية هذا البعد خصصنا فصلاً مستقلاً من هذا البحث بعنوان التربية البيئية من منظور إسلامي . والحقيقة أن التربية البيئية تقوم على فلسفة مفادها أن القوانين الأيكولوجية التي تحكم العلاقات بين مكونات البيئة الطبيعية لا تقبل التغير ، بينما يقبل السلوك الإنساني ذلك لأنه يتشكل بالتعلم ، وبمعنى آخر : فإن المحافظة على البيئة والتعاون مع الطبيعة هما استجابتان تكتسبان بالتعلم[٣] .

ولقد تضافرت توصيات العديد من المؤتمرات العالمية والإقليمية على أهمية التربية البيئية باعتبارها الركن الركين والأساس المتين الذي تقوم عليه

---

(١) مزيد من التفاصيل أنظر احمد بشير ، نحو سياسة اجتماعية لرعاية البيئة من منظور إسلامي ، مرجع سابق ، ص ٥١١ ـ ٥١٦ .

(٢) جون بيز ، التعليم للعيش على كوكب الأرض ، ترجمة محمد سعيد صباريني . مجلة الثقافة العالمية ، القاهرة ، السنة السادسة ، العدد ٣ ، ١٩٨٧ ، ص ٥٠ .

(3) ibid , p. 104 .

استراتيجية رعاية البيئة وصيانتها [1]، حيث سرت على أثر مؤتمر استكهولم موجة اهتمام عارم بالتربية البيئة وعقدت المؤتمرات والندوات من أجل وضع أسس لبرامج التربية البيئية في التعليم النظامي وغير النظامي تتناول التعليم عن البيئة «معرفة»، والتعليم من البيئة «مهارات»، والتعليم من أجل البيئة «اتجاهات وقيم وسلوك» على أن تكون عملية مستمرة مدى الحياة، تبدأ قبل سن المدرسة وتستمر إلى نهاية الحياة.

فالتربية البيئية المطلوبة ـ إسلامياً ـ هي التي تركز على البعد الدينى الذي يعد بعداً أساسياً ومحورياً للتصور المقترح، للعمل على:

١ ـ تأكيد وترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الأفراد والمجتمع وما ينبثق عنها من تصور كلي عن الكون والإنسان والحياة.

٢ ـ تعريف الأفراد والجماعات بطبيعة البيئة بشقيها الطبيعية والمشيدة الناتجة من تفاعل مكوناتها البيولوجية والطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، واكتساب المعارف والقيم والاتجاهات والمهارات التي تساعدهم على المساهمة المسؤولة والفعالة في رعاية البيئة.

٣ ـ توفير آلية للضبط الذاتي لدى الإنسان فيما يتعلق بعلاقته بالبيئة وما يصدر عنه تجاهها من سلوكيات وتصرفات وذلك بتنشئة الإنسان على تبني منظومة القيم الإسلامية وتأكيد القيم الضابطة لعلاقة الإنسان بالبيئة، والعمل على نبذ القيم المضادة كالاتكالية والأثرة والأنانية والنزعة الاستهلاكية المفرطة وعدم الاكتراث بحقوق الآخرين.

---

(١) النقيب العطاس، التعليم الإسلامي أهدافه ومقاصده، ترجمة عبد الحميد محمد الخريبي، ط١، شركة مكتبات عكاظ وجامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ١٩٨٤، ص ٢٥.

٤ ـ توفير دعم معنوي اجتماعي يعتبر بمثابة حاجز قوي وضابط خارجي يمنع الإضرار بالبيئة وذلك بأن يحدث تفاعل متسلسل إيجابى لدى المواطنين في المجتمع بوجوب تحريم أي سلوك ضار بالبيئة وتهيئة المناخ الملائم لرعاية البيئة والعناية بتنمية روح التعاون والعمل الجماعى والنشاط المشترك لتحقيق أهداف المجتمع في مجال البيئة .

ورغم أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه النظام التعليمي الرسمي ومؤسساته الأساسية «المدارس والجامعات ومعاهد العلم» في هذا الصدد باعتباره النظام المسؤول بصفة أساسية عن تغيير السلوك الاجتماعي الإنساني إزاء القضايا الأساسية في المجتمع ومن بينها قضية البيئة ، إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة وأهمية ما يمكن أن تسهم به المؤسسات الاجتماعية الأخرى في هذا المجال كالأسرة والمدرسة وأجهزة قضاء أوقات الفراغ والترويح في الأندية والإعلام وجميع أجهزة التوجيه المجتمعي .

ومن المفيد هنا التأكيد على الدور الحيوى والهام الذي يمكن أن يؤديه المسجد باعتباره أحد المؤسسات المحورية للتوجيه والتنشئة في المجتمع الإسلامي في العمل على تنمية وإذكاء الوعي الديني لدى سكان المجتمع بجميع فئاته وقطاعاته ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تغلغلت في وجدان إنسان العصر الحديث والتي ترتبط بمجال البيئة .

٨ . ٣ . ٢ البعد الإعلامي

تتميز وسائل الإعلام بقدرتها على تعبئة الناس والموارد ، وعلى تثقيف الرأى العام وتشكيله والمساهمة في إحداث التحول المنشود في المجتمع ، ولقد أصبحت هذه القدرة الآن أكبر منها في أي وقت مضى ، كما أنها

ستصبح أكبر في المستقبل عما هي عليه الآن، ولذلك فإن بإمكان الإعلام أن يوجد رأياً عاماً لدى صناع القرار في المجتمع من ناحية، ولدى المتخصصين والجمهور من ناحية أخرى، عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية، وجعل قضايا البيئة جزءا من قضايا التنمية وجزءا من قضايا الحضارة الإنسانية ومستقبلها.

وقد نجحت وسائل الإعلام في أن تهيىء دعماً قيماً للعمل البيئي على المستوى العالمي في السنوات الأخيرة، إذ جلبت بعض الأنشطة البيئية مثل «يوم الأرض» و «اليوم العالمي للبيئة» قدراً كبيراً من الاهتمام المركز على المشكلات والعمليات البيئية المختلفة التي لم تنل من قبل حظها الكافي من العناية والاهتمام، ولذلك يعتبر البعد الإعلامي أحد المكونات الرئيسية لأي سياسة بيئية، خاصة وأن «العديد من الدراسات أثبتت أن هناك علاقة مترابطة بين وعي الجماهير بمشكلة ما، والتغطية الإعلامية التي تتلقاها هذه المشكلة»[1].

ويهدف البعد الإعلامي في التصور المقترح إلى :

١ ـ تنمية الوعي البيئي لدى المواطنين طبقاً للتصور الإسلامي، وتعزيز التقبل الجماهيرى لأهمية الاعتبارات البيئية ودعم النشاطات البيئية الملائمة.

٢ ـ تهيئة الرأي العام الضاغط من أجل سن القوانين اللازمة واتخاذ القرارات المناسبة حيال البيئة.

٣ ـ تقديم المساعدات اللازمة، وتوفير المعلومات لصناع القرار في المجتمع حول الموقف البيئي ويشمل ذلك صانعي القرارات في الوزارات

(١) برنامج الأمم المتحدة للبيئة، الإعلام البيئي، ترجمة برعى حمزة ومنى طاهر، المكتب المعتمد لدى المنظمة في تونس، ١٩٨٧، ص ١٣.

والدوائر الحكومية المعنية بالبيئة، مثل وزارات التخطيط والكهرباء، البترول والطاقة ، الصناعة ، الزراعة، الإسكان، الصحة ، والتعليم وغيرها ، فضلاً عن الهيئات التشريعية المسؤولة عن سن التشريعات والقوانين البيئية .

ولاشك أن تحقيق هذه الأهداف يستلزم ضرورة إيجاد التكامل والتنسيق والترابط بين التصور المقترح والسياسة الإعلامية للمجتمع ، مع الأخذ بعين الاعتبار :

١ ـ أن تنطلق السياسة الإعلامية وتؤسس على تصور إسلامي .

٢ ـ أن تقوم السياسة الإعلامية ، وما يترتب عليها من خطط وبرامج وأنشطة على أساس ضرورة أخذ البعد البيئي في الاعتبار .

وعلى هذا الأساس يمكن أن تلعب وسائل الإعلام بكافة أنواعها دوراً هاماً في إطار التصور المقترح يتضمن :

١ ـ تقديم معلومات وافية عن أهم المشكلات البيئية القائمة ، وأسبابها ، والأخطار المترتبة عليها ، وأساليب مواجهتها ، وتأكيد الحاجة إلى تغيير سلوك الإنسان تجاه بيئته ليصبح أكثر إيجابية والتزاماً في ضوء القيم والتعاليم الإسلامية .

٢ ـ تقديم الإرشادات العملية للجماهير من كافة الشرائح الاجتماعية عن كيفية التعامل مع البيئة وأنواع التغيير السلوكي المطلوبة لمعالجة الأزمة البيئية وكيفية تبسيط أساليب حياتهم وفق برامج ميسرة تستطيع بفضل حسن إعدادها فنيا وتربوياً على أساس علمي، ودقة تنفيذها، أن تؤدي إلى السلوك الطبيعي للناس حيال بيئتهم، وإلى احترام نظمها .

٣ ـ توفير المعلومات عن أساليب الوقاية من المشكلات البيئية ، ودور المواطن

في رعاية البيئة ومسئوليته الدينية والاجتماعية إزاءها على أن يتم ذلك من خلال كافة أجهزة ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ، وبمشاركة جادة وإيجابية من علماء الدين، ورجالات الفكر، والمتخصصين وكافة المهتمين بقضية البيئة .

٨ . ٣ . ٣ البعد التشريعي

يدخل البعد التشريعي ضمن الجانب الوقائي للتصور المقترح ، ويقوم هذا البعد بصفة أساسية على ثلاثة أسس هي :

١ ـ إن هناك علاقة قوية بين فعالية التشريعات والقوانين وقوة جذورها الحضارية، فبقدر ما تكون هذه التشريعات نابعة من عقيدة الأمة ، وممثلة في تراثها الفكري والحضاري تكون أكثر فاعلية وجدوى .

٢ ـ تزايد الحاجة إلى وضع التشريعات والقوانين واللوائح الجديدة في ميدان البيئة نتيجة للفقر التشريعي الحالي ، وقصور التشريعات المعمول بها الآن ، وهو ما أكدته المؤتمرات والندوات الدولية حول البيئة .

٣ـ إن الجهود الرامية إلى حماية البيئة ورعايتها على الصعيد المحلي والقومي وفي إطار التشريعات والقوانين الداخلية لا يمكن أن تؤدي إلى تحقيق الغاية منها ما لم تقترن بجهود فعالة على صعيد العلاقات الدولية نظراً للسمة العالمية للمشكلات البيئية .

ويستهدف البعد التشريعى للتصور المقترح في إطار الأسس السابقة : منع الإضرار بالبيئة عن طريق إقرار العقوبات الرادعة على ألوان التصرف والسلوكيات الضارة بالبيئة وفرض التدابير والإجراءات اللازمة لتحقيق هذا الغرض في ضوء القواعد والمبادئ والأحكام الإسلامية التي سبق أن ذكرتها ، وذلك على النحو التالي :

١ ـ منع التصرف المؤدي إلى الضرر والفساد سواء كان تصرفاً وقتياً أو مستمراً، فردياً أو جماعياً .

٢ ـ تحديد نطاق التصرف ومكانه وزمانه ونوعيته بما يؤدي إلى منع الضرر أو تقليله أو حصره في مكان أو زمن مخصوص .

٣ ـ فرض تدابير معينة أو ملحقات فنية معينة لمنع حدوث الضرر أو التقليل منه على أن يتولى ذلك أصحاب الخبرة والاختصاص في كل ميدان .

٤ ـ تحديد الإجراءات اللازمة لإزالة الأضرار الحادثة ومعالجة آثارها والتعويض عنها .

٥ ـ إلزام الأفراد والمنشآت والشركات بإزالة الأضرار الناشئة عن استعمالاتهم ومشروعاتهم التي تحتاج إليها الجماعة والتي يترتب عليها بعض الأضرار البيئية .

٦ ـ إيقاف بعض المشروعات إذا ترتب على وجودها ضرر حقيقى بالبيئة يفوق النفع المتوقع منها .

٧ ـ إلزام الأفراد والمؤسسات والشركات بتكاليف إزالة الأضرار الناجمة عن الاستعمالات غير المشروعة والمخالفة .

٨ ـ إلزام الأفراد والمؤسسات والشركات بدفع التعويضات المناسبة عن الأضرار التي يحدثونها بالبيئة الطبيعية .

ومن الضروري التأكيد على أهمية مشاركة المواطنين والتنظيمات الشعبية والمهنية والسياسية في سن القوانين والتشريعات البيئية ، لضمان الدعم والتأييد الجماهيري لهذه القوانين .

٨ . ٣ . ٤ البعد العلاجي

تتميز الأبعاد السابقة للتصور المقترح بتركيزها على الجوانب الوقائية وهي جوانب لها أهمتها البالغة في رعاية البيئة ، غير أن هذا التصور ينبغي ألا يغفل البعد العلاجى لمواجهة المشكلات البيئية القائمة بالفعل ، والتخفيف من حدة آثارها قدر الإمكان ، وذلك بوضع الخطط والبرامج اللازمة لذلك على أساس علمي ، بمشاركة كافة التخصصات المهنية والعلمية المهتمة بشئون البيئة والعمل على تحسين المعرفة العلمية وتكثيف الجهود البحثية والتقنية لإيجاد الوسائل الدقيقة للتحكم البيئي والتركيز على المشاركة الشعبية المنظمة والجادة في وضع وتنفيذ هذه الخطط من خلال كافة الفعاليات المجتمعية كالجمعيات الدينية والخيرية ، التنظيمات الشعبية والنقابات المهنية ، المؤسسات التعليمية والبحثية والتربوية ، أجهزة ومراكز الشباب ، الأحزاب . . . وغيرها من الأجهزة والهيئات والمنظمات التي يمكن أن تقوم بدور ذي بال في هذا الصدد .

٨ . ٣ . ٥ البعد الإنمائي

لقد أسفرت نتائج التحول الاقتصادي في العالم المتقدم عن وجود علاقة قوية بين المشكلات البيئية والنمو الاقتصادي ، وما يقترن به من زيادة استغلال الموارد ، واستخدامات تكنولوجية متعددة من شأنها الإخلال بالتوازن البيئي ، خاصة مع الأخذ في الاعتبار «تلك النظرة التقليدية ـ التي كانت سائدة إلى عهد قريب ـ والقائمة على : إن ظروف البيئة هي المتحكمة في الاقتصاديات ، في حين أن العكس هو الصحيح ، إذ أن الهيكل الاقتصادي الذي أقامه الإنسان يرتكز كلية على الموارد الطبيعية»[١] .

(١) لستر . ر . براون ، من أجل الإنسان ـ استراتيجية لتثبيت عدد سكان العالم ، ترجمة سمير حسنين ، مراجعة : محمود محمد سليمة ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ١٤ .

إن خطط التنمية التي تفتقر إلى أسس سليمة بيئيا يمكن أن تؤدي إلى أخطار جسيمة على الإنسان والبيئة ، وإن كان لابد من حدوث بعض السلبيات البيئية من جراء التنمية الاقتصادية وغيرها من جوانب التنمية ، فعلى أقل تقدير يجب أن تكون هذه السلبيات عند حدها الأدنى ، أي عند حد التلوث أو التدهور الأمثل ، والذي يعني في الوقت ذاته المستوى الأمثل للتنمية ، وهو ما يطلق عليه «التنمية القابلة للاستمرار»[١] وهناك شبه اتفاق الآن على أن البعد البيئي «المتعلق بنوعية وجودة البيئة» يعد من الأبعاد الأساسية في مجال التمييز بين التقدم والتخلف ، وذلك بالإبقاء على البيئة نقية ونظيفة ، في الوقت الذي تظل فيه الأبعاد الأخرى «الاقتصادي ، الفني ، العلاقات الإنسانية المتبادلة» سائرة في طريقها[٢] .

وتأسيسا على ذلك فإن البعد الإنمايى في التصور المقترح إنما تنبثق أهميته من أن التعامل الواعي مع المشكلات البيئية يتطلب أخذ الاعتبارات البيئية والعلاقات المتبادلة بين مكونات البيئة في الحسبان عند التخطيط للتنمية ، وذلك من خلال اتباع سياسة وتخطيط وإدارة بيئية سليمة ، والعمل على تحقيق التنمية القابلة للاستمرار ، وذلك بالسعي الحقيقي والجاد للتوفيق بين التنمية والبيئة[٣] ، وتلك كانت إحدى التوصيات الهامة لمؤتمر «قمة الأرض» كما يتضمن هذا البعد أهمية أن توضع السياسات التنموية المعتمدة في إطار

---

(١) محمد حامد عبد الله ، تحليل اقتصادى لبعض المشاكل البيئية المرتبطة بالتنمية الاقتصادية في الدول النامية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، المجلد ٢٢ ، العدد ١ ـ ٢ ، ربيع ١٩٩٤ ، ص ١٢١ .

(٢) عبد الهادي الجوهري وآخرون ، دراسات في التنمية الاجتماعية مدخل إسلامي ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(3) Teitenberg Tom, " Environmental & Natural Resources Economics " 2nd. ed, Boston,†Scott Foresman & co. , 1988 , p. 147 .

المذهبية الإسلامية لتحقيق الأهداف المرجوة تنموياً وبيئياً في نفس الوقت .

ويهدف البعد الإنمائي في التصور المقترح إلى :

١ ـ ترشيد كافة الجهود الإنمائية بالمجتمع بما يجنبها التضحية بأحوال البيئة ، ويوقف التدهور الذي بدأ يحدث في مكوناتها .

٢ ـ تحقيق التكامل البيئي الإنمائي ، والربط والتنسيق بين استراتيجية التنمية ، واستراتيجية رعاية البيئة وصيانتها .

٣ ـ أن تتم التنمية المنشودة ضمن إطار الحدود الأخلاقية والقيم الإسلامية ، ودون جور على موارد البيئة ، أو افتئات على حقوق المخلوقات الأخرى في النظام البيئي .

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف ينبغي التركيز على المهام التالية :

١ ـ الاهتمام بالبعد البيئي كمفهوم حتمي ومحوري للتخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ليصبح التخطيط للتنمية بالدرجة الأولى تخطيطاً تنموياً ذلك التخطيط الذي يمثل مفهوما ورؤية واعية تعمل كضابط لكل أنواع التخطيط الأخرى ، والهادفة لاستغلال موارد البيئة في إطار من التوازن البيئي الآمن ، وبمعنى آخر فإن التخطيط البيئي المقصود يعنى بتطويع خطط التنمية بيئياً .

٢ ـ إدراك القائمين على شئون التنمية والمهتمين بها إن عملية رعاية البيئة وحمايتها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتنمية ، وأن دورها الاقتصادى غير المنظور من الأهمية بمكان بحيث لا يمكن إغفاله لصالح التنمية ، مما يحتم العمل على تبنى أنماط ونماذج تنمية سليمة بيئياً .

٣ ـ الأخذ في الاعتبار ضرورة المحافظة على البيئة صحياً وجمالياً عند دراسة وإقرار مشروعات التنمية .

٤ ـ تبني تقنيات مناسبة قابلة للتكييف وفق الظروف المحلية وتحترم البيئة وتستغل مواردها استغلالاً لا يسيء إلى أجيال المستقبل .

٥ ـ توفير الضوابط اللازمة لأنماط وأساليب إدارة الأراضي واستخدامها للتوزيع المكانى للأنشطة الإنسانية المختلفة «أنشطة الإنتاج ، مرافق البنية الأساسية ، المباني السكنية والمستوطنات البشرية» . وضع معايير بيئية محددة تقاس على أساسها المشروعات التنموية وما يتطلبه ذلك من تقدير تكاليف المشاكل البيئية وإدخالها في حسابات أي مشروع تنموي أو سياسة اقتصادية قبل تنفيذها دور الوزارات والهيئات التطوعية في المجتمعات الإسلامية والعربية في ضوء التصور المقترح :

في الواقع أن الدولة أو الحكومة ممثلة في وزاراتها وهيئاتها يمكنها أن تقوم بتنفيذ هذا التصور المقترح كلا في مجاله وتخصصه ، لأنه في كثير من الدول الإسلامية والعربية لا يوجد فيها وزارة للبيئة مستقلة وان تنبهت العديد من الدول أخيرا إلى أهمية وجود وزارة للبيئة مثل سوريا ومصر ، ولكن ليس معنى أنه لا يوجد وزارة للبيئة أن الدول تهمل حماية البيئة ، بالعكس فالعديد من الدول بها هيئات تطوعية وخيرية تعمل في مجال البيئة تنافس وزارة البيئة كما في المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة والكويت ، والدليل على ذلك أن «مؤسسة بنكسيا» الاسترالية نجدها قد منحت للملكة العربية السعودية عام ١٩٩١ ميلادية جائزتها العالمية تقديراً لجهودها للحد من تلوث مياه الخليج العربى بالنفط والمحافظة على البيئة والحياة الفطرية[١] .

---

(١) مجلة الفيصل ، العدد ١٧٥ ، السنة ١٥ ، المملكة العربية السعودية ، يوليو ، أغسطس ١٩٩١ ، ص ٢٧ .

٨ . ٤ دور الوزارات والهيئات التطوعية في المجتمعات الإسلامية والعربية في ضوء التصور المقترح

وحتى نعمل على تحقيق أهداف التصور المقترح يهمني أن أوضح دور الوزارات والهيئات الحكومية والأهلية والتطوعية لحماية البيئة والمحافظة عليها في ضوء التصور المقترح وهي :

٨ . ٤ . ١ وزارة البيئـــة

ودورها في ضوء التصور المقترح القيام بالأبحاث والدراسات التي تعنى بشئون البيئة، من حيث التعرف على مصادر التلوث ومختلف أنواع الملوثات، وتتعاون مع الجهات المختصة على مكافحتها وعلاجها ، وتكون ذات دور استشاري لجميع الوزارات والحكومات والهيئات الأهلية والتطوعية في مجال البيئة .

٨ . ٤ . ٢ وزارات التعليم العالي والمعارف والتربية والتعليم

في الواقع أن لوزارات التعليم العالي أو المعارف والتربية والتعليم دوراً هاماً في مجال حماية البيئة والمحافظة عليها فبالإضافة إلى ضرورة تدريس التربية البيئية للطلاب على أساس أن التربية البيئية هي عملية تكوين القيم والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقة المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي-الفيزيقي-مع توضيح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان حفاظا على حياته الكريمة لرفع مستويات معيشته ، فإن لهذه الوزارات والمعاهد العلمية التابعة لها دوراً مهماً في ضوء التصور المقترح وهي :

١ ـ إدراج موضوع البيئة كمادة إلزامية في جميع مراحل التعليم مع جعلها مادة أساسية في الاختبارات السنوية .

٢ ـ تخصيص كرسي في الجامعات لهذا الموضوع مع نيل درجة الماجستير والدكتوراه .

٣ ـ نشر الملصقات والمعلومات البيئية التي تتناسب مع كافة الأعمار .

٤ ـ إعداد مباريات دورية من مواضيع ورسوم بيئية مع تخصيص الجوائز للفائزين .

٥ ـ تضافر جهود البيت والمدرسة في موضوع حماية البيئة .

٦ ـ إعداد القصص المثيرة والمصورة الهادفة إلى التعريف بعناصر البيئة الطبيعية وضرورة الحفاظ عليها وتبيان عظمة الخالق في خلقه .

٧ ـ إعداد الأفلام الوثائقية التي تبرز مضار سوء استغلال الموارد الطبيعية .

٨ ـ التعريف بمبدأ التوازن الكوني والدينامية الكونية .

٩ ـ إظهار الوجه السيئ في العلوم التي تقود نتائجها إلى إفساد البيئة .

١٠ ـ تبيان أهمية ونوعية العلاقة بين الإنسان وبيئته .

١١ ـ توضيح الصورة المأساوية والمستقبلية التي ستنجم عن استمرار التدهور البيئي إذا بقيت الحال كما هي عليه الآن .

٨ . ٤ . ٣ وزارة الإعلام

في الواقع أن الإعلام يعتبر عموماً وسيلة اتصال مع مختلف الشرائح البشرية وخصوصاً الجماهيرية ، تحمل أهدافاً معينة وتسعى إلى توعية الناس وتكوين أفكار واتجاهات وسلوكيات معينة حول هذا الهدف .

من هنا نرى أن للإعلام دوراً كبيراً في حماية البيئة والمحافظة عليها في ضوء التصور المقترح وهذا الدور يتلخص فيما يلي :

١ ـ الاستعانة بالمتخصصين في العلوم النفسية والاجتماعية في بث التوعية البيئية .

٢ ـ دعم الملصقات والنشرات البيئية بصورة فوتوغرافية حية بدلاً من الرسوم التوضيحية .

٣ ـ الانتقال من الشمولية إلى التفصيل والتخصيص في نشر المعلومات البيئية .

٤ ـ تأليف وترجمة الكتب المبسطة البعيدة عن التعقيد كي يتسنى للجميع قراءتها ، دون إهمال الكتب البيئية المتخصصة للأطفال .

٥ ـ إعداد ونشر الأفلام الوثائقية حول البيئة وأسباب تلوثها .

٦ ـ تدعيم النشرات الإعلامية بمأثورات من الثقافة الشعبية لتبيان أهمية نوعية البيئة التي عاش أجدادنا في أحضانها والدعوة إلى العودة قدر الإمكان إلى تنمية هذه البيئة .

٧ ـ إلزام الصحف والمجلات على أنواعها ، السياسية والاقتصادية والفنية والثقافية وغيرها بتخصيص صفحة خاصة للتوعية البيئية .

٨ ـ تخصيص برامج للتوعية البيئية عبر الإذاعات .

٩ ـ تكثيف برامج التوعية البيئية في التلفزيون لأنه الوسيلة الإعلامية الأكثر جذبا لانتباه الجماهير ، وإقران بعض الدعايات بتنبيهات تحذر من مخاطر النوع موضوع الدعاية كأدوات التنظيف مثلاً أو مصففات الشعر أو الروائح العطرية المرذذة .

١٠ ـ تنظيم دورات ولقاءات ومؤتمرات إعلامية بيئية دائمة ومستمرة .

١١ ـ إعداد وتدريب مرشدين بيئيين على غرار المرشدين النفسيين والاجتماعيين .

٨ . ٤ . ٤ وزارة الزراعة والمياه

يمكن لوزارة الزراعة والمياه في المجتمعات الإسلامية والعربية وفي ضوء التصور المقترح القيام بما يلي :

١ ـ دعم التشجير وذلك بتوزيع الغراس مجاناً أو بأسعار رمزية ، حيث تدعو الضرورة ، مع تقديم مكافآت رمزية أيضاً لمن يتابع العناية بالغراس، رياً وتسميداً وتشذيباً . . . الخ .

٢ ـ العمل بالتعاون مع وزارة الأشغال العامة ، على تشجير الشوارع وإقامة الأحزمة الخضراء والحدائق العامة ، خصوصاً في المناطق المدنية المكتظة بالسكان .

٣ ـ الاتفاق مع الوزارات المعنية على عدم الترخيص بإقامة أي مبان أو منشآت صناعية ما لم تفرد معه رقعة نسبية من الأرض تخصص للتشجير .

٤ ـ منع استخدام البيوت البلاستيكية في الزراعة .

٥ ـ منع استيراد الأدوية الزراعية والأسمدة الكيميائية والمبيدات الحشرية على أنواعها التي تسبب بعض الأمراض على صحة الإنسان وكذا تلوث البيئة .

٦ ـ دعم الزارعين بالمال والمعدات والبذور المؤصلة وتشجيع الريفيين على العودة إلى أراضيهم .

٧ ـ تخصيص رقعة من الأرض لزراعة نباتات لا تطالها الأسمدة الكيميائية والمبيدات والأدوية والحصول منها على بذور مؤصلة ذات قدرة مناعية لاستخدامها في الزراعات المستقبلية والحصول على منتجات زراعية طبيعية .

٨ ـ التشجيع على زراعة النباتات التي تستخدم كعلف للمواشى كالبرسيم وغيره .

٩ ـ دعم تربية الحيوانات الأليفة والمواشي والطيور للحصول على أغذية طبيعية .

١٠ ـ منع التعرض للطيور التي تتغذى على الحشرات لأنها البديل الطبيعي للمبيدات . .

١١ ـ إصدار نشرات التوعية والإرشاد الزراعي .

١٢ ـ وضع الخطط الزمنية للتنمية الزراعية .

٨ . ٤ . ٥ وزارة الصحـــة

لما لدور وزارة الصحة المعروف من مهمتها التقليدية من تطبيب وإشفاء وتلقيح ضد الآفات السارية ونشر الإرشادات الصحية ، يمكن لهذه الوزارة وفي ضوء التصور المقترح القيام بما يلي :

١ ـ الإشراف على صنع واستيراد الأدوية ومنع تداول كل ما يؤدي منها إلى الإضرار بالصحة ، لأن الدواء وخصوصاً المركب «ما أصلح شيئاً إلا وأضر بمثله» .

٢ ـ تطبيق سياسة الحجر الصحى على الوافدين .

٣ ـ التعاون مع الجهات المختصة خصوصاً وزارة الاقتصاد والتجارة على مراقبة صنع واستيراد المواد الغذائية ، خصوصاً المجففة والمعلبة واللحوم .

٤ ـ تشديد الرقابة على مختلف المؤسسات من مصانع ومدارس ومطاعم . . . الخ ، وإلزامها بالتقيد بالشروط الصحية الصادرة عنها .

٥ ـ إلزامية تلقيح الأطفال ضد بعض الأمراض الشائعة تحت طائلة المسؤولية .

٦ ـ التحذير من مخاطر بعض السلع المتداولة ، كالدخان مثلاً ، وبعض أنواع

الأطعمة التي تحتوي على الملونات والمحسنات ، وخصوصاً أطعمة الأطفال، وبعض المواد الكيميائية كمواد التصحيح بل ومنع تداولها إذا كان ذلك ممكنا .

٧ ـ إلزامية إخضاع الحيوانات الأليفة والمواشي للطب البيطري .

٨ ـ التعاون مع وزارة الزراعة على تشجيع زراعة النباتات التي تحتوي على خواص طبية علاجية .

٩ ـ إصدار نشرات الإرشاد الدورية للتعريف بمخاطر الملوثات وأساليب الوقاية منها، وكذلك تصميم الملصقات التحذيرية ، وينبغي أن تخضع هذه الأخيرة لإشراف خبراء في علم النفس وعلم الاجتماع كي تأتي مثيرة لمشاعر المواطنين .

١٠ ـ فرض العقوبات على المخالفات .

٨ . ٤ . ٦ وزارة النفط والصناعة

ويمكن أن تتولى وزارة النفط والصناعة في ضوء التصور المقترح المسئوليات التالية :

١ ـ في الدول المنتجة للنفط ، تستطيع هذه الوزارات إلزام المنشآت النفطية بالتزود بكافة وسائل المكافحة والعلاج استعدادا لكل طارئ، إضافة إلى استخدام كافة التقنيات النظيفة التي تحد من انتشار التلوث النفطي . أما في البلدان المستوردة للنفط ينبغي استيراد البنزين الخالي من الرصاص وتقنين استيراد المحروقات . ومن المستحسن أن يكون ذلك وفق بطاقة تموينية يتم بموجبها الحصول على حصص محددة من المحروقات مما يقلص الهدر فيها وبالتالي يخفض التلوث .

٢ ـ إلزام كافة المنشآت الصناعية باستخدام وسائل الحد من التلوث كتركيب الفلترات في مصانع الإسمنت وتقنيات تبريد المياه في المصانع للحد من التلوث الحراري منع المصانع من إلقاء نفاياتها في المجاري الصحية المنزلية بحيث تتم معالجة هذه النفايات محلياً .

٣ ـ إنشاء ودعم المصانع المعدة لإعادة تدوير القمامة مما يخفف من عمليات استنزاف الموارد الطبيعية بحيث يصار إلى الفصل بين :

أ ـ نفايات الأطعمة التي يمكن تحويلها إلى أسمدة وأعلاف .

ب ـ النفايات المعدنية التي يمكن إعادة تدويرها .

جـ ـ النفايات الزجاجية .

د ـ النفايات البلاستيكية .

هـ ـ النفايات النفطية «الزيوت » .

ومن الممكن إعادة تدوير كل هذه النفايات وإعادة استخدامها على نطاق واسع .

٤ ـ عدم السماح بإنشاء المصانع إلا بعيداً عن المناطق السكنية مع اشتراط إحاطتها بأحزمة خضراء لاستيعاب الملوثات الناجمة عنها .

٥ ـ مراقبة صناعة المواد الغذائية والتأكد من عدم احتوائها على أية عناصر ملوثة .

٦ ـ العمل بالتعاون مع الوزارات المعنية على تحويل مياه الصرف الصحي إلى مياه للري وأسمدة .

٧ ـ فرض العقوبات على من يخالف التشريعات الصادرة عنها .

٨ . ٤ . ٧ وزارات المالية والاقتصاد والتجارة والموارد المائية والكهربائية

والواقع أن لهذه الوزارات دوراً هاماً وبارزاً في حماية البيئة والمحافظة عليها، ويتبلور هذا الدور في ضوء التصور المقترح في مختلف المجالات بما يلي :

١ ـ فرض الضرائب والغرامات على كل ما من شأنه تلويث البيئة ، إضافة إلى تحويل كافة المشاريع الكفيلة لحماية البيئة ، وذلك وفق المقترحات والتوصيات من جميع الجهات المسؤولة .

٢ ـ منع استيراد كافة السلع التي تحتوي على عناصر ملوثة .

٣ ـ فرض تقنين استيراد السيارات والمشتقات النفطية .

٤ ـ فرض الرقابة على المواد الغذائية وإتلاف الفاسد منها .

٥ ـ فرض العقوبات في حال المخالفة .

٦ ـ التعاون مع الجهات المختصة للحفاظ على نظافة المياه العذبة ومياه البحار .

٧ ـ الفحص الدورى للمياه وإضافة مطهرات إليها عند الحاجة .

٨ ـ تنظيم عمليات توزيع مياه الشرب والري واتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لمنع الهدر .

٩ ـ عدم تمديد خطوط التوتر العالي الكهربائية بالقرب من المناطق الآهلة بالسكان .

١٠ ـ في البلدان التي تتم فيها تحلية مياه البحر ينبغي اتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بمنع محطات التحلية من إلقاء المخلفات الملحية في البحر مما يؤثر على الأحياء البحرية .

٨ . ٤ . ٨ وزارات الإسكان والأشغال العامة والنقل

ولهذه الوزارات أدوار مهمة في ضوء التصور المقترح بما يلى :

١ ـ رغم التزايد السكانى ، ثمة إفراط في الاستثمار العقاري ، خصوصاً في البلدان النامية ، لذا ينبغى تنظيم شئون الإسكان وفق خطط زمنية تأخذ بعين الاعتبار قانون العرض والطلب تجنباً للاعتداء العشوائي على الطبيعة واستبدال المساحات الخضراء بغابات الأسمنت .

٢ ـ إلزام المستثمرين العقاريين بضرورة التقيد بالشروط الصحية الضرورية في هذا المجال من تهوية وإنارة ومساحات خضراء ملحقة بالأبنية .

٣ ـ هدم الأبنية القديمة التي تشكل خطورة بأي حال من الأحوال .

٤ ـ تنظيم شئون الإسكان في الأرياف من حيث ضرورة إنشاء الأبنية الفردية الأفقية ومنع تلاصقها بشكل تكون فيه مساحة البناء أقل من نصف مساحة الأرض الكلية .

٥ ـ اعتماد الحد الأقصى من وسائل النقل العام مما يخفف من أزمة السير الخانقة ويقلص نسبة التلوث .

٦ ـ تنظيم عمليات سير المركبات الخاصة كتخصيص يوم لسير المركبات ذات الأرقام المفردة ، ويوم آخر للمركبات ذات الأرقام المزدوجة ، وتخصيص فترات زمنية يومياً لسير الشاحنات والقاطرات ، وتخصيص شوارع معينة لمرور السيارات الكبيرة بل ومنعها من السير في شوارع المدن الكبرى . . . الخ .

٧ ـ إقامة السدود والأقنية والترع للحفاظ على أكبر كمية من المياه والإفادة منها ومنعها من الانسياب إلى البحر وهدرها .

٨ـ مراقبة الشواطئ بالتعاون مع الجهات المختصة ، ومنع عمليات التجريف الواسعة التي تلحق بها بمستويات تخل ببيئة الأعشاب والأحياء البحرية .

٩ ـ التعاون مع وزارة الزراعة ووزارة البيئة على تشجير الشوارع في المدن وإقامة الأحزمة الخضراء والمنتزهات العامة .

٨ . ٤ . ٩ وزارات السياحة والداخلية والخارجية

ولهذه الوزارات أدوار مهمة تتضح لنا من خلال ما يلى :

١ ـ أن يناط بوزارة السياحة الحفاظ على نظافة الأماكن السياحية من حيث المراقبة والإشراف على استكمال الشروط الصحية والبيئية في الفنادق والمطاعم والمنتزهات والشواطئ . . الخ .

٢ ـ أن تقوم وزارة الداخلية بعدم الترخيص بإقامة أي مبنى ما لم تخصص معه مساحة من الأرض للتشجير ، هذا فضلاً عن فرض الرقابة والتقنيين على تصنيع وسائل النقل الخاصة في الدول الصناعية واستيرادها في الدول النامية وتشجيع التنقل في وسائل النقل العامة وبالدرجات بل وسيراً على الأقدام ضمن المسافات القصيرة . كما تقوم وزارة الداخلية بمنع صيد الطيور بصورة عامة بهدف المحافظة على دورة الحياة الفطرية ، وتكثيف أعداد حراس الشواطئ لمراقبة أعمال الصيد ومنع إلقاء النفايات على الشواطئ، وتكثيف أعداد حراس الغابات لمنع القطع الجائر للأشجار إلا بترخيص من الجهات المسئولة .

٣ ـ أما عن دور وزارة الخارجية فنجده أنه في دور إطار العلاقات الدولية المعاصرة ، ومع اتساع نطاق مهمات واختصاصات وزارة الخارجية ، وفي خضم الجهود المبذولة لمكافحة التلوث البيئي ، برزت ضرورة

استحداث دائرة مخصصة لشئون البيئة في وزارة الخارجية وافتتاح ملحقيات للبيئة في سفاراتها الموزعة في أنحاء العالم ، على غرار الملحقيات الثقافية والاقتصادية والعسكرية وغيرها . وذلك لتبادل كافة المعلومات حول البيئة والتلوث والتعاون الدولي في هذا المجال .

٨ . ٤ . ١٠ دور الهيئات الأهلية والتطوعية والخيرية

في ضوء التصور المقترح يمكن للهيئات والمنظمات الأهلية والتطوعية والخيرية والدينية والاجتماعية والصحية والعلمية أن تدرج قضايا البيئة في برامجها الأساسية دون أن ننسى دور المنظمات البيئية التي يمكنها أن تجمع بين النظر والتطبيق في مجال البيئة من حيث نشر الوعي البيئي والقيام بإجراءات ميدانية لمكافحة التلوث والحفاظ على نظافة البيئة .

كما يمكن لهذه الهيئات والمنظمات والجمعيات أن تتعاون فيما بينها على الصعيد الدولي للحصول على نظام ايكولوجيأفضل ٠ ذلك أن البيئة ليست ملك فريق دون آخر ، بل هي ملك جميع سكان الأرض ، كما يمكن أن ينسحب هذا التعاون الدولي على الصعيد الرسمي حيث تتبادل الدول فيما بينها كل ما يختص بقضايا البيئة من معلومات ومساعدات ، ويجب أن يكون لمنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ورابطة العالم الإسلامي دور بارز وهام ومؤثر تجاه قضايا البيئة .

الخاتمـــــة

أخبرنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن البيئة (بجميع مكوناتها) أرضاً وسماءً، وما فيهما وما بينهما ملك لله تعالى ، وأنها أعطيت للإنسان على سبيل «الأمانة» ليس إلا ، فهو يتحمل مسؤولية حمايتها ورعايتها ، وهي تشكل ميدان اختبار لأخلاق الإنسان ومدى التزامه بالمنهج الإلهي في أداء الرسالة التي من أجلها خلق ، ولهذا فالبيئة والطبيعة والكون وفق المعطيات القرآنية قد سخرت للإنسان تسخيرا ، وأن الله سبحانه حدد أبعادها وقوانينها ونظمها وأحجامها بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخدمة الإنسان في العالم ، وقدرته على التعامل مع البيئة تعاملاً إيجابياً وفاعلاً ، والآيات الخاصة بمسألة التسخير «المتوازن» المناسب هذا منبثة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم يصعب حصرها .

وإذا ما ذهبنا نستنطق آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حول البيئة والطبيعة في التصور الإسلامي لجاء جزء من الإجابة متمثلا في خطوط عامة عريضة يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولا : في القرآن الكريم

١ـ تمدنا المعطيات القرآنية بوصف شامل للطبيعة أتى على كل شيء فيها ، ولم يقتصر على السماء دون الأرض ولا على الجماد دون النبات ولا على الإنسان دون الحيوان ، وإنما عرض ذلك كله عرضاً معجزاً كما نبّه القرآن إلى أصول الثروات البيئية المختلفة كالحيوانية ، النباتية ، المائية ، والجبلية .

٢ـ لقد جاء هذا العرض الشامل والمفصل والمعجز للبيئة ومكوناتها في القرآن الكريم في سياق :

أ ـ الانتفاع والتسخير والاستثمار لتحقيق خلافة الإنسان لله على كوكب الأرض ، وذلك بالعمل على كشف السنن الكونية المغيبة عنا ، وتسخيرها فيما تصلح به الحياة على الأرض .

ب ـ التأمل والتفكر والاعتبار من أجل الانتقال منها إلى الخالق ، والوقوف على ما تحمله من دلالات على وجود الله وعلى صفاته سبحانه وتعالى ، وكما لاحظنا في سياق هذا البحث فإن جميع أجزاء الكون وحوادثه ترد في القرآن الكريم مقرونة بألفاظ دالة على الحواس كالرؤية والنظر والبصر والسمع ، والألفاظ الدالة على التفكير كألفاظ : يعقلون ، يتفكرون ، يعلمون ، يتدبرون ، يوقنون ، يفقهون ، يتذكرون .

٣ ـ إن الكون وما فيه لم يخلق عبثا وإنما خلق لحكمة ، ولأداء رسالة معينة أرادها الله عز وجل الذي تنزه عن العبث واللهو ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾[1] .

٤ ـ إن هذا الكون خاضع لسنن كونية ثابتة ، وأنه يتصف بالحركة والانتظام والكمية والتقدير والاتزان ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[2] ويشير القرآن في مواطن كثيرة إلى «التوازن الطبيعي» الدقيق والمحكم بين عناصر البيئة الطبيعية المختلفة، وذلك في سياق الحديث عن الطبيعة وقواها ومظاهرها وآياتها .

٥ ـ وردت بعض عناصر الكون ومخلوقاته في القرآن الكريم في سياق القسم، وحين يقسم الله عز وجل ببعض هذه العناصر والمكونات فإن ذلك يعطي دلالة على قيمة وأهمية ومكانة هذه العناصر .

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٥ .

(٢) سورة القمر، الآية ٤٩ .

٦ ـ نفي القرآن الكريم فوقية الظواهر الطبيعية ، فلم يعد هناك قسر يؤدي بالإنسان إلى تأليهها واتخاذها معبودا من دون الله تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾[١] .

ثانيا : السنة النبوية المطهرة

فقد اهتمت السنة النبوية بالبيئة ومكوناتها وعناصرها ، وحثت على حمايتها والحفاظ عليها والدليل على ذلك :

قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، ولا يزوره أحد إلا كان له صدقة الى يوم القيامة»[٢] .

وقال ﷺ : « ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا يسأله الله عز وجل عنها ، قيل يا رسول الله وما حقها ؟ قال : أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها ويرمي بها»[٣] .

وقال ﷺ : «من قتل عصفوراً عبثاً جاء إلى الله يوم القيامة يقول : يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة»[٤] .

وقال ﷺ : «إذا قامت القيامة وفي يد أحد منكم فسيلة فليغرسها»[٥] .

وقال ﷺ : «الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلأ والنار»[٦] .

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٧ .
(٢) سبق تخريجه في ص ٨١ .
(٣) سبق تخريجه في ص ٦١ .
(٤) سبق تخريجه في ص ٦١ .
(٥) سبق تخريجه في ص ٨١ .
(٦) سبق تخريجه في ص ٦٢ .

ثالثا : رأي فقهاء المسلمين

لقد اهتم فقهاء المسلمين بالبيئة وسلامتها ، لأن العبادة ليست مقصورة على أداء الشعائر الدينية فقط بل تضم الأخلاق والصدق والأمانة وعدم الأنانية وحب الخير لكافة عباد الله إنها تضم العمل بكافة مبادئ الإسلام وتعليماته وتشريعاته في شتى شؤون الحياة . فإماطة الأذى عن الطريق صدقة وعبادة ، وحب الخير لأخيك كما تحبه لنفسك عبادة وعدم تلويث الهواء والتربة عبادة .

إن استغلال موارد البيئة بهدف تحقيق مصلحة ذاتية بحتة وإحداث ضرر بهذه الموارد وتغييرها وتشويهها وإيقافها عن العطاء واختفائها يعتبر أمراً منهياً عنه في الإسلام .

ومن القواعد الفقهية

«ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» ، «ما أدى إلى حرام فهو حرام» ، «الضرر لا يزال بمثله أو بضرر أكبر منه» ، «ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح» .

والواقع إن موضوع البيئة من الموضوعات الهامة في حياة الشعوب الإسلامية والعربية والعالمية خاصة ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين .

وحتى تستطيع الدول الإسلامية والعربية مواجهة المشكلات البيئية خاصة ونحن مقبلون على القرن الحادي والعشرين ، فبالإضافة إلى ما جاء في سياق هذا البحث ، أقترح بعض التوصيات لمواجهة فساد وتلوث البيئة في المجتمعات الإسلامية والعربية من خلال المجالات الآتية :

١ ـ في مجال البيئة المائية

أرى ضرورة وضع خطط وبرامج متخصصة لصيانة البيئة المائية في الأقطار الإسلامية والعربية ، التي لا توجد فيها مثل هذه الخطط والبرامج ، والأخذ بعين الاعتبار امواصفات المعتمدة لمياه الشرب والأساليب الواجب اتباعها لتجنب تلوث المياه الندية ، وتحديد نوعية التلوث في كل قطر إسلامي وعربى وإيجاد الوسائل اللازمة للمحافظة على البيئة المائية .

٢ ـ في مجال التصحر

أرى ضرورة وضع خطط إسلامية وعربية مبرمجة للحد ولمكافحة التصحر وعلى أن تولي الجامعات الإسلامية والعربية ومراكز البحوث العلمية دراسات في مجال وتقييم المشاريع الصناعية من أجل الحفاظ على البيئة .

٣ ـ في مجال المراعي والنباتات

أؤكد على ضرورة الحفاظ على المراعي الطبيعية وحماية النباتات الطبيعية ، وإحياء المراعي المتدهورة ، وإنشاء بنك للمورثات لحفظ الأصول الوراثية للكائنات المهددة بالانقراض .

٤ ـ في مجال الهواء

ضرورة وضع خطط كفيلة بالحد من مخاطر تلوث الهواء الناجم عن عوادم وسائط النقل بأشكالها المختلفة ، والتقليل من الملوثات الصناعية والغازات الناتجة من المصانع ، والتي تطلق في الجو وذلك عن طريق إلزام أصحاب المصانع باتباع الوسائل الحديثة للحد من هذه النواتج الملوثة .

٥ ـ تشكيل هيئة بيئة إسلامية عربية

وهنا أرى ضرورة تشكيل هيئة أو جهاز يتولى العناية بكافة القضايا المتعلقة بالبيئة الإسلامية والعربية وتكثيف التعاون بين الأقطار الإسلامية والعربية في مجال شؤون البيئة.

٦ ـ في المجال الدولي

أرى ضرورة قيام الدول الإسلامية والعربية بالانضمام إلى الاتفاقيات الدولية التي تحد من أخطار الملوثات الغازية .

٧ ـ في مجال التشريعات البيئية والثقافية

أرى ضرورة العمل على سن التشريعات والقوانين الخاصة للمحافظة على البيئة ، وكذلك أهمية نشر الوعى البيئي في العالم الإسلامي والعربي عن طريق وسائل الإعلام المختلفة «مسموعة ـ مرئية ـ مكتوبة»وكذلك عن طريق التربية البيئية في وزارات المعارف والتربية والتعليم ، والتعليم العالي بمختلف مراحله.

هذا على المستوى الإسلامي والعربي لمواجهة مشكلات البيئة ٠

أما على المستوى الإسلامي والعربي والعالمي معاً ، فأرى أنه يجب التخطيط لمواجهة هذه المشكلة من ثلاثة محاور :

أولا : العمل على وقف التدهور الحالي والذي يقع العبء الأكبر فيه على الدول الصناعية الكبرى.

ثانيا : بحث وإصلاح ما فسد ومساهمة عادلة من الجميع ، كل حسب قدرته وإمكاناته، مع الاعتراف بأن بعض ما فسد غير قابل

للإصلاح . هـذا مــع وضع أولـويات تـخضع لأهـمية ما يـجب إصلاحه وتكاليف ذلك .

ثالثا : مواجهة استمرار تدهور البيئة باتخاذ ما يلي :

١ ـ البدء بالسيطرة على ازدياد سكان العالم وهو أمر ممكن تحقيقه إلى حد بعيد قبل حلول منتصف القرن القادم ، كما يجب أن تقترن السيطرة برفع مستوى معيشة الأفراد في الدول الفقيرة إلى درجة لائقة بإنسانيتهم ، وتوعية الجميع لاتباع سلوكيات مسئولة ، والنظر للأمور بأسلوب منطقي علمي وعالمي .

٢ ـ خلق توازنات مدروسة بحيث لا تتعارض التنمية مع المحافظة على البيئة ولابد هنا من تعاون دولي في العديد من المجالات لنجاح تلك التوازنات .

٣ـ التعاون الدولي في جمع المعلومات الدقيقة ودراستها والخروج بأبحاث مشتركة وتكنولوجيات تحد من التلوث وتمنع الأضرار بالبيئة .

٤ ـ اكتشاف واستخدام الوسائل المختلفة التي تمكن البشرية من مواجهة تغيرات المناخ المتوقعة بمزيد من الأقمار الصناعية الدقيقة والمتخصصة .

٥ ـ الحد من استخدام المواد الكيميائية في إنتاج الغذاء بكافة أنواعه نباتي وحيواني ، وحفظه وتسويقه . والعمل على استخدام وسائل بديلة . كذلك بالنسبة لمقاومة الآفات الزراعية يجب أن تتطور وسائل المقاومة المعروفة حالياً ، وألا تكون بالتدخل الكيميائي .

لقد رسمنا صورة واقعية لنظرة الإسلام للبيئة ومشكلاتها من فساد وتلوث ، وأنذرت بأنه لو استمر التدهور الحالي للبيئة فسوف يواجه العالم كله بأزمات ومصائب .

وأنه علينا جميعاً أن نقتنع ، ونقبل ونجد في التعاون المثمر لمواجهة هذا الخطر المشترك وهو ما ستضطر إليه البشرية في القرن القادم وتجبر عليه .

والواقع يقول إنه ليس أمام البشرية جمعاء لمواجهة فساد وتلوث البيئة سوى أحد أمرين :

١ ـ إما التآزر والتنسيق والتعاون الجاد خاصة داخل العالم الإسلامي والعربي .

٢ ـ وإما اللحاق بالديناصورات .

وفي نهاية هذا البحث يهم الباحث أن يؤكد على أن ما قدمه لا يعدو أن يكون مجرد اجتهاد أو محاولة تقبل المراجعة والإضافة والتعديل ، والأمل معقود في أن يكون هذا البحث ـ المتواضع ـ دافعاً للباحثين المتخصصين والمهتمين بالبيئة لإعطاء جلّ عنايتهم بمجال البيئة ومشكلاتها وتحدياتها وفسادها وتلوثها في ضوء المنظور الإسلامي .

وفي النهاية فإن كنت أصبت في إعداد هذا البحث فمن الله وإن كنت أخطأت فمن نفسي .

والله ولى التوفيق ، ، ،

المراجـــــــع

أولاً : المراجع العربية

ابن الخطيب، لسان الدين (١٣٩٧هـ). **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، القاهرة: دار النهضة للنشر .

ابن تيمية (١٩٩٣). **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية** ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، ٢ .

ابن ماجة (١٩٦٥). **سنن ابن ماجة**. القاهرة: دار الحديث للنشر.

ابن منظور (د.ت). **لسان العرب** ، ج ١ ، ط٣ ، القاهرة .

أبو داوود (١٩٨٣). سنن أبي داود. ج ١ ، القاهرة: مطبعة مصطفي الحلبي.

أبو زهرة، محمد (١٩٨٠). القاهرة: دار الفكر العربي.

أبو شقرة، غازى (١٩٩١). المشكلات البيئية والتربية على الصعيدين الدولي والعربي، **مجلة التربية الجديدة** ، اليونسكو ، العدد ٢٣ ، السنة ٨ .

أبو يوسف، القاضي (١٩٧٣). **الخراج** ، القاهرة: دار المعرفة .

أرسلان، شكيب (١٩٦٨). **الارتسامات اللطاف** ، بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع.

أكبر، خالد فاروق (١٩٩٣). الأزمة البيئية والدين (وجهة نظر إسلامية) **مجلة الفكر الإسلامي والإبداع العلمي**، العدد ١٢ ، مارس ١٩٩٣م.

الأشرف، محمد غياث (١٤١٥هـ). حماية البيئة في الإسلام، **مجلة الأمن**، وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية، العدد ٤٢، ذو الحجة ١٤١٥هـ.

الأصفهاني، أبو قاسم (١٩٧٠). **المفردات في غريب القرآن**، القاهرة: دار المعرفة.

الأندلسي، أبو حيان (١٩٦٧). **تفسير البحر المحيط**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

الأندلسي، أبو محمد بن عطية (١٩٧٦). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب**، طبعة قطر.

البهي، محمد (١٩٨٢). **الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر**، ط ٣، القاهرة: مكتبة وهبة.

التربية البيئية في ضوء مؤتمر تبليسى (١٩٨٠).

الجوزية، ابن قيم (د.ت). **الطب النبوي**. بيروت: دار مكتبة الهلال.

الجوهري، عبد الهادي وآخرون (١٩٨٢). **دراسات في التنمية الاجتماعية مدخل إسلامي**، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.

الحلو، ماجد راغب (١٩٩٥). **قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة**، ط ١، الاسكندرية: دار المطبوعات الجامعية.

الحليبي، أحمد عبد العزيز (١٤١٧هـ). أمن البيئة في الإسلام، **مجلة الأمن**، المملكة العربية السعودية، العدد ٣.

الحمد، رشيد؛ ومحمد سعيد صباريني (١٩٩٧). **البيئة ومشكلاتها**، سلسلة عالم المعربة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، العدد ٢٢، الكويت، أكتوبر ١٩٩٧م.

الخطابي، أبو سليمان (١٩٧٠). **معالم السنة**، القاهرة: مكتبة السنة المحمدية.

الخولي، البهي (١٩٩٣). **الثروة في ظل الإسلام**، القاهرة: دار الفكر للنشر.

الدنشاوي، عز الدين؛ وصادق احمد طه (١٩٩٤). **سموم البيئة**، الرياض: دار المريخ للنشر.

الرازي، فخر الدين (د.ت). **التفسير الكبير**، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة.

السمراني، مهدي صالح ا(١٩٩٢). ماذا تعاني البيئة؟ ولماذا التربية البيئية؟ **المجلة العربية للتربية**، المنظمة العربية والثقافية والعلوم، المجلد ١٢، العدد ٢، تونس، ديسمبر ١٩٩٢م.

السيوطي (د.ت). **جامع الأحاديث**، الجزء الثاني. بدون دار نشر.

الشاطبي، أبو إسحاق(د.ت). **الموافقات في أصول الشريعة**، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

الشعراوي، محمد متولي (١٩٨٧). الكون-الحضارة-التلوث، **مجلة التنمية والبيئة**، القاهرة، العدد ٩.

الشعراوي، محمد متولي (١٩٨٨). **معجزة القرآن (مشاهد يوم القيامة)** الجزء العاشر، كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد ٢٨١، أبريل ١٩٨٨م.

الشوكاني، محمد (١٤٠٠هـ). **فتح القدير**، القاهرة: مطبعة مصطفي البابي الحلبي.

الشوكاني، محمد (د. ت). **نيل الأوطار**، ج ٥، القاهرة: دار الحديث.

الشيتاني، عبد الوهاب عبد العزيز (١٩٨٠). **حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة**، الطبعة الأولى، عمان ـ الأردن.

الصابوني، محمد علي (د. ت). **صفوة التفاسير**، المجلد الأول، الطبعة التاسعة، بيروت: دار الشروق.

العسقلاني، ابن حجر (١٣٤٨هـ). **فتح البارى بشرح صحيح البخاري**، الأجزاء ٢، ٣، ٤، ٥، الطبعة الثانية، القاهرة: دار إحياء التراث العربي

العطاس، النقيب (١٩٨٤). **التعليم الإسلامي (أهدافه ومقاصده)**، ترجمة عبد الحميد محمد الخريبي، ط١، جدة: شركة مكتبات عكاظ وجامعة الملك عبد العزيز.

العلامة المناوي (د. ت). **فيض القدير**، ج ٦، القاهرة: مطبعة مصطفي محمد.

العوضي، عبد الرحمن (١٩٩٤). التلوث ودور المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية في إعادة التأهيل البيئي، **مجلة دراسات الخليج العربية**، جامعة الكويت، العدد ٧٤، يوليو ١٩٩٤م.

الغنيمي، زين الدين عبد المقصود (١٩٩١). **البيئة والإنسان**، الاسكندرية: منشأة المعارف.

الغنيمي، زين الدين عبد المقصود (١٩٩٢). **الآثار البيئية لغزو العراق على الكويت**، مجلس دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، عدد خاص، مايو ١٩٩٢.

الفار، عبد الواحد (١٩٨٥). **الالتزام الدولي بحماية البيئة البحرية والحفاظ عليها من أخطار التلوث**، القاهرة: دار النهضة العربية.

الفقي، محمد (١٩٩١). **البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث**، القاهرة: مكتبة ابن سيناء.

القاسمي، خالد محمد (١٩٨٧). **إدارة البيئة في دولة قطر**، الطبعة الأولى، بيرت: دار الحداثة.

القاسمي، خالد محمد؛ ووجيه جميل البعيني (١٩٩٧). **أمن وحماية البيئة**، دار الثقافة العربية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

القرشي، ابن كثير (١٩٧٠). **تفسير القرآن العظيم**، القاهرة: دار المعرفة.

القرضاوي، يوسف (١٩٨٠). **الإيمان والحياة**، ط٧، القاهرة: مكتبة وهبة.

القرضاوي، يوسف (١٩٩٠). **الخصائص العامة للإسلام**، بيروت: دار الشروق.

القرضاوي، يوسف (١٩٩٢). الإسلام والمحافظة على البيئة، **مجلة القافلة**، المملكة العربية السعودية، العدد ٢.

القرضاوي، يوسف (١٩٨٥). **الخصائص العامة للإسلام**، القاهرة: دار الفكر للنشر.

القرطبي، أبو عبد الله محمد (١٩٧٣). **تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن**، كتاب الشعب، المجلد الخامس والمجلد الثامن، القاهرة: دار إحياء التراث.

القصاص، محمد عبدالفتاح (١٩٨٠). **الإنسان والبيئة**، اليونسكو، العددان ٣ـ٤، القاهرة الشعب القومية، اليونسكو.

المعجم الوجيز، (١٩٩٣). القاهرة: مجمع اللغة العربية.

المقدسي، ابن قدامة (١٩٧٥). **المغني**، طبعة هجر، جدة.

المقريزي، تقي الدين (د.ت). **الخطط المقريزية**، بيروت: دار صادر للنشر.

المنذري (١٩٨٠). **الترغيب**، الجزء الخامس، القاهرة: دار الحديث.

الموارديي، أبو الحسن (١٤١٣هـ). **الأحكام السلطانية**، القاهرة: مطبعة مصطفي البابي الحلبي.

الندوة العربية للتربية، الكويت، ١٩٧٦م.

الهاشم، عبد الله (١٩٨٨). البيئة والإنسان، **مجلة الكويت**، العدد ٧٥، ربيع الأول ١٤٠٩هـ-نوفمبر ١٩٨٨م.

الوليعي، عبد الله بن ناصر (١٤١٥هـ). أهمية المفاهيم الأيكولوجية في إدارة الموارد البيئية من منظور جغرافي، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، العدد ١٣.

ب. ج. ترند (١٩٧٥). **تراث الإسلام**، ج١، بيروت: دار القلم للنشر والتوزيع.

بابكر، أحمد عبد الحميد (١٩٨٧). **التربية البيئية في الفكر والمنهج الجغرافي**، حولية التربية، قطر، العدد الخامس، السنة الخامسة.

بارك، ص (١٩٨٨). نحو فلسفة للتربية البيئية، ترجمة محمد سعيد حواريني، **مجلة رسالة المعلم**، وزارة التربية والتعليم، العدد الثاني، المجلد ٩ الأردن.

باشا، أحمد فؤاد (١٩٦٠). علوم منسية في تراث المسلمين، **مجلة المسلم المعاصر**، العدد ٨١، السنة ٢١، القاهرة.

باقادر، أبو بكر احمد وآخرون-١٩٨٣). **دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام**، الاتحاد الدولي لصون الطبيعة والموارد الطبيعية، سلسل دراسات النظم والقوانين ابيئية، رقم ٢٠، جلاند سويسرا.

بدران، عبد الحكيم (١٩٩٠). **أضواء على البيئة**، الرياض: مكتب التربية لدول الخليج.

برنامج الأمم المتحدة للبيئة (١٩٩٦). المكتب الإقليمي في غرب آسيا، **البيئة والسلام**، يوم البيئة العالمي.

برنامج الأمم المتحدة للبيئة (١٩٧٨). **الإعلام البيئة**، ترجمة برعي حمزة ومنى طاهر. المكتب المعتمد لدى المنظمة في تونس، تونس.

بشير، احمد يوسف (١٩٩١). الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامي، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، القاهرة، من ١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١.

بشير، أحمد يوسف (١٩٩٥). **نحو سياسة اجتماعية برعاية البيئة من منظور إسلامي**، المؤتمر الثالث للفكر الإسلامي، الاسكندرية.

بكرة، عبد الرحمن الرفاعي (١٤١٣هـ). **أسس التربية البيئية في الإسلام**، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية.

تقرير المجلس القومي للخدمات والتنمية الاجتماعية (١٩٩٠). القاهرة.

تقرير صادر عن مجلس وزراء البيئة العرب، القاهرة، يوم ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٧.

جوران، موريس (١٩٨٥). الانتصار على التلوث، **مجلة العلوم الاجتماعية**، جامعة الكويت، المجلد ١٣، عدد ٢، الكويت.

جون بيز (١٩٨٧). التعليم للعيش على كوكب الأرض ، ترجمة محمد سعيد صباريني ، **مجلة الثقافة العالمية** ، السنة السادسة ، العدد ٣٤ ، القاهرة.

حسني، ماشاء الله حسن (١٤١٤هـ). التلوث البيئي في مصر ، **مجلة الأزهر** ، الجزء ٦ ، السنة ٦٦ ، القاهرة.

خطيب، علي (١٩٩٣). التربية البيئية ، **مجلة التربية** ، العدد ١٠٥ ، السنة ٢٢ ، قطر ، نوفمبر ١٩٩٣م.

خلف الله، أحمد ربيع؛ والسعيد محمود السعيد (١٩٩٠). التربية البيئية (دراسة لمعالجة بعض قضايا البيئة من منظور إسلامي) ، **مجلة التربية للأبحاث التربوية** ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، العدد ٢٠ ، القاهرة .

دعبس، يسري (١٩٩٤). المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية [٥] الرياض ، ط٢ .

سلام، أحمد مدحت (د.ت). **التلوث مشكلة العصر** ، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٩٥٢، الكويت.

سلامة، أحمد عبد الكريم (١٤١٨هـ). الإسلام وفكرة حق الإنسان في البيئة ، **مجلة منار الإسلام** ، دبي، العدد الرابع ، السنة ٣٢ ، ربيع الثاني ٨١٤١ هـ.

سلطان، جمال (١٩٩٣). **في سبيل مشروعنا الحضاري**. الرياض: دار الوطن.

شحاتة، عبد الله (١٩٩٧). **الدين والحياة** ، القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع .

شعبان، سعد (١٩٩٢). **ثقب في الفضاء** ، القاهرة: دار المعارف.

شلبي، أحمد إبراهيم (١٩٨٤). **البيئة والمناهج الدراسية** ، مؤسسة الخليج العربي.

شلتوت، محمود (١٩٨٣). **من توجيهات الإسلام** ، الطبعة السابعة ، القاهرة: دار الشروق ، القاهرة .

صحيح مسلم(١٩٧٥). **شرح النووي**، الجزء الثاني والثالث ، القاهرة: مطبعة حجازي.

عاشور، محمد أحمد (د.ت). **خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه** ، القاهرة: دار الاعتصام.

عبد الرحيم، محمود جاد (١٩٩٧). **هدي الإسلام في الطب الحديث** ، القاهرة: دار الراية للنشر .

عبدالله، محمد حامد (١٩٩٤). تحليل اقتصادي لبعض المشاكل البيئية المرتبطة بالتنمية الاقتصادية في الدول النامية ، **مجلة العلوم الاجتماعية** ، جامعة الكويت ، المجلد ٢٢ ، العدد ١ ـ٣ .

عبيد، منصور الرفاعي (١٤١٥هـ). الإسلام يحارب تلوث البيئة ، **مجلة منار الإسلام** ، دبي، العدد ٢١ ، السنة ٢٠ ، ذو الحجة ١٤١٥هـ.

عمارة، محمد (١٩٩٢). إسلامية المعرفة (البديل الفكرى للمعرفة المادية)، **مجلة المسلم المعاصر** ، السنة ١٦ ، العدد ٦٣ ، القاهرة.

غنيم، كارم السيد (١٩٨٩). البيئة الطبيعية في المنظور الإسلامي ، **مجلة الهداية** ، البحرين ، العدد ١٤٣ .

فراج، عز الدين (١٩٧٠). **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية**، هيئة الاستعلامات، القاهرة.

فرج، عدلي كامل (١٩٧٦). **النظام البيئي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

لستر. ر. براون (١٩٧٩). **من أجل الإنسان ـ استراتيجية لتثبيت عدد سكان العالم**، ترجمة سمير حسنين، مراجعة محمود محمد سليمة، القاهرة: مكتبة غريب.

لويس اميلي سيديو (١٩٦٧). **تاريخ العرب العام**، بيروت: دار الفكر للنشر.

مجلة العربي (١٩٨٩). العدد ٢٦٢، يناير ١٩٨٩م.

مجلة العربي، (١٩٩٣). العدد ٣٨٢، أغسطس ١٩٩٠.

مجلة الفيصل (١٩٩١). المملكة العربية السعودية، العدد ١٧٥، السنة ١٥، يوليو ـ أغسطس ١٩٩١.

مجلة الرافد (١٩٩٥). الشارقة، العدد السادس، يناير ١٩٩٥م.

مختار الصحاح (١٩٨٢). القاهرة: دار الشروق.

مدكور، محمد سلام (١٩٦٦). **المدخل للفقه الإسلامي**، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار النهضة العربية.

مسند الإمام أحمد (١٣٨٨هـ). القاهرة: دار الحديث للنشر.

من تقرير البيئة الأول، وزارة البيئة، مصر، ١٩٩٧م.

نجيب، عمارة (١٤٠٦هـ). قصص القرآن ومصالح الناس، **مجلة منبر الإسلام**، العدد الثاني، السنة ١١، القاهرة.

ثانياً : المراجع الأجنبية

Agwan , A . R .(1993). "Towards An Ecological Consciousness " , in the American Journal of Islamic sciences , The international Institute of Islamic thought, U.S.A, Herndon , Volume:10, Summer , 1993 , Number 2 .

BA-Kader & Others (1983). **Islamic Principals For The Conservation of The Natural Environment** , IUCN - Meba , gland , Switzerland. P.P. 13 -

Geipin Allen (1974). **Dictionary Of Environmental Terms** , London, P.124 .

Petit Robert (1973). Paris .

R . Barrain (1974). Nouveou Dictionnaire De Droit Et Desciences Econo;igies , Paris , L.G.D.J.

Teitenberg Tom (1988). " Environmental & Natural Resources Economics " 2nd. Ed. Boston. Scott Foresman & co.

Unesco , Environmental Educational (1983). Model for Inservic Training of Science Teachers and Supervisors for Secondary Schools , Environmental Education , Unesco , Paris.